



روایت

آنا پساوی وانتیب



سارة محمد سيف

أنا وأنتِ يساوي ..

سارة محمد سيف

الفصل الأول

ليلة شديدة السواد؛ فغياب القمر وإخفاءه بين السحاب أبدى الدنيا كامرأة ترتدي عباءة سمراء، ليلة كئيبة تتناسب مع صوت البكاء الصامت؛ فالدموع تهطل بغزارة زخات المطر مُعلنة بداية فصل الشتاء وعن قدوم شتاء شديد القسوة.

تجلس امرأة أو بالأحرى فتاة في مقتبل العمر؛ أحالها حزنها إلى امرأة تحمل هموم الدنيا كلها فوق كتفيها، تنظر إلى الطفل النائم بجوارها وملامح البراءة تغطي على وجهه الملائكي النقي. تبدأ ابتسامة صغيرة على شفيتها بالظهور .. ويتوقف شلال الدموع، ولكن ما إن تتذكر معاملة والدها كأنها ليست زوجته ولا تمت للبشرية من الأساس لديها مشاعر؛ حتى يعود شلال الدموع إلى التدفق مجددا لتخرج به كل ما تخفيه في صدرها ولا تستطيع البوح به لأحد. استشعرت حركة بجوارها، وجدت طفلها الصغير الذي لم يبلغ بعد عقده الرابع يتطلع إليها ومازال النوم يداعب جفونه متمتما بصوت ناعس:

– مامي .. إنتي مش نمتي لسه ؟

تحاول رسم ابتسامة على وجهها البرئ الذي لا يختلف كثيرا عن وجه طفلها؛ فقد تشابهت الملامح بينهما، يملك نفس عينيها الرماديتين والشفاه الصغيرة والأنف الدقيق .. لكن هذا لا يعني أنه لم يرث من والده شيئا؛ ورث عنه طباعه وتقلبات مزاجه فضلا عن شعره الحريري الأسود اللامع الذي تنزل منه إحدى الخصلات لتداعب عينيه.

- لا يا حبيبي نمت .. بس صحيت عشان أصلي الفجر

غمغم بحزن: يعني صليتي الفجر من غيري يا مامي؟

أجابته بلوم حنون: وأنا أقدر بردو يا روح مامي؟ .. ما أنا كنت لسه هأصحيح أهو بس أنت

صحيت لوحدك يا بطل

ههل بفرحه: هيببييه أنا أحبك أوي يا مامي

ضمته إلى صدرها بحنان أمومي: وأنا بحبك أوي يا سيف

- طب يلا يا مامي عشان أروح أصحي بابي عشان يلحق يصلي

عاد لها بعض حزنها: ماشي يا حبيبي، روح يلا صحيه

لم ينتظر حتى تُنهي كلامها؛ انطلق فوراً إلى غرفة والده المجاورة راكضاً لإيقاظه؛ حتى يصلي

معهما الفجر.

سيف محركا والده: بابي يا بابي.. أصحى بقى .. أنت كسلان أوي يا بابي على فكرة

الأب وهو يستيقظ مبتسماً على كلام طفله الحبيب: بقى أنا اللي كسلان يا أوزعه أنت، ماشي

والله لأوريك

قام بحمل ابنه وإلقاءه على الفراش وبدأ في مداعبته حتى غرق الطفل في الضحك الشديد

بالكاد كان يستطيع إلتقاط أنفاسه من وسطها.

تمتم من بين ضحكاته: خلات خلات يا بابي .. مش قادر خلات

- أحسن بردو علشان تبقى تقول علي بابي إنه كسلان بعد كدا.. بقي أنا كسلان؟؟ .. طب

مش هأرحمك بقي هه

صرخ مستغيثا بوالدته: يا مامي خلي بابي يسبني بقي

كانت تقف على باب الغرفة تتابع المشهد في صمت والابتسامة على شفيتها تتسع كلما علت ضحكات سيف، تشعر بسعادة غامرة من تلك اللحظات الحميمة بين طفلها ووالده، لكن لم تخلو من بعض الحزن؛ فليس لها نصيب من هذه المزحات والمداعبات الصغيرة، إنها تخصص ابنها وحده، أفاقت على استنجاد صغيرها بها.

ما إن سمع الأب كلام الصغير حتى توقف عن مداعبته قائلاً: يلا بقي سبني أروح أتوضا عشان نصلي

سيف وهو يتمالك ضحكاته ليستطيع النهوض: ما أنت يا بابي اللي كنتي بتزغزغني .. يعني

أنت اللي عطلتي .. مش صح يا مامي؟

نزعت نظرها عن زوجها: أه .. بس كفايه دلع وروح أتوضا بسرعة

أوماً مطيعاً: حاضر يا مامي رايح أهو

تنظر لزوجها: صباح الخير يا آدم

تفادى النظر لها متحججا بالبحث عن حذائه المنزلي: صباح النور يا ندى

مال رأسها بسخرية: الشبشب بقى ف رجلك خلاص بتدور على إيه؟

شعر بالخرج: لا ولا حاجه بس بألبسه كويس .. لسه صاحي بقى معلش

هزت كتفيها: عادي أنا أعودت خلاص على المعاملة دي، عن إذتك أما أروح ألحق الصلاة

استوقفها بتوتر: طب .. طب ما تستني تصلي معايا أنا و سيف جماعة يعني

دب الأمل بين أضلاع ندى: بجد ؟

خاطبها بجدية: أه .. دي صلاة يعني.. ناخذ ثوابها كلنا

ندى فرحة: طيب أنا هأروح أتوضى وأجي

تركته ندى يسبح في أفكاره، هل ما فعله صواب أم خطأ؟.. إنه لا يستطيع نسيان ما حدث

منذ خمس سنوات تقريبا، بالتحديد في ليلة زفافهما، فقط يتناسى ما حدث مراعاة لولده

ولأبويها الموجودين معهما في نفس المنزل.. لا يستطيع إعطاءها أمل بأن تعود علاقتهما

طبيعية بعد ما حدث لا الآن أو لاحقا.. أيقظ نفسه من أوهامه.

- ليه كل دا وهي هتفتكر إني عايز أصلح علاقتنا لمجرد إني قولتلها نصلي سوا؟ .. لا لا أنا

أكيد سرحت أوي .. خلييني أتوضى وأصلي لأحسن سي سيف يجي دلوقتي ويعلقلي المشنقة

هههههه

وضعت الملف فوق المكتب أمام مديره ثم تراجعت عدة خطوات إلى الخلف في أدب، تضم كفيها سويا أمام بطنها.

أمسك الملف وقلبه بين كفيه، أصدر أوامره إليها بعد هنية دون أن يرفع نظره إليها: بعد ما أمضيه تاخديه تودي لأستاذ سعيد وتتأكدي إن الملف وصله هو شخصيا، يدا بيد، مش أي حد ياخده يا سهيلة .. الملف دا مهم

أومات تتناول الملف من يده: حاضر يا أستاذ أحمد .. أي أوامر تانية؟

أشاح بكفه في وجهها وقد ركز انتباهه على شاشة الحاسوب يقلب صفحاته، أضافت قبل أن تغلق الباب خلفها: ياريت حضرتك تلبس النظارة عشان ما يجلكش صداع زي كل مرة مد يده إلى آخر مكان ترك فيه نظاراته الطبية، وضعها فوق أنفه وبصره معلق بالشاشة، فور سماعه صوت إغلاق الباب خلفها بعدما تأكدت من فعل ما تطلبت، رفع بصره شاخصا في أفق آخر وقد ضاقت عيونه غارقة في تفكير يبعد عن مكان وجوده آلاف الأميال.

بعد الانتهاء من صلاة الفجر وعودة سيف للنوم، التفتت ندى إلى آدم قائلة: تحب أحضرك إيه ع الفطار؟

أجابها دون النظر إليها وهو يبحث عن شيء يرتديه للذهاب إلى العمل: لا ما تتعبيش نفسك

استفسرت: يعني أحضر أي حاجه ؟ مالكش نفس لحاجه معينة؟

هز رأسه رافضا: لا ماليش نفس أفطر أصلا.. أنا هألبس وأنزل على طول.. ورايا كشوفات كتير قبل العمليات

في محاولة لتخفي خيبة أملها: أنا مش عارفه أنت طلعت دكتور ليه؟ وكمان دكتور قلب .. أنا لما بأشوف الدم بأحس إنه هيغمى عليا؛ فما بالك بقي لو شوفت قلب ههههه
رد بيروود: بس مش إنتي اللي بتشوفي القلب دا .. أنا اللي بأشوفه

شعرت بالحرج الشديد من طريقة كلامه معها، توجهت إليه قائلة: طب أوعى كدا أنا هأجهلك هدومك .. بدل ما أنت واقف بقالك ساعة وما طلعتش حاجه .. ولا عايز تتأخر عن شوفت القلب

ودون سابق إنذار تلامست أيديهما فوق أحد القمصان، سحبها بسرعة كأنه لمس قطعة من الجمر المتقد، قال متعجلا: طيب .. أنا هأروح استحمى عقبال ما تطلعي الهدوم
دخل الحمام وقد أغلق الباب خلفه ساندا ظهره إليه، يلتقط أنفاسه فهو بالرغم من معاملته الجافة لها وابتعاده عنها إلا أنه يُكِن لها الحب ويتوتر من قربها؛ هي ما تزال حبه الأول والأوحد.

في حين كانت ندى تستنشق عدة مرات حتى تمنع قطرات الدمع من النزول، لقد أتعبتها
معاملة آدم لها، هي تتحمل هذه المعاملة منذ خمس سنوات بدون أن تتبدل على الرغم من

شعورها أحيانا بحنينه إليها، مع ذلك لا يلبث أن يقوم بتصرف يجعلها تشك في تلك اللحظة وحدثها، أخذت نفسا عميقا تدعو ربها: يا رب صبرني؛ لأحسن أنا تعبت خلاص توجهت إلى الخزانة؛ تجهز لزوجها ملابسه كي يذهب إلى عمله الذي يعشقه.

دخلت فتاة بالكاد أتمت العشرين ربيعا منذ عام إلى المنزل متأففة، تدفع خصلات شعرها المثارة بسبب نسيمات الهواء التي ناكفتها خلال الطريق، صفعت الباب بشدة من ثم أبعدت الكتاب والدفتر عن حضنها ووضعتهم على أقرب طاولة قبل أن تجلس جاذبة قميصها حتى يلمس طرف بنطالها .. بالكاد.

—أوووووف

خرجت شقيقتها من المطبخ تستفهم سبب ضيقها: مالك يا بنتي داخله بزعايبك كدا ليه؟ ..
العفريت بترقص على واحدة ونص قدامك ولا إيه يا مرمر هههههه

مرام بخنقة: يووو مش وقت هزارك خالص يا فريدة

فريدة بجدية: في إيه يا مرام؟

ردت بعصبية: الولية المستفزة اللي ساكنه ف الشقة اللي قصدنا اللي اسمها أم جلال دي مش سيباني ف حالي ف الطالع والنازله تفضل تديني ف جنابي

اعتدلت فريدة بجسدها تنظر لشقيقتها باهتمام وقلق: وإنتي عملتي إيه المرة دي عشان تديكي كلمتين؟

تأفت: يعني هاكون عملت إيه يعني؟ زي كل يوم

تنهدت؛ متوقعة سبب ثورة جارتهم العجوز: يبقى أكيد علشان لبسك دا .. نبهتك 100 مرة عليه وإنتي مافيش فايده فيكي تدخل الكلام من هنا ويتخرجيه من الناحيه الثانيه تتبع إشارة شقيقتها إلى أذنيها على التوالي ثم ردت: ماله لبسي يعني؟ بنطلون جينز وتي شيرت زي أي بنت ف الجامعة ماله بقي؟

لوت فريدة شفيتها ساخرة: لا أبدا، كل ما هنالك التي شيرت يدوب واصل لحزام البنطلون ولازق ف جسمك .. والبنطلون أنا شايفه الخياطه بتاعته من هنا، بس تصدقي .. مالهاش حق

بلا مبالاة لانتقادات شقيقتها: لبس البنات ف الجامعة كلها كدا

قطبت: لا طبعاً، مش كلهم، إنتي اللي عاجبك وداخل مزاجك الناس دي ويتحبي تبصي عليهم وتقلديهم، ما بتشوفيش الناس الثانيه اللي لابسه واسع .. ومحترم

زمت بملل: بصي بقي موال كل يوم دا أنا زهقت منه وكمان أنا حره ف لبسي المهم مش لابسه طرحه ولا أساءت لديني

غمزتها فريدة: كويس إنك عارفه، إن اللبس دا في إساءة .. وياريت تبقي عارفه إنه بيسيئ

ليكي إنتي كمان

حاجه تناسبك يعني مش يطلع عينك خمس سنين ف الكلية المنيلة دي وف الآخر ما تستفيديش منها.. دا كل قصدي والله

حمدت ربها: مين عارف .. يمكن يجي اليوم اللي هاستفيد بيها فيه .. المهم يلا روعي غيري هدومك عقبال ما أجهز السفره وتكون هند جات عشان نتغدى سوا

-ماشي يا فيري، مادام فيها أكل يبقى طيارة وتلاقيني قاعده ع السفره

زفرت بحددة: يادي النيلة إنتي يا بت ما بتحرميش؟ أنا مش قولتلك قبل كدا مش بأحب اسم فيري دا؟

قهقهت بشدة: عشان على اسم مسحوق غسيل المواعين يعني؟ ما هو كدا كدا ف وشك طول اليوم ف المطبخ بتستخدميه وف التلفزيون بتشوفي إعلاناته هتيجي على إني أناديكي بيه ؟

رفعت فريده الملعقة الخشبية المستخدمة في الطهي مهددة: بت مالكيش أكل عندي .. ويلا بقى انجري من خلقتي بدل ما أحدفك بغطى الحله

انسحبت تكتم ضحكاتها: طب قوليلي اسم دلح ليكي تاني أنا حاولت ومالقتش

هزت رأسها دون أدنى اهتمام: إن شا الله عنك ما دلعتيني، المهم الاسم دا ما أسمعوش تاني فاهمة

بمسكنة قطة تنودد لصاحبها: خلاص خلاص يا قمر ولا تزعل نفسك أموووه .. المهم أكليني وأنا أعملك اللي إنتي عايزاه يا جميل

-ماشى يا مفعوعه .. همك على بطنك كدا على طول

خرجت مرام من المطبخ ثم توقفت عند عتبة الباب قائلة: فيري فيري

وأخرجت لسانها لأختها وركضت مسرعة إلى غرفتها، فلم تدركها فريدة بحنقها أو الملعقة
بسخونتها وما تحمله من بقايا الطعام.



الفصل الثاني

الديكورات في المكتب شديدة التناسق، في ذات الوقت توحى بعملية وجدية صاحبها؛ مكتب من الزان الخالص باللون البني اللامع، أمامه طاولة صغيرة تحتل مكانا يتوسط مقعدين للزوار .. وفي الركن الآخر أريكة جلدية بلون كريمي يتناسق مع باقي الأثاث والستائر المكتيبة ذات درجة بنية، بنهاية الغرفة يوجد بابين متجاورين أقصاهما ناحية اليسار يؤدي إلى الحمام فيما الآخر يوصل على حجرة الاجتماعات.

صرح أحمد دون أن يزحزح حدقتيه بعيدا عن الأوراق التي يوقعها بعد دراستها: انفضل

أكرم بابتسامة مشرقة: صباح الخير يا أحلى أحمد ف الدنيا

نظر أحمد في ساعته ورد عليه من دون النظر إليه: صباح الخير؟ دا العصر على وشك

أكرم بضحكة غير مهمة: خلاص تبقى صباح الخير بالليل

أحمد متنهدا: أكرم .. إيه اللي جابك الساعة دي ؟

مثل أكرم الصدمة وكأنه أحد أبطال مسلسل هندي: ااه .. أخي ويحك .. ما هذا السؤال

العجيب المريب الغريب المريب ؟

علق بدون اهتمام : قولت مريب مرتين

استغرب: دا بجد؟ .. اه تصدق صح .. وبعدين أنت بتركز كدا ليه؟ يا راجل كبر منحك

خرجت ضحكة رغما عنه وإن كان بها بعض الجدية: يخرب عقلك أكثر ما هو خربان .. بقى
دا منظر ولا كلام دكتور ف جامعة .. المفروض بيعلم الطلبة ؟

ابتسم: ما هو من كتر التعامل مع الطلبة بقيت واحد منهم.. سيبك أنت المهم يلا بينا؛ عازمك
ع الغدا وخلي بالك العزومه دي ما بتكررش كثير .. انتهاز الفرصة

نظر إليه من أسفل نظاراته: أنا اللي فاكره إن أنت لسه عازمني من خمس أيام ع الغدا وقبلها
بيومين بردو عزمتمني .. دا وأنت مش بتكرر العزومه كثير، أومال لو كررتها هتعمل إيه ؟

اصطنع الخجل وسعل: إحم إحم .. كنت فطرت واتغديت واتعشيت معاك، إيه رأيك .. أهو
رخامه كدا

- لا لا أنت هتقولي .. أمشي قدامي يا رخم

-هههههههه واء واء .. أنت وحش يا عمو .. أنت كخه

- مافيش فايده، الله يعين الطلبة بتوعك .. وأنا بأقول سيف يجيب الكلام الغريب دا منين ..
طلع مش من برا

-مالكش دعوة بسيفو حبيبي .. ويلا بينا بقى .. لأحسن هفتااان

نهض معه مستسلماً، قرر استغلال الفرصة لأخذ قسط من الراحة؛ فأثناء العمل لا يشعر بمرور
الوقت إلا إذا دقت معاونته الباب تذكره بإجتماع جديد، ينسى الطعام والنوم حتى يسقط من
شدة التعب فيما يشبه الغيبوبة.

لا يكل من العمل الذي كرس ما تبقى من حياته لأجله، لم يفكر لمرة بالزواج وتأسيس عائلة ..
إلا عندما رأى سيف وحمله بين يديه فور ولادته؛ مما جعل عاطفة الأبوة تظهر على السطح
لأول مرة، لكنه أجل الموضوع إلى أجل غير مسمى.

اجتمعت الثلاث أخوات على طاولة الطعام، يتشاركه، يرافقه الحديث والكلام .. فتخبر كل
واحدة منهن شقيقتها ما حدث معها خلال اليوم.

كانت العلاقة بينهن أحسن ما يكون، مهما دارت بهن الأيام لم يجدن سوى بعضهن خير
أنيس وأفضل صديق .. فالأخت نعمة لا يعرف عظمتها إلا من فقدتها.

يوم تجد جميع الأبواب قد سُدت في وجهك، وغضت الدنيا بصرها عن وجودك فتركتك هائما
وسط شجونك .. تترك تسبح وسط مصاعبك وتتلوى من أوجاعك، لا تهتم إذا أصاب
الإرهاق عضلات ذراعيك من مقاومة الأمواج المتلاحقة؛ فتأتي أخت بنكهة أم تلقي لك طوق
النجاة وتسحبك إلى بر الأمان .. فتجد رأسك وقد استكان فوق صدر قد فاض به الحنان.

الأخت أمٌ ثانية، رحمة بمن فقد أمه وهبة لمن صار يملك أمين، فإذا غضبت منه الأولى التجئ
إلى الأخرى، تشبعه حنانا وتغمره دفئا، تعينه على ما به وتشدُّ على كفيه .. تعطيه الدعم؛ فهي
أنقى من الماء ووجودها أشد حلاوة من العسل .. فتُحيل الصبار تمراً، والجحيم جنة.

توسلت فريدة لشقيقتها حتى تكمل طعامها: يلا يا هنودة يا حبيبتى .. بالهنا والشفاء

زفرت هند مستكثرة ما وضع أمامها من طعام كأنها ملكة توجت على عرش المنزل: مش كثير
أوي دا يا فريدة ؟

مرام تخفي ضحكاتها خلف ملعقة أخرى من الطعام: كلي وانتي ساكتة بدل ما تحدفهم ف
زورك عدل وما يعدوش ع الطبق حتى ..

زمت فريدة شفيتها غيظاً: هاهاهاها، إيه الخفة دي يا ست مرام ماكنتش أعرف إن دمك
خفيف كدا

استمرت مرام في مشاكستها: وهتعرفي منين يعني، كنتي عملتيلي سيادتك تحليل دم ولا حاجه
؟

تركت فريدة ملعقتها مهددة: لا دا أنا اللي هأصفي دمك دلوقتي

سعلت هند ضاحكة: كفايه حرام عليكوا .. هأموت م الضحك

التفتت إليها فريدة بحنان قاصدة إغائة الأخرى: بعد الشر عنك يا حبيبتى .. أموووه

مرام بغيظ مصطنع: أيوه بقى، ناس ليها بعد الشر وناس ليها تصفية الدم

حدثتها فريدة دون النظر إليها: أيوه بالظبط كدا عشان الناس اللي مش بتسمع الكلام

ثارت مرام: يووووه مش المفروض أقتنع بالحاجه قبل ما أعملها ؟ سيبيني لما أقتنع بقى

استدارت إليها بكامل جسدها، تحدثت بجديّة: المشكلة إنك مقتنعة، بس إيه اللي منعك مش عارفه .. وأساسا الحاجات دي مافيهاش اقتناع .. دا أمر ربنا، فاهمة ؟

أومأت هند متفهمة ما يدور حوله الحوار: بتتكلّموا عن اللبس صح؟

زفرت فريدة: هو في غيره ؟

قررت هند تغيير الموضوع: إلا صحيح يا فريدة هي ماما ما أتصلتش ولا حتى بابا ؟

-لا ما حدش اتصل .. يمكن يتصلوا بكره

هند بقلق: بس دول بقالهم أسبوع لا حس ولا خبر

مظهرة مرام عدم الاهتمام: وإنتي خايفه عليهم ليه ؟ إذا كانوا هما ماخافوش إنهم يسيبونا

لوحدنا وسافروا عادي ولا أكن في وراهم 3 بنات

نهرتها فريدة بهدوء: إحنا اتكلّمنا كثير ف الموضوع دا يا مرام .. هما عملوا كدا عشانا، عشان

نكمل دراستنا ونتعلم

مرام بسخرية: لا يا راجل ؟ طب ما دي آخر سنه ليا أهو والمصاريف مدفوعة وأنتوا خلصتوا

وأخرجتوا ما رجعوش ليه بقى ؟

أجابتها هند برزانة: العقد اللي عاملينه لسه فاضل عليه عشر سنين .. ماينفعش يرجعوا قبل كدا

رفعت زاوية فمها مستهزئة: موت يا حمار.. يعني هيرجعوا بعد ما كل واحدة فينا تبقى ف بيتها
ومش بعيد يكون عندها عيل ولا إثنين

غيرت فريدة محور الحديث الذي كلما ذُكر يدخلن في صراع بين المهاجمة والدفاع، اختلاق
الأعدار لوالديهم أو السخرية منها: هههه دا إنتي اللي موت يا حمار .. هو في عرسان اليومين
دول أصلا يا بنتي

هند وقد فهمت غرض فريدة فتدخلت تعاونها: ويبقى في ليه، ما هما بيصاحبوا يبقى يعملوا إيه
بالجواز والنكد ..

استجابت مرام لمحاولاتهما: فعلا اللي يتجوزك يا بنتي يبقى أتجوز النكد بعينه ودخله بيته
على طوووول .. بلا راجعة

هند مصطنعة العصبية: ليه بقي إن شاء الله، شايفاني ماشيه أعيط .. قاعدة أعيط .. نايمة
أعيط .. ولا لأكون بأشد ف شعري وأصرخ عمال على بطال ؟

لم تستطع فريدة التوقف عن الضحك: بس بقي غرقتلنا الشقة بدموعك دي

مرام: ههههههه لا بس على طول ضاربه بوز أبو شبرين دا

قامت بعمل "بوز" مضحك في محاولة لتقليد هند، مستشهدة بهذه الحركة على أقوالها. من
ثم دخلن ثلاثتهن في نوبة من الضحك لدرجة أن الدموع بدأت تتجمع وتهبط من أعينهم.

هند وهي تحاول التكلم من وسط ضحكاتها: بقي أنا بأبقى كدا ؟

إخفاءها من خلال الديكورات الكلاسيكية ببراعة حتى لا تفسد الشكل العام للمكان ولا تسبب ضوضاءها إزعاجا لرواد المطعم.

بدأ أكرم الحديث: أخيرا أحمد باشا حنيت علينا وهنتغدى سوا بقالي كام يوم ما شوفتكش لازم أعزمك يعني علشان نعم بهذه الجلسة الجليلة ؟

وضع الأخ هاتفه ومفاتيحه على الطاولة: أنت عارف الشغل كثير وما بيرحمش وأنت سايب شغل الشركة كله عليا لوحدي

برر أكرم موقفه: ما أنت عارف إني ماليش ف شغل الشركات دا، وبعدين الله يعينك يا سيدي -إيه دا الباشوات بيتغدوا هنا ؟ يا محاسن الصدف

هتف أكرم ناهضا يستقبل صديقه: مصطفى بهيج بنفسه هنا، لا لا أنا مش مصدق نفسي يا جدعان .. حد يقرصني كدا

مصطفى بأعين تشع شرا طفوليا: هههه من عنيا الجوز .. هو أنت جيت ف جمل ؟

توجع: إييه .. حرام عليك يا ظالم، أنت ما صدقت ولا إييه ؟

غمزه صديقه ضاحكا: الله، مش أنت اللي طلبت .. أنا نفذت بس

دلك مكان ألمه: نفذت بضمير أوي كدا ليه يا أخي .. يا باااي منك

صفعه مصطفى على كتفه: تعيش وتاخذ غيرها يا صديقي ... إزيك يا أحمد ؟

أوماً مُرحباً: الحمدلله، أنت أخبارك إيه ؟ .. وأخبار شغلك إيه؟

ابتسم مصطفى بحزن: نحمده ونشكر فضله .. لا الشغل بيخلص ولا مشاكله ومصايبه
بتخلص

اقترح عليه أكرم: طب تعالى أنغدى معانا

رفض مصطفى بذوق: لا يا عم أنا مش هأتقل دم، روح أنت أنغدى مع أحمد ونبقى نتقابل
بعدين

أكرم بغلظة: أنت لسه هتقل دم؟، أنت ما تعرفش إنه ثقيل ولا إيه ؟ .. وبعدين هتغدى معانا
يعني هتغدى ولا في جو مستنيك

ابتسم مصطفى لغمزة صديقه: جو إيه بس يا ابني .. بأقولك مشاكل ف الشغل وجاي أشوفلها
صرفه

صده أكرم بلهجة أمرة: خلاص يبقى تقعد معانا، إحنا لسه أصلا ما طلبناش الغدا ودا آخر
كلام عندي

قرر مصطفى الخضوع؛ فهو بالفعل يحتاج للجلوس مع أناس محل ثقته، يستشيرهم في أمره
لعله يجد لديهم ما لم يجده عن غيرهم: طيب.



الفصل الثالث

-يعني إيه ؟ يعني مش هنعرف نزل السنة دي كمان ؟

عبدالرحمن بتتهيدة مختنقة: لا مش هنعرف يا إيمان

حدثته باكية: أنا بقالي أسبوع مش بأكلمهم على أساس هننزلهم آخر الأسبوع

ونعملهم مفاجأة وف الآخر بردو مش نازلين !؟

ثارت أعصابه التي لم تتحمل المزيد من الضغط: عايزاني أعمل إيه يعني؟؟، ما هو

غصب عني بردو .. أديكي شايفه؛ مش راضيين يدوني أجازة ف الشغل .. والمدير

راسه وألف سيف إني لو نزلت .. هيلغي العقد ويخليني أدفع غرامة إثنين مليون ريال

وانتي عارفه إن مش معايا المبلغ دا

تزايد نحيبها أكثر فأكثر: منه لله، ربنا على الظالم والمفتري

- هو شكله بيعمل أسلوب تطفيش علشان أدفع ال إثنين مليون ويجبرني على كدا

استغربت إيمان حديث زوجها: وهو يعمل كدا ليه ؟

نظر لها شاردا: سمعت إن في أزمة بتمر بيها الشركة ومحتاجين سيولة

حوقلت ضاربة كفا بكف: لا حول ولا قوة إلا بالله، ومش لاقى غيرنا يعني؟

زفر بحدة: أنا عارف !؟ .. ربنا يصلح حاله

أومات ثم همهمت بشجن: هأكلم البنات بكره .. ولوني مش عارفه هأقولهم إزاي

إن إحنا مش هننزل السنة دي

أردفت باكية متألمة: البنات وحشني أوي يا عبدالرحمن

نظر إلى دموعها بلا حول، دموعها كأوتاد تطعن في قلبه وأحشاءه: ووحشيني أنا

كمان .. بس ما باليد حيله

سألته: يعني السنة اللي قبل اللي فاتت أنت رجعت تعبت والدكتور قال السفر وحش

عليك وخبيننا عنهم .. والسنة اللي فاتت ما رضيش يدوك أجازة وقولت نستنا يمكن

السنة دي قلبه يحن ويعتقنا .. لكن بردو مافيش .. هنفضل ع الحال دا لحد إمتى

يا عبدالرحمن؟؟

حرك عينيه بعيدا عنها، يشعر بالعجز، فتاياته وحدهن في دولة تبعد آلاف

الكيلومترات؛ حتى وإن كان قد أوصى عليهن جارتهم أم جلال وزوجها .. الذي

تجمعه به صلة قرابة وإن كانت بعيدة إلى حد ما، لكن ما يزال قلبه قلوفا، لا يدري

كيف الأحوال ولا يثق بغيره في رعاية شئون بناته.

نهض وتركها لدموعها؛ فما أشد كرب رجل مكبل اليدين .. لا يعرف ماذا يفعل أو

كيف يتصرف .. عاجزا أمام دموع غالية على فؤاده ومشتاقا لرؤية فلذات أكباده.

تأوه أكرم متحسرا على ما صارت عليه أحوال صديقه: ياه للدرجة دي يا مصطفى وماكنتش

حاسس بالموضوع دا خالص؟

تحدث أحمد بصراحة: وهيحس إزاي ؟ .. طول ما هو كل همه البنات وبس

سقطت رأس مصطفى بين كتفيه بندم وغضب من ذاته: معاك حق يا أحمد، كنت معتمد على المدير الزفت دا، كنت بأشتغل وأتابع ف الأول بس بعدين بقيت أكبر دماغى ومرة ف مرة بعدت خالص، لحد ما أخذ وش وأتزتف خد فرصته .. سرقتى وهرب

ربت أكرم على كتفه داعما: معلىش يا مصطفى الواحد بيعيش علشان يتعلم ويموت وهو بيتعلم .. وفي الآخر لعله خير .. قول الحمد لله

أوما مصطفى بابتسامة منكسرة: الحمد لله

سأله أحمد بعملية: وقررت هتعمل إيه دلوقتى ؟

مصطفى باستسلام: أبدا .. كنت جاي هنا أرفع عليه قضية وأدور عليه، يمكن أخذ حقى بس لسه ما لاقتوش

ارتفعت زاوية فم أحمد شفقة: ما أعتقدش هتلاقىه، هو مش غبى لدرجة إنه يفضل بعد ما سرق كل المبلغ دا، أكيد خد ديله ف سنانه وكت على برا وقال يا فاكيك

مصطفى مفكرا: أنا عندي إحساس إنه هيطلع غبى ومش هيسافر دلوقتى، وهالاقىه وأعرف أخذ حقى منه كويس أوووي .. وبعدين أنا عندي ناس ف المطار ويقولوا لسه ما سافرش وهما لو عرفوا عنه حاجه هيقولولي فورا

نبهه أكرم: مصطفى أبوس إيدك بلاش تهور

عاد لطبيعته المرحه باسطا يده لأكرم وهو يبتسم بخبث: طب بوس كدا

لقد عززت غروره الذاتي، يريد معرفتها ليس ليبادلها مشاعرها أو ليعبر عن حبه لها، إن تلك الكلمات والأحاسيس الموجودة بين طيات الورق لم تؤثر به قيد أنملة، فقط أثارت غروره الذكوري وحققت له إنتشاءه كرجل، بمجرد إشباعه لفضوله من معرفتها والتأكد من كونها جميلة أم مثال للدمامة سيضع لها حدودا لن تجرؤ على تخطيها.

عاد يفكر في كيفية تكوين وجهها، حاول الربط بين حروفها ورائحتها العالقة بالورق وبين ما يمكن أن تكون عليه ملامحها البشرية لكنه لم يتوصل إلى شئ .. بل استقر به الأمر أنها قبيحة لذلك ترفض أن تُريه شكلها.

وقفت تنظر إلى القمر؛ ضوءه شاحب كشحوب قلبها، تنهدت تخرج حرقة تعتمل بداخلها، فجأة سمعت أحدا يحادثها ناطقا بحروف اسمها الثلاث:

-مالك يا هند؟ حالك مش عاجبني

لم تبعد نظرها عن القمر: ولا حاجه يا فريدة

غمزتها فريدة: عليا أنا الكلام دا بردو؟ .. طب قدام مرام وقولنا ماشي، لكن قدامي أنا كمان

؟ .. والتهيدة اللي سمعتها دي بردو مافيش حاجه؟

استسلمت لإصرار شقيقتها : بأفكر ف بابا وماما .. مرام عندها حق، ومن غير ما تقاطعيني يا فريدة لو سمحتي، أنا وإنتي متأكدين إن معاها حق، حتى لو كنا بنحاول نقنعها ونقنع نفسنا ..
بس هي صح

حاولت الدفاع عن والديها: بس يمكن في عندهم ظروف ...

ثارت حفيظة هند فلم تعد تتحمل سماع الأعذار أكثر من ذلك: إنتي بتضحكي على مين ها ؟ .. عليا ولا على نفسك، ردي، قوليلي أنهي أهل ف الدنيا دول اللي يسيبوا بناتهم ف بلد لوحدهم حتى لو موصي جارهم اللي يادوب قريبهم من بعيد وكل فين وفين لما بيسأل، ومراته اللي ع الطالعة والنازلة مش فالحة غير إنتي أتأخرتي ليه وإنتي لابسه كدا ليه وعمرها ما دخلت علينا بطبق فاكهة ولا قائلنا أجهزلكوا الأكل أنا إنهارده، ولا حتى كلفت نفسها تيجي وتقعدهم تتكلم معانا من غير شكوى من الفاتورة ولا الإيجار ولا ... إزاي؟؟ وماتقوليليش عشان مصلحتنا يا فريدة! .. هتبقى فين مصلحتنا لما يدخل علينا حرامي نص الليل ويدبح واحدة فينا .. أو يأذيها و يسرقنا .. ها ؟، فين مصلحتنا ف كدا هيستفيدوا بإيه .. طب سافروا وقولنا ماشي وعديناها إنما يفضلوا 3 سنين! من غير ما يشوفوا بناتهم .. أخرجهم يطمنوا عليهم بالتليفون .. كمان ولا سألوا بقالهم أسبوع أهو .. ويا عالم هيفضلوا نسينا لحد إمتي، إنتي فاهمة يعني إيه أب و أم يفضلوا 3 سنين ما شافوش بناتهم يا فريدة، يعني القيامة قامت خلاص .. يعني دول من الآخر كدا .. مش أب و أم

صدمت فريدة بكلام هند فلم تستطع النطق، فجأة توقفت كما بدأت وأجهشت في البكاء بهيستيرية وألقت نفسها في أحضان شقيقتها وحنانها، تمتص ما بداخلها من ألم وشعور بالقهر. بعد مدة ليست بالقصيرة أبعدها بتمهل عن صدرها: خلاص صلي ع النبي بقى كدا واستعيدي من الشيطان .. ادخلي أتوضي عشان تنامي مطمئه .. ورانا بلاوي بكره وأنسي أي حاجه
ترعلك

ألقت هند عليها نظرة حب واهتمام، إنها شقيقتها بنكهة صديقة وأم، تفكر أحيانا أن والديها لم يتركوها وحدها هي ومرام ولكن تركوا معهن فريدة .. ذات القلب الذهبي والأمومة الطاغية. وافقتها على طلبها وأثناء مرورهما من أمام غرفة مرام، أصدرت فريدة ضحكة صاحبة: بصي المفترية نايمه إزاي؟ نص ع السرير ونص ع الأرض .. يا خرابي .. مفترية حتى ف نومها شاركتها هند داعية: ربنا يهديها

ربتت فريدة على كتفها: يا رب يلا أعلمي زي ما قولتلك ونامي .. زمانها خلصت على كل الرز بلبن اللي عند الملايكة ومش هتسيبلنا حاجه؛ دي مفاجعه .. أنا عارفها
انفجرت هند مقهقة رغما عنها: على يدي

توجهت كل واحدة إلى غرفتها تلتمس النوم بعد أن حضر سلطانه ينشر جلبابه فوقهن، مانحا جسدهم فترة من الراحة كي تستطيع تلك الأجساد مواصلة ما هوأتي في اليوم التالي؛ سواء كان اليوم مشحونا بالسعادة أو المصائب .. أو مزيج مختلف منهما معا.

صلت هند كثيرا ودعت أكثر، وما زالت دموعها تنزل بغزارة من قسوة أب وأم تركوا بناتهم بمفردهم، حتى وسيلة الإتصال الوحيدة -المكالمات والهاتف- قطعوها، هل يعقل أنا يأتوا بنا إلى هذه الدنيا ليترونا .. من أين أتوا بكل هذه القسوة ؟ .. فنحن لم نخطئ في حقهم بيوم من الأيام .. يارب يا رب صبرني، يارب قويني .. لا تحرمني من إخوتي .. الحمد لله أنهم بجواري .. نعمة منك وإلا ما كنت لاستطيع العيش في هذه الدنيا بمفردتي.

كلامها مع أختها أراحها .. وكلامها مع الذي خالقها طمأنها. نامت سريرة الملامح مبتسمة الشجر فيما دموعها توقفت على أمل يوم أحلى وأجمل لأن أكثر الكلمات التي تؤمن بها هي "لسه الأحلى ماجاش وأنا هأفضل استناه".

تمدد فوق الأريكة بعدما أدار الأسطوانة في الحاسوب الثابت فوق المكتب، فتح الورقة المطوية بعدما حلها من الظرف، أشعل ضوء الأباجورة فوق رأسه لتكسر ظلام الحجرة، تراقصت عيونه فوق الأسطر.

ابتسم وأغمض عينيه مرجعا رأسه للخلف يريحها فوق ذراع الأريكة، سبح في عالم آخر خلقتة الرسالة المتوافقة مع اللحن الموسيقي الرومانسي الذي يُصغي إليه بحواسه جميعها.

بعد فترة أعاد قراءة الكلمات، كانت تشبع غروره الذكوري، تشعره بمدى جاذبيته للجنس الآخر، أنه رغم عمره المتزايد مازال وسيما.
ضم الرسالة إلى أحضانه دقائق طوال ثم نهض وأخرج من أحد جوارير المكتب صندوق عتيق يشبه صندوق المجوهرات، ضب فيه الرسالة إلى جوار مثيلاتها.



الفصل الرابع

توقفت دقائق الساعة عن محاولة تنبيه الطلبة إلى ما فاتهم من وقت وما سيأتي، البعض انتبه إلى ما وراءه من مسئوليات والبعض الآخر قرر التقاعس لدقائق أخرى، فالوقت أمامه طويل؛ أليسوا بعز شبابهم وأجمل أيام عمرهم؟، تباطأت الدقات وتخلت الساعة عن إصرارها؛ فمن كان له نصيب فقد انتبه أما البقية فمهما دقت ومهما قرعت لهم نواقيس اليقظة لن يتخلوا عن غفلتهم الحلوة الآن والمرة مستقبلا.

أمام كافتيريا إحدى الكليات الأدبية، جلست فتاتان على أحد المقاعد المنتشرة في الجامعة يتخذ الحديث بينهما مجراه الطبيعي كما بين أي فتاتين من نفس سنهما، حديث وثرثرة عن ذاك وتلك، أحدث الصيحات وأفضل عروض الأزياء.

سألت مرام صديقتها الجالسة على يمينها: هي الساعة كام دلوقتي يا ريم؟

زفرت ريم بملل: يووه يا مرام، في إيه يا بنتي دي المرة 101 اللي تسأليني فيها السؤال دا، إنتي مالك مش طبيعية إنهارده كدا ليه؟؟

زمت شفيتها: مافيش أنا بس بسأل عشان معاد المحاضرة بتاعت دكتور أكرم مش أكثر ..

التفتت إليها بخبث: ااااه .. قولتي لي .. دكتور أكرم .. بقى الحكاية كدا

ارتبكت: حكاية إيه؟ لا حكاية ولا رواية .. عادي يعني

غمزتها بإغظة: عليا أنا بردو يا مرمر .. دا أنا عجناتي وخبزاتي، وبعدين إنتي من إمتي بتهتمي

بالمحاضرات للدرجة دي يعني ؟

أخرجت لسانها: طول عمري ياختي

ضحكت: طول عمرك بردو .. ولا علشان دكتور المادة

إزداد إرتباكها وظهرت عصبيتها على السطح: قصدك إيه ؟

أوضحت أكثر: قصدي الاهتمام بمحاضراته، وعيونك اللي مش بتتشال من عليه طول

المحاضرة، والمادة الوحيدة اللي بتذاكريها أول بأول، لا وكله كوم والشياكة اللي بتحل عليكي

يوم محاضرتة كوم تاني خالص..

اعتدلت مرام في جلستها وقد جذبتها الجملة الأخيرة: يعني شكلي حلو ؟ اللبس لايق عليا؟

ضحكت ريم بانتصار: شوفتي!، وقعتي وماحدث سمي عليك يا حلوة

تأففت لإندفاعها: أوووف بقي .. عايزه مني إيه دلوقتي يعني؟

لكزتها في ذراعها: عايزه أعرف إيه حكايتك بالظبط ؟ إنتي بتحببه يعني ولا ..؟

تنهدت معترفة: أيوه بأحبه من غير ولا ..

-ياعم يا عم .. طب يلا بقي؛ عشان فاضل عشر دقائق ع المحاضرة؛ خرينا نلحق مكان في

البيجات اللي قدام، عشان تعرفي تبصي عليه كويس .. هههه

-يلا بينا .. ربنا يخليكي ليا يا ريمو .. أموووووه

قهقهت ريم: طب يلا يا بكاشه

مرا بجانب أكرم بينما يصف سيارته في المكان المخصص لها أمام المدرج، نظر لهما نظرة سريعة محركاً رأسه يمينا ويسارا؛ لا يعجبه حال الفتيات وملابسهم الغير محتشمة بالمرّة، وعندما تحدث مشكلة مع أحد الشباب يأتون للشكوى، تذكر أنه ألقى عليهن نظرة فأسرع يستغفر حتى وصل إلى مكانه في المدرج حيث بدأ يستعد لبداية الشرح.

سألت صديقتها بحزن: ريم .. هو عمل كدا ليه ؟

استغربت سؤالها: عمل إيه ؟

قلدته: جاب راسه كدا يمين وشمال بعد ما بصلنا .. ومشي وسابنا

-ااه لا مش عارفه، ما تشغيلش بالك .. يلا بينا ندخل

دلفوا إلى الداخل وأخذوا موضع جلوسهم أقرب ما يكون إليه حتى تستطيع مرام رؤيته عن قرب، لكن مازال عقل مرام يدور ويبحث عن سبب تلك النظرة .. إذا كانت قد أخطأت في شئ أو فعلت ما يضايقه، أفاقت من شرودها على صوته القوي يطالب تلامذته إلتزام الصمت حتى يبدأ المحاضرة.

انتهت فريدة عملها في المكتبة وبعدها تأكدت من أن كل شيء في محله تركت صاحبها يبدأ مناوبته بها، ذهبت في طريقها إلى المنزل عندما سمعت بعض الناس يتهايمسون فيما تجمع البعض الآخر حول جسد طريح الأرض.

- أووبس دي حادثة دي ولا إيه؟؟ يا رب استر يا رب

تجمع الناس حول المصاب وكان يقود دراجته البخارية بسرعة حتى أنه لم ينتبه للسيارة القادمة من الجهة الأخرى.

-بس دا ما ينفعش كدا هياذوه أكثر .. لا أنا لازم أدخل .. أنا دكتورة بردو مهما كان .. لو سمحتوا وسعوا ما يصحش كدا .. كدا هيتعب أكثر .. أنا دكتورة ممكن تعديني؟

تحسست النبض حتى استشفت وجوده والتنفس أيضا طبيعي لكن لديه نزيف في الرأس قد يتطور إلى ما هو أخطر إن لم يتم إسعافه فورا إلى المستشفى.

-ممكن حد يتصل بالإسعاف ويجبلي حاجه أحطها ع الجرح أي قماشة

أحد الواقفين أجابها: أنا اتصلت بالإسعاف

كررت طلبها مجددا: طب ممكن قماشة أحطها ع الجرح؟

تأسف الراجل: مش معايا والله

فكرت في حالة الرجل فقد يتسبب النزيف في أن يلقي مصرعه قبل وصول الإسعاف،
انتبهت إلى الشال الملثف حول رقبتها فقامت بخلعه وربطت به رأسه جيدا؛ تتأكد من
إحكام ربطته كي يوقف النزيف نسبيا.

بعدها بدقائق بسيطة من الإسعاف المصري كالمعتاد، ما يقرب من الساعة فقط، كانت
بجواره حتى تستطيع الاهتمام بإصابته، ذهبت معه إلى المستشفى وانتظرت حتى خرج
الطبيب قائلا: الحمد لله إصابته طفيفة مجرد خدوش وجزع في المعصم الأيسر والجرح
اللي ف دماغه أخذ 8 غرز .. بس الحمد لله جت سليمة

دمدمت فريدة في سرها: أومال لو مش سليمة كان حصل إيه بس؟؟

ابتسمت بهدوء: شكرا يا دكتور

بادلها البسمة: العفو دا واجبي .. عن إذنك

خرجت الممرضة من غرفة المصاب: المريض عايز يشوفك

حدقت بها مندهشة: يشوف مين ؟ يشوفني أنا؟

ابتسمت لها في حنان: أيوه .. مش إنتي اللي أسعفتيه ؟ .. هو عايز يشكرك

نفخت براحة: ااااه .. طيب ماشي، هأدخله

توجهت إليه بتردد وخجل، تركت الباب مفتوح بعد دخولها ثم بدأت الحديث: حمدالله

على سلامتك

فتح عينيه مترويا وفور وقوعها عليها ابتسم: الله يسلمك .. شكرا أوي ع اللي عملتيه

معايا دا .. أنا بجد مش عارف أقولك إيه

هزت رأسها: لا ما تقولش حاجة دا أقل واجب وأي حد كان ف مكاني كان عمل كدا
نظر إليها بسعادة فيما يتساءل بينه وبين نفسه: هي حلوة كدا إزاي؟؟
وجه سؤاله التالي إليها: حضرتك كنتي معديه من هناك صدفة؟ .. دا من حسن حظي
طبعا

أخبرته بما يزيد عن الحاجة: أنا بأشغل ف مكتبة قريبة من مكان الحادثة
-بس هما قالولي إن حضرتك دكتورة؟؟

قطبت جبينها وقد شعرت بالحرج: إحم إحم .. أه أه دكتورة
اتسعت ابتسامته: دكتورة إيه بقي؟

ألقت كلمتها كأنها حمل تريد أن تقذفه بعيدا بأسرع وقت: بهائم
انتفض من الدهشة: نعم؟

ضحكت بخفوت: دكتورة بهائم حضرتك .. يعني دكتورة بيطرية
عندما رأى ضحكتها نسي الدنيا وما فيها، بل المستشفى والحادثة وما يشعر به من
ألم في جميع أنحاء جسده؛ حتى نسي أمر .. البهائم.

-اااا .. معلش فهمت غلط

- ما أنا قولتها بطريقة غريبة .. أصلي متعودة على ردود الفعل من الناس لما بتسمع
بهائم دي

-لا سيبك دول ناس جهله .. مش عارفين قيمة الدكتور البيطري في الزمن دا

أعجبها اعترافه بدورهم كأطباء بيطريين؛ فهي من أشد المناصرين لهم ودائما في الصفوف الأولى من المدافعين عنهم، حتى ينالوا حقهم المهدور في مجتمع ناكر لأهمية دورهم به.

استفسرت: هو حضرتك اتعاملت معاهم قبل كدا؟

–أيوه كنت شغال ف مزرعة وكان شغال معايا دكاترة بيطريين

–٥١١١، قولتلي

قدم نفسه إليها: بالمناسبة .. أنا اسمي هشام عاصم، مهندس زراعي

– تشرفت .. أنا فريدة عبدالرحمن .. وزى ما عرفت دكتورة بيطرية هههه

– ههههههههه أه عرفت

نظرت إلى عقارب ساعتها: أنا لازم أروح، لأحسن أتأخرت .. مرة تانية حمدالله على

سلامتك

انتفض في جلسته: إنتي هتمشي بسرعة كدا؟ .. طب مش هأشوفك تاني؟

أفاقت لنفسها ثم حدثته بجدية وحزم: وحضرتك تشوفني تاني بتاع إيه؟ حضرتك

دلوقتي بقيت كويس وأنا دوري خلص .. بعد إذلك

خرجت دون إعطائه فرصة للحديث أو تبرير قوله؛ لم تنظر خلفها فلم تستطع رؤية الدهشة

الشديدة التي ظهرت على ملامحه ولا فمه الذي أصبح أشبه ببيضة مسلوقة.

حدث نفسه هامسا بهيام: لا لا فريدة فريدة يعني، اسم على مسمى يا .. فريدة

ابتسم بسعادة وعاد للنوم تحت تأثير البنج مرة أخرى، حيث بدأت الأحلام تتقاذفه على شواطئها.

وجدت شقيقتها تجلس أمام الباب بانتظار عودتها وقد عيل صبرها، هرولت إليها هند بعدما استبد بها الفزع من تغييبها أكثر من المعتاد: أخيرا جيتي يا فريدة .. كنتي فين قلقتينا عليكي ؟

اقتربت مرام وقد سمحت لدموعها بالهروب منذ أكثر من نصف ساعة فزعا على أختها الكبرى: كل دا؟؟؟، كنتي فين ؟ .. الساعة داخله على ستة وإنتي بتبقى هنا على ثلاثه ونص إيه اللي أخرك كدا؟؟

حاولت بث الطمأنينة داخل قلوبهن بابتسامتها: معلى والله؛ أصل الموبايل بتاعي فصل شحن وماعرفتش أتصل بيكوا أقولكوا إني هاتأخر استعادت هند بعضا من هدوءها: خير .. إيه اللي حصل؟
-حصلت حادثة

صرخت مرام: حادثة؟؟ حادثة إيه دي؟! .. إنتي كويسه ؟
دنت منها تربت على ذراعها بخفة: اهدي اهدي أنا كويسه هي حادثة كانت ع الطريق وأنا ما أقدرتش أسيبه غير لما تيجي عربية الإسعاف وبعدين المسعف طلب مني إني أروح معاهم المستشفى

استنكرت مرام فعلت شقيقتها: وإنتي كان مالك وماله .. ماكنتي سبتيه ومشيتي
والناس كانت هتتصرف .. هو إنتي من بقيت أهله ؟

نظرت لها فريدة غاضبة: مرام إنتي بقيتي أنانية لدرجة غريبة، إيه اللي عمل فيكي
كدا ؟ دا إنتي بالذات كنتي لما تشوفي عيل صغير وقع كنتي بتسبينا وتجري
تساعديه وكنتي بتزعقي للي يضحك عليه .. دلوقتي إنتي اللي بتقوليلي هو كان من
بقيت أهلك؟! مش مصدقه

ثارت أعصاب مرام: الأنانية اللي شوفتها من بابا وماما ناحيتنا .. خلنتي أبقي زيهم ..
عادي يعني .. مش بيقولوا الدم بيمد لسابع جد
تركتهم وأغلقت على نفسها باب حجرتها، تبكي على ما وصلت إليه نفسها، تحولت
قدوة الوالدين -أفضل قدوة للمرء- إلى أناس يعلمونك أسوء الصفات عوضا عن
أفضلها.

همست هند من خلف أختها: هي شوية وهتفك وتهدي لوحدها .. تعالي إنتي
أحكييلي اللي حصل معاكي بالتفصيل الممل ..

وافقتها فريدة بحزن، مدركة صحة كلامها: طيب يلا .. بس أعمل فنجان قهوة الأول لأحسن
حاسه أنه راسي تايهه مني

ظهرت أسنان هند من خلال ابتسامتها: بس كدا ؟ أنت تؤمر يا جميل وأنا اللي
هأعملها لك بإيديا يا سكر

انطلقت تعد القهوة بينما توجهت فريدة إلى غرفتها تبذل ملابسها قبل أن تلحق بأختها، أخذتها أفكارها إلى يوم سفر والدتهما لتلحق بزوجها دون إبداء عذر مقنع، فقط اكتفت بكلام لا يدخل العقل ويكذبه القلب، يومها كانت مرام أشد من تأثرا فقد كانت بحاجة والدتها وقتها أشد الإحتياج؛ فمرحلة المراهقة لم تكن قد تركتها ويبدو أنها مستمرة حتى الآن.

منزل بحديقة خلابة تدل على شدة الإعتناء بها، عدد من الأشجار الخضراء التي تثمر في مواسمها المحددة بفاكهتها ذات الرائحة العطرة والمظهر المشهي، يُسمح للعاملين بالمنزل بتقسيم تلك الثمار عليهم دون أن ينال أصحاب المنزل منها شيئاً؛ يكفيهم المظهر الجمالي والظلال التي تلقيها عليهم الشجيرات، يتوسط باحتها الخلفية حوض سباحة على شكل مستطيل وقد خصص به جزء صغير للأطفال حيث المياه ضحلة ولا خوف عليهم من الغرق فيه. أما المبنى المخصص للسكن فيه عدد لا بأس من الغرف، تستوعب أفراد العائلة الأساسيين بعائلتهم الثانوية دون الشعور بالزحام بل قد توجد عدة غرف فارغة للضيوف في الأعياد والمناسبات. يقطن ذلك المنزل الآن فقط الشقيقان أحمد وأكرم دون ذكر الخدم المقيمين بالمنزل سواء كان به سكان أو لم يكن.

كان المساء قد أسدل أستاره وتلألأت النجمات الصغار بين طيات السماء، عبر البوابة الرئيسية بسيارته السوداء الحديثة بعد إلقاءه التحية على حارس البوابة وفردى الأمن الجالسين معه، ركن سيارته في مكانها المعتاد وصعد درجات المنزل الأمامية كل سلمتين في خطوة.

فتحت له خادمة ملامحها أجنبية وابتسامتها الصغيرة ترحب بعودته، دلف إلى حيث جلس أكرم يتابع أحد الأفلام في التلفاز بانتباه.

ألقي حمل جسده إلى جوار شقيقه: السلام عليكم

رد أكرم بينما يحتسي فنجانا من الشاي: وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته

ثم أضاف عندما لمح ملامح الإرهاق فوق وجه شقيقه: تعبان؟

زفر: ميت م التعب

أوماً، عاود سؤاله: تحب تاكل؟

رد أحمد بملل: لا، ماليش نفس

هز رأسه دون أن يعلق ثم أخبره متذكرا أمرا ما: ماما وبابا وندى كلموني، بيسلموا

عليك .. بس سيف لا؛ علشان أنت اتريقت عليه ومش عاجبك إنه طالعلي

ضحك ضحكة خفيفة لم تصل إلى أذنيه: ماشي .. هما جايبين إمتي؟

زم أكرم شفتيه: لسه ما حجزوش .. حسب الظروف والمواعيد

اعتدل أحمد في جلسته المسترخية: طب تمام .. صحيح عملت إيه مع مصطفى؟

– أبدا .. أقنعتة يجي يقعد عندنا هنا لحد ما يخلص اللي وراه ويرجع المزرعة

- يعني هو هنا ؟ أومال مش سامعله حس .. من إمتى؟
- ههههههههه ما هو أتهد حيله طول اليوم ف التدوير ع اللي سرقه دا؛ فجه خالصان
وزمانه نايم ف سابع نومه .. أحمد أنت سامعني؟؟
تمدد على الأريكة وقد احتلها بجسده: ها
اغتاظ أكرم: أنت كمان روحت ف سابع نومه ؟ .. أنتوا تناموا وأنا أقعد أسقف يعني
؟ .. طب والله لأنا نايم .. هه وأدي قومه
نظر أكرم لأخيه بابتسامه خبيثة تحمل شر طفولي: طب والله ما مصحيك، بقى
معطني عن التلفزيون وبأحكيلك وأرد على سؤالك تقوم تنام وتسبني أكلم نفسي زي
المجنون؟؟ .. خليك نايم ع الكنبه بقى يا بطل
تركه شاعرا بالنصر الصغير الذي حققه على أخيه فيما التعب قد استبد بأحمد فلم
يهتم أين استسلم للنوم أو كيف .. يكفيه أن جسده قد تمدد على شئ ناعم يتلعه
دون تيبس.

صباحا في الكلية، ركضت ريم إلى صديقتها تحمل في جعبتها أحاديث تشير إهتمام
مرام إلى أبعد حد: مرام .. أنا عندي ليكي خبر بمليون جنيه
لم تنل منها سوى البرود واللا مبالاة: خبر إيه ؟
نست ريم ما أرادت إخبارها به وجذبها حالة صديقتها: مالك يا مرام ؟ فين حماسك
لما كنت بأقولك "خبر بمليون جنيه" ؟

هزت كتفيها باستهانه: عادي بقى

أصرت عليها ريم وانضمت إليها جالسة: لا مش عادي .. وأدي قاعدة، أحكيلى فى إيه بقى ؟

تهربت منها: مضايقه، شويه مش أكثر

أمسكت ريم بذقن مرام: كل دا وشوية يا خبر .. طب إيه اللي مضايك ؟

تنهدت موجوعة: البصه اللي بصها لنا دكتور أكرم قدام المدرج

استغريتها: إنتي لسه حاطها ف دماغك ؟ .. يا شيخه كبرى مخك، بقى دا اللي

مضايك ومخلى الـ 111 دول موجودين ؟

نظرت إليها بإنفعال: بأقولك بأحبه .. يعني أقل تعبير منه بيجنني ويأثر فىا

غمزتها: طب مش عايزه تعرفي الخبر أبو مليون جنيه ؟

لوت مرام شفيتها ونظرت إلى الجهة المعاكسة: لا مش عايزه

تحركت ريم حتى تصبح فى مجال رؤيتها: حتى لو قولتلك إنه عن حبيب القلب ؟

التفتت إليها بكامل جسدها وواجهتها: دكتور أكرم ؟

وقفت ريم باستقامة ضاحكة: أيوه ياختي دكتور أكرم .. أول مرة أشوف حد بيقول

للي بيحبه اسمه باللقب

هزت كتفها بدون اهتمام؛ فلا تعنيها المسميات: عادي التعود وبعدين عشان ما

أقعش بلساني قدامه .. المهم إيه الخبر دا ؟

– الدكتور عامل إعلان إنه عايز مساعدة ليه ف شغله .. إيه رأيك؟

عضت على شفتها السفلى وسألتها بغباء: طب وأنا دخلي إيه؟، دا شغله وهو حر فيه

صفتها على قمة رأسها: إنتي عبيطه ولا بتستعطي يا بت؟؟ .. دا بدل ما تقوليلي أنا هأروح أتقدم للشغلانه دي؟

صاحت بها: أنا؟ ليه؟

انهارت إلى جوارها مرة أخرى بعد أن عيل صبرها: لا لا إنتي بجد هبله .. فرصة يا موكوسه تقربي منه وتحسسيه بمشاعرك ناحيته .. وأهو تمنعي أي واحدة إنها تقرب منه .. ولو في تبقي تعرفي هي مين

مرام بتفكير: فكرك كدا؟ هو هيقباني أصلا؟

حركت رأسها دليل عدم معرفتها: جربي .. إنتي خسرانه إيه؟

جمعت أشياءها ونهضت مسرعة: طيب .. أنا هأروح دلوقتي يلا سلام

ضحكت ريم على حالها الذي انقلب فجأة، ودعتها داعية لها بالنجاح، شعرت مرام

أن الدنيا فتحت لها أبوابها على مصرعيها وأن ملائكة الحب قررت معاونتها، دب

الحماس في فؤادها وتمنت ألا يخيب الله رجاءها في قرب من أحبت.

عاد من مقابلة العمل إلى الشركة منهكا، كان عميلا ذو بال طويل، أعله حتى استطاع الحصول منه على الصفقة، لعق شفثيه اللتين تشقتا من الجفاف، عقد العزم على شرب زجاجة كاملة من الماء تروي عطشه حالما يصل إلى مكتبه. أوشك على الدلوف إلى مكتبه عندما تذكر الملف الموجود في حقيبته الجلدية المعلقة على كتفه الأيمن، زفر متأففا وقد قرر التحلي لدقيقة عن زجاجة المياه، توجه إلى مكتب سكرتيرته ووقف أمام بابه لكي يُخرج الملف الواجب عملها عليه وإنهاؤه خلال اليوم، سمع هممته الخافتة كأنها تحادث شخصا آخر. طالعها من شق الباب الذي نسيته مواربا، مع استمرار حديثها تبدلت بعض ملامحها، انتفخت أوداجه وصر على أضراسه فيما جعلت قبضتيه الملف. استدار وأتجه إلى مكتبه، كان يشك في خيانتها حتى أنها منحها معلومات خاطئة عن آخر صفقة ستنفذها الشركة، أراد قتل الشك ودرأ الصدع الذي بدأ يتسع بينه وبين سكرتيرته المخلصة، لكنها تابى البراءة وقد تمسكت بالدناءة.

كان مستغرقا في قراءة أحد المراجع الخاصة بدراسته وتعطيه المعلومات التي يرغبها كما تنمي خبرته بخبرات من خطها، أتاه طرقا خافتا على الباب يدل على استحياء صاحبه، أمر الطارق بالدخول دون أن يرفع عويناته إلى الباب أو الدالف.

تنحنت مرام ومازالت تقف على أعتاب الباب ويدها معلقة فوق مقبضه: دكتور
ممکن أدخل؟

ترك المرجع ونظر لها منتبها: أكيد

دخلت وتركت الباب مفتوح؛ عادة تعلمتها من شقيقتها عندما كانت تفعلها في زيارة
أحد أقاربهم في عدم وجود والديها.

- دكتور أنا كنت عايزه أتقدم للوظيفة اللي حضرتك أعلنت عنها

استقام في جلسته: وإنني تقدرني تستحملي الشغل معايا؟

استشعرت الحرج: إن شاء الله يا دكتور

حذرها: بس خلي بالك أنا صعب جدا ف الشغل وطلباتي كتير

أومات: وأنا تحت أمرك

طالبها بتوضيح: طب وإيه اللي خلاكي تتقدمي للوظيفة دي؟

فكرت فيما يمكنها قوله، أتخبره أنها جاءت لتبقى بجانبه أم لتعرف مكانتها لديه أو

إذا كانت هناك أخرى في حياته .. أو لتجعله يشعر بها ويحبها، لا، بالطبع لا يجب

قول مثل هذا الكلام.

استجمعت شتات أفكارها وقالت بثقة: عشان أخذ خبرة من حضرتك ومن الشغل

معاك يا دكتور

- دي شهادة وثقة أعتز بيها .. طيب هتبدأي شغل من بكره، ووقت المحاضرات أنا

مش هاكلمك عنه .. هاأعتبره وقت الراحة بتاعك

– أوكيه يا دكتور .. عن إذنك

أذن لها بالخروج: اتفضلي

خرجت وأغلقت الباب خلفها بهدوء كأنها تخاف على رضيعها من الاستيقاظ، فور سماعه صوت إقفال الباب.

لكن هناك تساؤلات أخرى فُتحت في رأس أكرم عندما دخلت لم تغلق الباب فلماذا؟، من الجائز أنها لم تنتبه، لما تقدمت للوظيفة وهي تبدو مستهترة ولا تستطيع تحمل مسؤولية نفسها فكيف الحال بمسئولية وظيفه وعمل جاد.

حدث نفسه بصوت مرتفع: هو أنت لسه شوفت شغلها؟؟ لما تشوف أبقى أحكم وأتكلم

ثم عاد يفتح مرجعه ويضع نظاراته فوق أنفه من جديد حتى استغرقه الموضوع ومر الوقت دون شعور.

من شدة فرحتها لما تكن تنظر أمامها مما أدى إلى اصطدمها بشخص مار في ردهة المبنى المخصص للقسم الذي يحتل أكرم منصبا فيه، أوقعت ما بيده من أوراق وملفات، تأوهت بشدة ثم هبطت راکعة إلى جواره تعاونه على جمع ما سقط.

–مش تحاسبي يا آنسة شوية؟؟

هاجمته متممة مهمة جمع الملفات: مش لما تفتح أنت الأول؟

استغرب هجومها فهو مدرك تماما مثلها أنها المخطئة: أنا اللي أفتح بردو؟ .. ما

إنتي اللي ماشيه مش باصه قدامك

دعس على مكابح السيارة فجأة وبقوة شديدة كادت تقذفهم عبر زجاج السيارة الأمامي، صاح به أكرم مدعورا: إيه يا بني! أنت أتجننت ولا إيه؟ حد يقف بالطريقة دي؟

تعلقت حدقات مصطفى بنقطة ما ينظر إليها عبر النافذة المجاورة لأكرم، أوماً برأسه إلى الجهة ذاتها: بص شوف مين هناك ..

نظر إلى المكان الذي أشار إليه فوجد رجل ومعه فتاة يتحدثون سويا أمام إحدى المكتبات، استفسر أكرم مطالبا بمزيد من الإيضاح ونظره لم يتحرك عنهما: مالهم يعني؟ واحد وواحدة بيتكلموا .. عادي، إيه الغريب في الموضوع؟

رفع أحد حاجبيه مدليا بتصريحه الصاعق: دا هشام .. مدير المزرعة اللي سرقني

فغر أكرم فمه من الدهشة: نعم!؟

بينما هما يتحدثان صعد هشام إلى سيارة أجرة أنطلقت به فيما أكملت الفتاة طريقها في الإتجاه المعاكس بهدوء وخطوات قوية تعرف وجهتها.

هتف غاضبا: والمصحف ما أنا سيبه

أدار مصطفى سيارته وأنطلق خلفه؛ لكن بعد مرور سيارة الأجرة من الإشارة أصبحت حمراء وأضطر للوقوف حتى أختفت من أمام عينيه دون أن يفعل شئ.

ضرب على عجلة القيادة بعنف: ابن ال*** حظه نار .. بس هيروح مني فين، هأجيبه هأجيبه ..

الأيام بيني وبينه لسه كثير

قلق أكرم على صديقه من تلك اللهجة: خلاص يا ابني هدي نفسك .. ربنا مش هأسيب
حقك يروح، بس يلا أكلني هأموت منك كدا

لمع الغضب في عيون مصطفى: دا أنا اللي مش هأسيبه .. حاضر يا عم الفجعان أدينا رايعين

أكملوا طريقهم إلى المطعم ليتناولوا وجبة السمك الموعودة، حاول خلالها أكرم
إثناء صديقه عن وعيده، يحذره من أن الأفعال التي نفعها بكل رضى أثناء الغضب
ورغبة في الإنتقام ندم عليها فيما بعد عندما ينطفئ الغضب وتخمد نار الحقد، لكن
هيهات أن يستمع له في هذه الحالة؛ فكذلك أوقات الغضب تسد الأذان عن سماع
النصيحة ويمتنع العقل عن التفكير بالنتائج، فقط يفكر في ماهية إطفاء نيران
الغضب المستعرة حتى وإن تلتها أغلال الندم القاتلة.



الفصل الخامس

الساعة السابعة صباحا في مصر هي إختصار للكثير من الكلام والوصف، بداية من عربة الفول التي يتجمع حولها الناس وبالأونة الأخيرة بدأت النساء أيضا بالتجرؤ والوقوف عليها لتناول الإفطار.

الطفل الذي تركض والدته خلفه لاهثة؛ خوفا من إنطلاق سيارة المدرسة قبل إعطائه نصيبه من الشطائر.

والأطفال الذين قرروا الذهاب مبكرا وعدم مقاومة محاولات والدهم المستميتة لإيقاظهم؛ حتى يقفوا أمام بوابة المدرسة، يلعبون بالكرة حتى ميعاد طابور الصباح.

والرجل الذي يعمل في إحدى مصالح الحكومة وفوجئ صباحا أن السيارة ترفض الدوران قبل أن تنال دفعة مشجعة، يطل برأسه ينادي مجموعة شباب متوجهون إلى عملهم أو كلياتهم طالبا منهم "أدي زوبه زقه" وابتسامة الاعتذار لا تتزحزح عن شفتيه، قابلوها بابتسامة ود وعدم إنزعاج.

العديد من البشر يسيرون، على ملامحهم مختلف الخلدات، من يأس، من روتين حياته والآخر مستبشر بيوم جديد وشمس يوم آخر والمحبط والمتفائل ...، مختلف أنواع البشر ومختلف أنواع التعبيرات والقصص.

-صباح الخير يا حاج عبدالصمد

-صباح الخير يا بنتي

دخلت تبدأ عملها وشرعت في ترتيب الكتب التي جاءت حديثا للمكتبة على الأرفف، مليئة بالهمة والنشاط.

أحد أسباب قبولها العمل في المكتبة هو عشقها الأبدي للكتب، يكفيها أن تشم عبق التاريخ وخبرات الكتّاب حتى تشعر بالراحة والهدوء، خبرة سنوات لُخصت في أسطر، تُكسب المرء أعمارا فوق عمره.

نسيت مرور الوقت ودوارن عقارب الساعة حتى نهض الحاج عبدالصمد من خلف مكتبه: أنا هأروح أصلي الظهر وأجي يا فريدة مش هاتأخر عليك يا بنتي

أومأت باسمه: ماشي يا حاج .. تقبل الله مقدا

غادر الحاج عبدالصمد متعكزا على عصاه الخشبية: تسلمي يا بنتي

-مساء الخير

تركت فريدة ما بيدها من كتب واستدارت ترى الزبون القادم، وتستعد لتوفير طلباته.

-مساء النور .. أقدر أساعد حضرتك ف حاجه ؟

تأملها بجرأة قبل أن يدمدم متمهلا: أنا صاحب هشام عاصم

استغربت نظراته وطريقة حديثه؛ فلم تسعفها ذاكرتها بالسرعة الملائمة: أفندم ؟ مين دا ؟

بدأ يفقد أعصابه لشعوره بكذبها: إحنا هنستعبط من أولها ولا إيه ؟ .. هشام عاصم اللي كان هنا إمبراح .. وكان خارج معاكي من هنا ع الساعة تلاته وركب التاكسي وجري اتسعت عينيها للهجته في الحديث: أنت إزاي تسمح لنفسك تكلمني بالطريقة دي؟ وبعدين أنا فعلا ما أعرفوش

مال عليها مستجوبا: أومال كان واقف يكلمك قدام المكتبة ليه ؟

عقدت فريدة ذراعيها أمام صدرها في حركة دفاعية: أنت مش ملاحظ إن حضرتك بتدخل ف حاجه أنت مالكش فيها ؟ حتى لو كنت صاحبه فعلا

حاول مصطفى تمالك أعصابه: أنا عايز أعرف مكانه دلوقتي .. لو سمحتي بكل هدوء قوليلي .. مكانه فين؟

ضاقت عيون فريدة: مش غريبة .. بتقول إنه صاحبك ومش عارف مكانه فين وجاي تسألني ؟ صاح بها فاقد السيطرة على ذاته نتيجة منطقتها وتحوله إلى مذنب: يوووه هتفضلي ترغي كدا كتير ؟ .. هو فين يعني !؟

شردت بعيدا بخيالها: ما أعرفش .. أنا ساعدته بس لما حصلت الحادثة وبعدها هو

تذكرت عندما جاء في الأمس فيما تسلم سيدة كتاب عن قصص الأطفال حتى تقرأها لابنها قبل النوم، لأنه لا يستطيع النوم إلا بعد سماع إحدى القصص، وهي قد أنهت كل ما في جعبتها .. فصار يجدها مملّة وأصابه السأم.

بعدها غادرت هذه السيدة دخل عليها هشام قائلاً:

- مساء الخير .. عامله إيه؟

- أهلا .. أنا اللي المفروض أسأل حضرتك عامل إيه بعد الحادثة اللي حصلت

ضحك هشام: أديني قدامك أهو صاغ سليم .. الحادثة دي بالنسبة ليا تفاهات .. أنا حصل

فيا أفضع من كدا .. بس تقدر تقولني إني زي القطط بسبع أرواح

بابتسامة بسيطة لم تصل حدود منتصف وجنتيها: طيب الحمد لله

- أنا جيت أشكرك ع اللي عملته معايا

- لا شكر على واجب .. وبعدين حضرتك شكرتني ف المستشفى ماكانش في داعي تيجي

تاني هنا بنفسك تشكرني، و حضرتك لسه قايل إن الحادثة دي تفاهات بالنسبة لغيرها

- بردو ماكانش ينفع أعديها من غير ما أشكرك

استغربت إصراره: طيب العفو .. بس حضرتك عرفت مكاني مينين؟

هشام بمكر: أبدا، جيت مكان الحادثة وبعدين افتكرت إنك قولتيلي إنك بتشتغلي ف مكتبة
قريبة منها .. دخلت كل المكتبات اللي هنا لحد ما لاقيتك
قطبت حاجبيها دهشة: صدقني ماكانش في داعي لكل اللفة دي
مال تجاهها بشكل ملحوظ: علشانك أي حاجه يقالها داعي
تراجعت خطوات معدودة باحراج: طيب .. بعد إذذك بقى لأنه دا معاد مرواحي
أسرع هشام مستغلا الفرصة عن طيب خاطر: طيب تعالي أوصلك
رفضت عرضه: لا شكرا، البيت مش بعيد وأنا بأحب أخذها مشي
استسلم متأكدا من عدم قدرته على إقناعها: طيب زي ما تحبي
خرجا سويا من المكتبة، وقفنا أمام الباب بعد أن استدار إليها مودعا: يلا خلي بالك من نفسك
.. سلام

هزت رأسها: مع السلامة

عادت بعينيها إلى الواقف أمامها ولا يفصل بينهما سوى المنصة التي تباع من خلفها: دا اللي
حصل لكن أنا ما أعرفوش

أوما مصطفى مصدقا أقوالها، لا يعرف سبب ذلك: أها .. شكلك ما تعرفهوش فعلا

هزت رأسها: أنا قولتلك اللي عندي .. بعد إذنك بقى، أهو الحاج عبدالصمد جه وأنا لازم
أمشي .. سلام

شعر بالصدمة إنها فجأة تتركه وتغادر دون أن تنتظر منه أي رد أو السماح لها بالمغادرة، وجد
نفسه يلحق بها ويسرع الخطى دون أن يدري سببا لذلك أيضا.

تمتم من خلفها لاهثا: أنا آسف والله يا آنسة، مش آنسة بردو؟

تقبلت أسفه دون أن تعير سؤاله أدنى اهتمام: خلاص ما حصلش حاجه

لاحظ أنها قصدت تجاهل سؤاله فشعر بالغضب لأنه يريد معرفة إذا ما كانت آنسة أم لا، لكن
دون أن يعرف سبب ذلك .. كذلك، فقط شعر برغبة في المعرفة ليس أكثر.

قرر مصطفى أن يجعل الحديث بينهما دائرا حتى يصل إلى مبتغاه: ما حصلش حاجه إزاي ؟ دا
أنا كنت قليل الأدب معاكي أوي

ألقت عليه نظرة من طرف عينها: كويس إنك عارف

صدم من صراحتها: ما هو إنتي ما تعرفيش هو عمل فيا إيه

هزت كتفيها بلا مبالاة: ومش عايزة أعرف .. ممكن بقى تبطل تمشي ورايا

تجاهل طلبها الأخير ردا على تجاهلها السابق لسؤاله: بس لازم أحكيك أكيد هتعدوريني ..

ممكن أعزمك على حاجه نشربها أو حتى نتغدى وأحكيك

زمت شفيتها حنقا: لا أنا عذراك من غير ما أسمع حاجه .. ومش باتغدا مع حد

- طيب براحتك .. بس هو سرقني عشان كدا بأدور عليه

وقفت بسبب صدمتها من السبب، فكيف لمدير مزرعة أن يسرق؟ وماذا سرق؟، مظهره لا يدل على أنه لص أو سارق، أنه بحاجة إلى أموال غيره.

فيما استغل مصطفى فرصة وقوفها: سرق من خزنة المزرعة كل الفلوس، دا غير تزويره ف حسابات المزرعة للسرقات اللي كان بياخذها أول بأول

نظرت له مندهشة: وحضرتك كنت فين لما كل دا كان بيحصل؟

اعتره الحرج: ماكنتش مركز ف المزرعة أوي .. كنت مشغول بحاجات تانية

خجلت من تدخلها في شئ لا يعنيها: ربنا يعوضك وتاخذ حقلك بإذن الله

ابتسم: إن شاء الله .. أتمنى إنك تكوني عذرتيني دلوقتي

لامته: ما أنا قولت لحضرتك أنا عذراك من قبل ما تقول

غمزها بشقاوة: طب تمام .. يعني صافية لبن؟

ردت مبتسمة من أسلوبه: حليب يا قشطة

هدأ داخله قليلا لمراى بسمتها بينما اشتعل جزء آخر في أحد أركان قلبه: طيب تسمحي لي

أوصلك؟ أنا عربيتي مش بعيدة من هنا

أشارت بأصبعها إلى أحد الشوارع: لا متشكرة .. أنا خلاص بيتي على أول الشارع اللي جاي
مش بعيد .. بعد إذنك

ذهبت تاركة إياه يقف بمفرده في منتصف الطريق ينظر إليها حتى غابت عن عينيه وابتلعها
إحدى البنايات السكنية.



الفصل السادس

دقت ساعة الجامعة معلنة تمام الساعة، انتفضت مرام واقفة عندما سمعت صوت أكرم

يحدثها: آنسة مرام

نظرت إليه واستفسرت: أفندم

- روعي مكتب دكتور سامر واسأليه فين الورق اللي كنت طالبه منه

أومأت طائعة: حاضر .. بس فين مكتب دكتور سامر ؟

أوضح لها الطريق: هتلاقيه جنب مكتب الإدارة بتاعت الكلية اسألي هناك وهما هيقولك مكان

مكتبه بالضبط

- تمام يا دكتور .. عن إذنك

وصلت لمكتب دكتور سامر بعد أن اتبعت إرشاداته ولم يستغرقها معرفة مكتبه وقتا طويلا؛ فقد

علقت لوحة تحمل اسمه بطريقة مزخرفة جذابة على باب أحد المكاتب، قبل أن تطرق الباب

ظهر أمامها آخر من توقعته رؤيته.

صوت ساخر عطلها عن دق الباب: إنتي تاني ؟ وجايه ليه المرة دي ؟ .. مع الأسف

مش ف إيدي ملفات توقعيها لي

شعرت بالغيظ يتملكها: ومين قال إني بأدور عليك أصلا؟! دا إيه تلاقيح الجتت دي

.. وبعدين مش شايف إنك واثق ف نفسك زيادة عن اللازم؟؟

ظلت صامته لا تجيب، شاردة في عالم آخر، إزداد قلق فريدة عليها وجعلها تقطب: في إيه بس يا هند؟ إيه اللي جرا؟

زفرت هند وأخرجت الحريق بداخلها على هيئة كلمات: أمك وأبوكي مش هينزلوا السنة دي كمان، ماما اتصلت قبل ما تيجي عشان تقولي كدا

تمالكت إحباطها وبدأت تلتمس لهما الأعذار: أكيد حصل معاهم حاجة تاني

نظرات هند تلومها على كلماتها غير المنطقية: إنتي مقتنعة باللي بتقوليه؟ دول هيبقوا أربع سنين

ابتسمت لها بحزن: يعني ف إيدنا إيه؟ ما تحطيش الموضوع ف دماغك وربك يسهلها .. إلا صحيح .. لسه ما لاقتيش شغل؟

تنهدت: لا .. ما بينلهاش شغل

جلست إلى جانبها تبث بها روح الحماسة: ليه الإحباط دا بس يا بنتي .. واحدة خريجة إدارة أعمال بتقدير إمتياز ومش هتلاقي إزاي؟ .. هتلاقي ماتخافيش ربك موجود

- ونعم بالله

داعبتها مازحة: إيه رأيك بقى أعملك إنهارده حتت صينية مسقعة باللحمة المفرومة من

بتاعتي اللي تخليكي تاكلي صوابع إيدك ورجلك وراها؟

ضحكت بصخب: صوابع رجلي إيه يا منيله .. جاتك القرف

- طب الحق عليا يا ستي كفايه إيدك .. يلا قومي بينا نجهزها قبل ما مرام المفجوعة تيجي

وتاكل صوابع رجلي ورجلك اللي مش عجاكي دي

- أه والله معاكي حق ههههههههه

نهضتا سويا تتساعدان في إعداد الطعام، الأيدي تعمل والعقول تشرد، تهرب من الواقع وتعيش في تخيلاتهما، السلبية منها أو الإيجابية حيث تتحكم في تلك النقطة الحالة النفسية لصاحب العقل ومزاجه.

وقفت أمام خزانة بالمكتب تضع بها بعض الملفات وتستكشف أخرى بحثا عن غرضها، سمعت طرقا يتلوه صوتا، تجزم سماعها له من قبل؛ فالتفتت مستطلعة القادم.
- أكرم موجود؟

نظرت إليه مستغربة: اسمه دكتور أكرم يا كابتن .. وبعدين عايزه ف إيه ؟
خرج أكرم من مكتبه الملحق بالغرفة التي تحتلها مرام، نظر إلى كليهما رافعا حاجبيه ثم بدأ بالترحيب بزائره.

قبض أكرم على كف صديقه بشدة: أهلا بسموره حبيبي
بادله سامر الترحيب بابتسامة صادقة: أهلا بيك يا عم، مش بتسأل غير عشان شغل
بس .. ها!

- لا طبعا .. بس أنت عارف مشغول أد إيه

- عارف طبعا

- اللي ف إيدك أكيد الملف اللي أنا عايزه صح؟ .. طب تعالى ندخل المكتب نتكلم

شوية ونشرب حاجه مع بعض .. عشان ما تقولش شغل بس

- ههههههه ماشي يا سيدي يلا بينا

سبقة أكرم بالدخول إلى مكتبه بينما سامر يلحق به متلكنًا، قبل أن يدخل ويغلق الباب

خلفه نظر لمرام نظرة إنتصار وتشفي من الموقف الذي أصبحت فيه قائلاً: كابتن ها ؟

.. لما نشوف مين اللي كابتن يا .. آنسة ههههههه

ظلت في صدمتها حتى سمعت صوت إغلاق الباب، شعرت بالغضب الشديد من كلماته الأخيرة

وتسرعها في التعامل معه كأنه أحد الخدم الموكلين بتنفيذ طلباتها.

- هو في دكتور كدا يا ربي .. هو دا منظر دكتور أصلا .. وله في خلقه شئون

وقف والغضب يملئ كل خلجة من خلجاته، أطلق كلماته وهو يدور حولها كالفهد

الذي يحاول صيد فريسته فيرهقها بإشعارها بالقلق وانتظار الفتك بها في أية لحظة؛

حتى تسقط صريعة، فلا تتلوث يداه بمهاجمتها يكفيه تناولها بعد أن قدمت نفسها

على طبق من فضة.

- إنتي إزاي تخونيني بالشكل دا .. أنا كنت بأعاملك أحسن معاملة .. ويتاخدي مرتب أحسن من أحسن سكرتيرة تانية وف الآخر تسربي أسرار الشركة وشغلي لشركات منافسة!؟

توترت بشدة: أنا .. أنا .. أنا

اشتعل غضبه أكثر من عدم دفاعها، حالتها أشعرته كأنه عزرائيل جاء لقبض روحها: إنتي خاينة وأنا ما بأشتغلش مع ناس خاينين، ولولا إن والدك -الله يرحمه- كان راجل محترم وخدم الشركة بعينه لسنين طويلة، أنا كنت بلغت عنك ووديتك ف ستين داهيه .. لكن هاكتفي بطردك

انهارت سهيلة في نوبة بكاء شديدة: بس يا أستاذ أحمد .. مش هأعرف أعيش ولا أأكل إخواني

التفت إليها ساخرا، خاطبها بقسوة: كنتي فكرتي ف كدا قبل ما تعملي المصيبة اللي عملتها، إنتي باللي عملته دا خسرتي الشركة خسارة كبيرة، الشركة اللي بتأكلك إنتي وإخوانك عشان كام مليم .. هيرمهوملك ومش هتلقني تتمعي بيهم؛ لأنك هتلاقيهم اتبخروا، دا المال الحرام يا أستاذة .. أخرجني برا دلوقتي وما أشوفش وشك تاني ولا تعدي من قدام باب الشركة حتى

خرجت سهيلة منهارة في بكاء هستيري، تعض على أناملها من الندم على ما ارتكبتها يداها وصنعتة بمن فعلوا فيها المعروف، لكن ماذا يفيد الشاه سلخها بعد ذبحها؟.

قابلها أكرم عند الباب الأمامي للشركة، استغرب بكائها كذلك الصوت العالي الذي سمعه من الداخل يتعالى، ناهرا أمرا، يلقي الملامة على كل من تقع عيناه عليه. أسرع أكرم إليه وهو يقف بين العاملين، أشار ناحية الباب الذي خرجت منه سهيلة مستفهما: هي مالها دي؟

أدار ظهره وأتجه إلى داخل حجرتة، رمى جسده بتعب من إنشداد أعصابه كأوتار العود، لحق به شقيقه وأعاد تكرار استفساره، أجابه أخيرا ببرود: سربت أسرار للمنافسين فطردها

صدمه هذا التصريح البسيط: سهيلة؟! أنت متأكد؟

عادت عصيته للظهور: أومال هأتبلى عليها مثلا؟ ما أكيد ما أتهمتهاش غير لما اتأكدت

جلس أمامه: طيب هدي نفسك .. أنا بس ما توقعتش إنها تعمل كدا

تنهد وفرك وجهه بين أصابعه: ولا أنا .. بس أهو دا اللي حصل

- طب وهتعمل إيه دلوقتي؟

- أبدا .. هأشوف سكرتيرة غيرها وأحاول أعوض الخسارة اللي اتسببت فيها

- وأنت هتلق تلاقى سكرتيرة جديدة إمتى؟

هز كتفيه بلا حول: أي سكرتيرة م اللي ماليين الشركة لحد ما ألاقي حد أثق فيه

وكويس إن بكره الجمعة أهو يبقى في مهلة أكبر عقبال ما اتصرف

زم أكرم شفتيه بأسف: الله يعينك بصراحة .. أنا هأبقى أشوفلك الموضوع دا، ركز
أنت ف شغلك وأنا هأشوفلك سكرتيرة كويسه .. بس صحيح عرفت منين إن هي
اللي سربت المعلومات ؟

شرد مدركا هول فعلته بالوثوق فيها إلى حد تجرؤها على الغدر: هي الوحيدة اللي
بتعرف أهم الأمور .. وبعدين لما بدأت أشك بقيت أقولها حاجات غلط ومش
بأقولها لغيرها واكتشفت إنها بتقولها بالظبط لشركة منافسة
غمزه ضاحكا: أه يا ابن الأرويه -سوري يا ماما- .. لا لا صحيح من عيلة السويفي
أمال أحمد رأسه قليلا وعيونه تلمع بالتسلية: أو مال يا بني .. هأدير الشركة إزاي
وأحافظ عليها لو ما عملتش كدا .. دا أنا أقعد ف البيت أخرط بصل أحسن
نهض أكرم: ماشي يا عم المدير يلا نروح بقي، لأحسن أنت شكلك اتهديت وأنا
هأموت من النعس
وقف أحمد يتناول سلسلة مفاتيحه وهاتفه المحمول ويتأكد من عدم نسيانه لشيئ
ما، بعد تأكده استدار إلى أخيه رابتا على كتفه حتى يتقدمه، أغلق الباب بعدما ألقى
نظرة شاملة نهائية في أرجاء الحجرة.

ارتمت مرام وهي تضع يدها على معدتها، تجلس مع إخوتها أمام شاشة التلفاز
يشربون القهوة بعد وجبة دسمة من الغداء.

-الله تسلم إيدك يا فريدة .. بجد دي كانت حنت صينية إنما إيه .. لوز

حدقت مرام في فجانها قائلة بتروي: لا أبدا، أصلك يوم ما بيتصلوا بتبقي مش على بعضك

رفعت هند حاجبيها بتوتر: أنا؟ أبدا.. عادي يعني

أنهت مرام الجادل معلنة النتيجة النهائية: مش هينزلوا السنة دي كمان صح؟ نظرت الشقيقتان لبعضهما لا تديان بما تجيبان على أختهم الثالثة، كيف يصرحون بصدق حديثها دون أن تثور ثائرتها.

تناولت مرام رشفة من قهوتها دون أن تذق لها طعما، وقالت بسخرية: ما تردوش أنا عرفت الإجابة خلاص، نفس الإجابة اللي سمعتها 3 مرات قبل كدا ودي الرابعة.. خلاص اتعودت.. أنا هأدخل أنام بقى، تصبحووا على خير.. وأه على فكرة هأنزل بكره؛ في شغل الدكتور عايزني أخلصه

دخلت مرام غرفتها وتركت إختها بلا حول ولا قوة، لا يعلمون كيف يخففون عنها ما تشعر به؛ لأن جميعهم بدون استثناء لديهم ذات الشعور؛ من الفراغ وقلة الحيلة، لكن يختلفن فقط في ردود الأفعال؛ فقد فهموا من حديثها أن والديهم لم يعودوا يثيرون بها أدنى اهتمام ولم تعد مبالية إذا عادوا أو ذهبوا.

لكن لو فتحوا عليها الباب بعد لحظة من دخولها حجرتها لشاهدوا أنهارا وليس مجرد دموع لفتاة منذ كانت في الثانوية ومازالت بصفائرها لم ترى أهلها، تشعر بشعور الأيتام على الرغم من أنها رسميا ليست يتيمة.

دقت الباب قبل أن تسمع الإذن، كانت قد فتحت الباب ملقبة التحية: صباح الخير

يا دكتور

رفع أكرم بصره إليها باسمها: صباح النور .. آسف إني نزلتك يوم الجمعة .. بس إنتي

عارفه؛ عايز أخلص

أزالت عنه الحرج بابتسامه: لا ولا يهملك يا دكتور .. أنا مبسوطه بشغلي مع

حضرتك

تنهد في راحة: طب تمام .. قبل ما نبدأ بأي شغل، عايزك تتصلي بمكاتب التوظيف

وتطلي سكرتيرة

حدقت فيه بفرع: هو أنا ضايقت حضرتك ف حاجه ؟

نظر لها مستغربا حالة فزعها : لا

ثم أردف موضحا: هي مش علشان دي عشان أخويا .. محتاج سكرتيرة

نفخت براحة: ااا .. طيب ليها مواصفات معينة ؟

بعد تفكير أجابها: أه تكون أمينة .. محترمة .. تهتم كويس بشغلها وأهم حاجه

تستحمل الشغل مع أخويا؛ لأحسن دا عامل زي التور المربوط ف ساقية ..

وتستحمل عصبينه

أومأت كاتمة ضحكتها: حاضر هأتصل بيهم فورا

توقفت فجأة، لكن .. ألا تناسبه هند؟، حدثت نفسها بصوت هامس: ما هي ليها
ف السكرتاريا ونفسها تشتغل، وبعدين هو هيلقي زيها فين؟ .. اتصل بيها اسألها؟
.. هتفرض أنا عارفه دماغها زي القفل .. أنا هأدبسها دا أحسن حل
طرقت مكتب أكرم من جديد ودخلت تاركة الباب مفتوح كعادتها، وقفت أمامه
مستقيمة العود.

استفسر مستغربا سرعة رجوعها: اتصلتي بيهم؟

تنحنت بحرج: بصراحة لا

زاد تعجبه: ليه؟

هزت كتفيها: أصلي مش محتاجه أتصل بيهم .. أنا عندي واحدة جاهزة

ترك قلمه وأنتبه لحديثها: بجد؟ مين؟

- أختي .. هند

كرر: أختك؟

شرحت بحرج: أيوه .. أختي متخرجة بقالها سنة من إدارة أعمال بتقدير إمتياز .. دا

غير الكورسات اللي كانت بتاخذها، أدربت فترة ف مكتب بس سابته لأن نظام

الشغل ما عجبهاش

أمسك أكرم بهاتفه: ما شاء الله .. تمام هاكلم أحمد وأحدد معاه معاد

مرام بفرحة: تمام

اتجهت للباب مغادرة الغرفة، صيحة باسمها منعتها وجعلتها تستدير إلى صاحب الصوت بتمهل، عيونها تطلب توضيحا عجز لسانها عن نطقه، لقد شعرت برنة مختلفة لاسمها عكس كل مرة تسمعه من ذات الشخص.

—أيوه يا دكتور

ضاقت عيونه: إنتي ليه بتقفلي الباب وإنتي خارجة بس تسبيه مفتوح لما تدخلني بهدوء شديد فيما عقدت كفيها أجابته: علشان أنا وحضرتك ماينفعش نقعد سوا ف نفس الأوضة والباب مقفول علينا .. الرسول —عليه الصلاة والسلام— قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس لها محرم فإن الشيطان ثالثهما) — صدق رسول الله —صلّ الله عليه وسلم— .. بس إنتي يعني ..

عجز عن إكمال جملته وشعر بالخرج من فضوله وتدخله في ما لا يعنيه، توصلت بعقلها إلى إتمام الجملة.

بابتسامة متفهمة: علشان لبسي يعني وشعري ما توقعتش إني أعرف أوامر الرسول ؟ .. بس معاك حق إزاي أعرف أوامر الرسول وربنا وما أنفذهاش ؟ .. أنا ممكن ألبس الطرحة زي ما في بنات كتير عامله بس عن عدم إقتناع وراحة، هألبسها بس تنفيذ أوامر مش أكثر مع احترامي أنها أوامر ربنا؛ بس أنا عايزه أنفذهها وأنا راضية علشان لما ألبسه ألبسه صح .. يعني ما ألبسوش على كم وأروح أشمره، ولا أبين قصه من شعري، ولا ألبسه على بنطلون ضيق .. إلخ من اللي حضرتك أكيد بتشوفه، فأنا

عندي أفضل من غيره أحسن ما أعمل اللي باقي البنات بيعملوه، بيلبسوه موضة
مش أكثر .. عن إذنك

خرجت مرام وتركته يندesh من طريقة تفكيرها، حدث نفسه: وأنا اللي كنت فاكـ
إنك تافهة زيك زي باقي البنات .. ما أنت كنت فاكـ إنها مش هتعمـ معاك ومش
هتستحمل الشغل معاك هتطفش منك، جات على دي؟ .. شكلك كلك أسرار
وهأعرف عنك حاجات أكثر وأكثر .. لما نشوف إيه اللي وراكي يا مرام هانم.

-إنتي بتدبسيني يا مرام هانم ولا إيه؟؟

رفعت مرام قدميها على الطاولة أمامها متابعة بدهشة وهيام: تدبيسه؟ بقى الشغل
مع أحمد السويفي ف مجموعة شركات السويفي دي تدبيسه؟ .. دي تبقى أحلى
تدبيسه ف عمرك كله أصلا

صرخت بها هند: أيوه تدبيسه، لما تحددى المعاد معاهم من غير ما أعرف حتى،
تبقى تدبيسه .. وكمـ سكرتيرة؟!

نظرت إليها مرام حانقة: ومالها السكرتيرة؟ هو إنتي هتبقى سكرتيرة أي حد؟ دا
إنتي هتبقى سكرتيرة أحمد السويفي صاحب الشركة ورئيس مجلس إدارة
مجموعة السويفي

زفرت هند بحدة: سويفي سويفي .. أنا لا يهمني سويفي ولا بتاع، سويفي على
نفسه مش عليا .. ومش هأروح المقابلة

نهضت مرام وتمسكت بكتفي أختها وتقبلهما استرضاء لها: كدا يا هنوده،
تكسفيني قدام الدكتور بعدم مرواحك دا ؟

نظرت لها هند بانتصار: وأنا مالي ؟ .. ما إنتي اللي دبستيني مش أنا اللي
حددت المعاد معاه

ضمت مرام شفيتها بخبت: خلاص براحتك .. بس إنتي اللي هيبقى شكلك
وحش

نظرت إليها هند بطرف عينها: ويبقى شكلي وحش ليه بقى إن شاء الله ؟
تظاهرت أنها تخرج شئ عالق بين أظافرها: أصل أنا قولتله إنني قولتلك وإنك
إنتي اللي حددتي المعاد، وطبعا لو ما روحتيش هيقولوا مش ملتزمة بمواعيدها
ومش بتتحمل المسؤولية

كزت على أسنانها، تكاد تنفجر من الغيظ: كمان يا مرام، إنتي زودتها
أوووي

تدخلت فريدة أخيرا تحاول إمتصاص غضب هند: خلاص يا هند روحي شوفي
الشغل يمكن يعجبك

استدارت هند إلى شقيقتها الأخرى شاهقة: إنتي كمان يا فريدة ؟! يعني بعد كل
الكورسات والدراسة اللي تعبت فيها .. أبقى سكرتيرة ؟

حاولت فريدة إقناعها بهدوء: ومالها السكرتيرة يعني ؟ مش شغلانه محترمة بردو؟
.. وبعدين ما أنا أهو خريجة طب بيطري وبأشتغل ف مكتبة فين المشكلة يعني

مادام شغل محترم وكويس؟ .. وانتي جربتي تشتغلي شغلانه بشهادتك وأديكي
شوفتي الشغل كان ماشي إزاي .. رشاوي من تحت الطريزة وما عجبتيكيش
النظام .. جربي دا يمكن يعجبك، إنتي مش خسرانه حاجه
اقتربت مرام من شقيقتها: أيوه، فريدة معاها حق .. جربي بس
تهدت هند: طيب لما نشوف آخرتها .. والمعاد إمتي بقى يا ست هانم؟
قالت مرام بتردد وهي تخفي وجهها خلف إحدى الوسائد: إحم إحم .. بكره
الصبح الساعة تمانية ونص
لم تستطع إمساك أعصابها أكثر: نعم ياختي .. بكره إيه؟!
كررت مرام ضاغطة على كل حرف: بكره الصبح
كزت هند على أسنانها: لا لا إنتي بتستهيلي رسمي
ابتأست مرام: ليه بس؟ .. إنتي معاكي (سي في) جاهز علشان لما بتقدمي على
شغل إنتي مش هتحتاجي أكثر من كدا
زفرت هند: صبرني يا رب
فريدة ضاحكة: إحنا لينا الجنة بسببك يا مرام
هزت رأسها بفخر: عدوا الجمائل بس
هند بمكر: هأعدها .. بس هأعدها على جتتك يا حبيبيتي
- لالا لالا لالا لالا حرام

ركضت مرام إلى غرفتها قبل أن تمسكها هند، لكن دائما وأبدا سيظل الطعام نقطة ضعف مرام المعروفة لدى الجميع، إنه أكثر شيء لا تستطيع مقاومته. استغلوا ذلك في إخراجها من حبسها الإنفرادي خلف جدران حجرتها، بدأت بعد ذلك هند تحصي عليها عدد "الجمائل" حتى وصلت تقريبا إلى البليون، أتضح أن لمرام العديد من "الجمائل" التي لا تعدى ولا تحصى لكن هند اكتفت بما أحصته.



الفصل السابع

ترجلت من سيارة الأجرة التي استقلتها أمام شركة السويقي، رفعت بصرها إلى اللوحة المعلقة أعلى البوابة تحمل اسم الشركة منبهة، كذلك مظهر المبنى من الخارج يحبس الأنفاس؛ اللوحات الزجاجية التي تعكس الإضاءة فتظهره كأنه قد صنع من الماس، دخلت المبنى الضخم تشعر بخوف غير طبيعي، تشعر أن هذه الشركة سوف تكون أحد أسباب اختلاف حياتها كلياً، ستقلب حياتها رأساً على عقب دون أن تدري سبب ذلك الظن.

صعدت الدرجات المعدودة أمام الباب ووصلت للاستقبال، بعد تعريف نفسها وسبب حضورها قاموا بإرسالها إلى مكتب رئيس مجلس الإدارة الأستاذ أحمد كي يقابلها شخصياً.

ما كادت تخرج من المصعد في الطابق الأخير من المبنى حيث يوجد مكتبه حتى سمعت صوتاً مرتفعاً يدل على غضب صاحبه من شدة الصياح.

- اللي يشوف الشغل دا ما يقولش إني بأشغل معايا بروفشنال، يقول إني

جايهم من تحت الكوبري، دا لو أنت بتسمي الزفت دا شغل أصلاً

تأتأ الموظف: ص.. صدقني يا أستاذ أحمد أنا....

قاطعته بحزم: لا أنا ولا مش أنا.. خد الملف دا وتظبطه قبل ما تجبهولي تاني

.. وكل الأخطاء دي مش عايز أشوفها مرة تانية، مفهوم؟

أوماً الموظف بسرعة وقد أوشك أن يغرق في عرقه من فرط خوفه: مفهوم طبعاً يا
أستاذ أحمد

لوى شفته السفلى ساخراً: طب كويس .. أنفضل على شغلك
اقتربت من باب مكتبه ورأت الموظف يخرج متعثراً في موطئ قدميه، أشفقت
على حاله فيما أعتاظت من معاملة صاحب الشركة -الذي يجب عليها العمل
لديه- لمن يعملون عنده بهذه الطريقة، "شكلنا مش هنعمر مع بعض يا أستاذ
أحمد بيه" .. هكذا رددت داخلها.

قبل أن يغلق الباب خلف الموظف المرعوب رآها، كانت شاردة تفكر في العودة
من حيث أتت ولكنه وضع حاجزا بينها وبين الهروب.

سألها مستفسراً عن هويتها؛ فهو لم يكن قد رآها من قبل في الشركة، كما أن
هذا الطابق لا يصعد إليه إلا الصفوة .. سواء صفوة الموظفين أو العملاء: في
حاجه يا آنسة؟ بتعملي إيه هنا؟

وقفت أمامه بتحدي، توأد إعجاباً طرق نفسها، فلحظة شديدة الهياج وفي
الأخرى قمة الهدوء: أنت إزاي تكلم الموظف بالطريقة دي؟
حدق فيها بدهشة: نعم؟! .. وإنتي مين أصلاً علشان تدخل في علاقتي
بالموظفين بتوعي؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها: لازم أدخل .. لو هأشتغل معاك
ضاق عيونه فجأة بإدراك: لتكوني إنتي السكرتيرة الجديدة

صححت: أنا لسه ما بقتش

لوى جانب شفتيه: وأنا لسه ما عملتش الإنترنت علشان أقرر

هزت رأسها رافضة: مش محتاج لإنني ماشيه .. مش ممكن أشتغل مع واحد

بيعامل الموظفين بالطريقة دي

تتبع هزة رأسها إلى الطريق الذي سلكه الموظف، أجابها بهدوء: حضرتك

حكمتي عليا من غير ما تعرفي الموضوع بالظبط، وأعتقد إن دا مش من حقتك

ولا إيه؟

شعرت بالخجل من موقفها وإتهاماتها: أكيد .. بس .. بس .. مهما كان ما كانش

ينفع تتكلم معاه بالطريقة دي

ابتسم: إنتي معاكي حق .. ممكن بقى تتفضلي نعمل الإنترنت؟

صعقها استسلمه المفاجئ مما شل تفكيرها وحرر لسانها دون تمهل: ماشي

دخلت وقدمت سيرتها الذاتية بينما جلس يقرأه كان يلقي عليها العديد من

الأسئلة ليتأكد من ملائمتها للعمل لديه وتنفيذ أوامره، أنبهر بكم الدورات التي

التحقت بها والشهادات التي نالتها بتقديرات عالية تؤكد همتها على الرغم من

عدم تخرجها منذ زمن.

رفع إليها بصره: كل دي كورسات لحقتي تاخديها بعد التخرج؟

– مش كلها بعد التخرج أغلبها أثناء الدراسة

أوماً رأسه تقديراً لمجهوداتها: ما شاء الله .. كنتي بتاخدي كورسات جنب

الدراسة وجبتي إمتياز، شكلك بتحبي الدراسة والشغل جدا

- أيوه، مش بأحب أقعد من غير ما استفيد بوقتي .. الوقت بالنسبة لي كنز

ولازم اغتتمه

صاح بحماس بينما كفه كان يغلق ملفها ويلقيه على المكتب: تمام أوي .. شكلنا

هنعمر مع بعض

أومات ثم سألته بعملية: هأستلم شغلي من إمتي ؟

-من دلوقتي لو ينفع؛ لأن المكتب بقى له كام يوم من غير سكرتيرة وكله داخل

ف بعضه

نهضت واقفة تمسك حقيبتها وتتناول ملفها من فوق المكتب: ماشي مافيش

مشكلة .. ممكن توريني مكتبي ؟

لحقها أحمد بالوقوف وقد ضاقت عينيه كعيني الصقر: بس إحنا ما أتفقناش على

المرتب ؟

-مش مهم .. أنا عايزه أشتغل علشان الشغل نفسه مش علشان المرتب

غمزته الطمأنينة؛ هكذا لن تفكر بالغدر من أجل حفنة من الجنيهات، لكنه عقد

العزم على إعطائها مبلغاً أكبر نسبياً مما خصصه لسهيلة من قبل إتقاء لأي طارئ،

أشار إلى باب الحجرة ينتظرها حتى تسبقه: طب اتفضلي معايا أوريكي مكتبك

لحقت به في صمت، كانت الحجرة المخصصة لها على بعد خطوتين على يسار باب مكتبه، مما يسهل عليها الاستجابة لنداءه فوراً، تركها تستقر وتتعرف على مكتبها فيما ينهي هو أحد الاجتماعات المهمة الذي كان على وشك البدء. بعدما خرج تنهدت براحة وكأنها كانت تخضع للفحص المجهرى والآن أصبحت حرة في فعل ما تشاء، جلست على كرسيها خلف المكتب وشرعت تتأمل تفاصيل حجرتها.

كانت مختلفة عن حجرته وعلى النقيض منها، لا تحمل تداخلات اللون البني ودرجاته، إنما ألوان جديدة تبعث الراحة لمن ينظر إليها، يجوز أنها شعرت كذلك لأنها تحب هذه الألوان وطريقة مزجها معا جذب الإعجاب من أعينها. الحائط يحمل اللون الأزرق البترولي، يكسر لونه في الحائط الواقع خلف مكتبها ستائر فضية بها لمسات من لون الحائط، لمحت بابا في أقصى ركن توجهت إليه لتجده حماما.

ابتسمت بسعادة، يبدو أنها قد ظلمته حقاً، إنه على العكس تماماً؛ يهتم براحة العاملين لديه، غسلت وجهها وكفيها ثم عادت تحاول ترتيب الفوضى التي عمت أرجاء مكتبها.

طلب منها أكرم الحضور إلى مكتبه فأسرعت مهرولة، استقبلها بضحكته ومزاحه: مرام يظهر
إن أختك هتتفع مع أحمد أوووي

ابتسمت مستغربة: إزاي يعني؟

أكرم وهو مازال يضحك: أول مرة تكلمه هزقته؛ علشان كان بيزعق لموظف
عنده

أومأت مؤكدة حديثه دون أن تشك في عدم صدقه: هههه أه هند مش بتسكت،
لو شافت غلط مش بتقدر تحوش نفسها من غير ما تدخل، ما هو علشان كدا
سابت الشغل القديم

تمتم بإعجاب: لا جادعة بصراحة

بانة الغيرة على وجه مرام: أه وماله .. عن إذنك يا دكتور، ورايا شغل كتير
خرجت وتركته يضرب أخماسا في أسداس، حدث نفسه متعجبا: مالها البت دي؟
ما هي كانت بتضحك من شوية إيه اللي خلى الـ 111 دول يظهرها دلوقتي، بس
شكلها حلو وهي بتضحك

شعرت بالغیظ عندما استشعرت إعجاب أكرم بهند من مجرد الكلام عنها فقط،
دون حتى أن يراها، أما هي التي تجلس أمامه باستمرار لم تشعر بربع هذا
الإعجاب ناحيتها، كزت على أسنانها غیظا وهمست لنفسها: ماشي يا عم أكرم
إما وريتك، طيب

جاء سامر ورأها تتحدث إلى نفسها، ضرب كفا بكف محوقلا: قوت مجنونة
ماحدش صدقني

هتفت بعصية: نعم يا دكتور .. في حاجه ؟

قهقه سامر وردد بغية إثارة حنقها: براحه ليطلقك عرق ولا حاجه .. أنا كنت
جاي أشوف أكرم

أدارت ظهرها وأبلغته بجدية شديدة فيما التقطية تعلق حاجبيها: الدكتور موجود
في مكتبه اتفضل أدخله وسيني ف حالي

تعجب للحالة التي أصبحت عليها أعصابها: قصدك أسيبك ف جناك .. ربنا
يعينك يا أكرم ع البلوة اللي عندك دي .. عملت إيه ف دنيتك علشان ربنا
يرزقك بواحدة زيها

تركها تكاد تنفجر من كلامه الذي زاد الطين بلة، لقد أصاب جزء حساسا لديها،
عضت على شفيتها وحركت كفيها أمام عيونها لتمنع الدموع التي تهدد بالإفصاح
عما تحسه حتى نجحت بعد دقيقتين في كتم دموعها، انصرفت تشغل ذهنها في
عملها بعيدا عن مشاكل فؤادها.

جلست تترتل القرآن أثناء خلو المكتبة من الزبائن ولا يوجد أحد معها تقطع به
الوقت، قررت الاستفادة من ذلك بشئ يقربها من الله - عز وجل - حتى جاء
شخص يحمل باقة كبيرة من الورود، شديدة الجمال، ناصعة البياض.

أغلقت مصحفها ونهضت تستقبل القادم: أفندم أي خدمة ؟
ذكر العامل اسمها بعد أن نظر في ورقة يحملها بين أصابعه: حضرتك آنسة
فريدة ؟

تعجبت: أيوه، في حاجه؟؟

مد العامل إليها الباقة: دا ورد جايلك

هتفت بتعجب مستنكر: جايلي أنا ؟

أوماً بحفيظة: أيوه يا فندم، ممكن توقعيلي هنا بالاستلام

مضت فريدة وهي مغيبة تسأل نفسها: مين اللي بعثلي الورد دا ؟ وبعدين النهارده

مش عيد ميلادي ولا ذكرى أي مناسبة

بحثت في الورود عليها تجد بطاقة من المرسل، وجدت أحدهم فعلاً خُطَّ فوقه

"ورد أبيض حسيته لون قلبك من جوا .. دا طبعا بعد ما تقبلي إعتذاري عن

كلامي ليكي .. سامحيني من قلبك عشان يبقى أبيض زي الورد دا .. أبوس

إيدك يا شيخة، إحياء عيالك طيب .. مصطفى"

ابتسمت مرغمة من طريقة صياغة الكلام وتخيلها لصاحبه يتمتم بم كُتب على

الورقة أمامها .. وجها لوجه.

-مين مصطفى دا ؟ .. ليكون

-أيوه هو بشحمه ولحمه

انتفضت فريدة تنظر خلفها: أنت جيت إمتي؟

ضحك: لسه داخل حالا

نفخت لفحة من زفيرها: أه أصلي ما حستش بيك وأنت داخل

مصطفى بمكر: يظهر إن الورد عجبك

أعادت نظرها إلى الباقية: أه حلو شكرا .. مين مش هيعجبه ورد زي دا

استند بمرفقه على الطاولة الفاصلة بينهما: كويس إنه عجبك .. سامحتيني بقي ؟

حدقت به لا تدري كيف تقنعه بصدقها: ما أنا قولتلك من ساعتها إني سامحتك

رأى القلق من عدم تصديقه لها في حدقتها فأراد أن يطمأنها: طايب، زيادة

إطمئنان مش أكثر

هزت رأسها مشيرة إلى الباب: وأديك أطمنت، ممكن تمشي بقي ؟

رفع أحد حاجبيه مبديا صدمة مصطنعة: إنتي بتوزعيني ولا إيه ؟

ارتبكت: لا مش قصدي والله أنا بس...

ضحك: إنتي مالك ارتبكتي كدا ليه ؟، أنا كنت بأهزر معاكي .. وبعدين أنا عايز

اشتري حاجه

عضت شفتيها: هتشتري إيه ؟ شكلك مش بتاع قرايه

ركز نظره عليها وقال بجدية لم تعهدتها: وإنتي عرفتي مينين ؟

أحمرت خجلا خائفة أن تكون جرحته: لا أبدا، مجرد تخمين

تابع: زي ما خمنتني إني مجنون أو فيا حاجه غلط المرة اللي فاتت ؟

فكر عندما رأى وجنتيها تشتعلان أكثر، إن باستطاعته أن يقلبي فوقهما بيضة
وتصبح جاهزة خلال ثوانٍ من كثرة ذلك اللهب الذي يجذبه: لا مش قصدي ..
عايز كتاب عن إيه ؟

ابتسم: عن الحب

نظرت له متعجبة من طريقة لفظه للكلمة؛ أقل ما يقال عنها لعوب، ضحكت
رغما عنها.

حرك يديه في الهواء: أيوه بقى يا شيخة .. إيه دا، الشمس كانت مغيمة وأنا مش
داري

تمالكت نفسها وأطلعته بصرامة: هأشوفلك حالا، ثواني

أوقفها عندما همت بالذهاب إلى الركن الآخر: أقولك، ما تتعيبش نفسك .. أنا
فعلا ماليش ف القرايه أوي

زمت شفتيها متزمرة: اللهم طولك يا روح

حدق بها في براءة: إيه عايزاها تطول توصل السقف مثلا ولا إيه ؟

أخفت ابتسامتها: أتفضل أخرج

اعتدل استعدادا للذهاب: ماشي بس تيجي تتغدي معايا

— ما باتغداش مع حد

مدعيا الغباء: يا حرام مسكينه وأنا هاتغدى معاكي عشان ما تاكليش لوحديك

— قصدي مش باتغدى مع واحد

-أومال مع مجموعة ؟

ضربت الأرض بقدمها حنقا: استغفرك يا رب .. لا مع إخواتي .. تسمح تتفضل
بقي؟!!

بسماجة: اتفضل ع الغدا ؟ .. طبعاً طبعاً مافيش مانع

كظمت غيظها: غدا إيه .. بأقولك اتفضل أخرج

ثنى شفتيه لأسفل ولمعت عيونه براءة: وأهون عليكى تسييني كدا على لحم
بطني

دارت بعيدا حتى لا ترى ملامحه وتشعر بالشفقة عليه: روح كُـل ف مطعم

شهق فزعا: لوحدي؟

رددت بغضب: مع أهلك صحابك حبيبتك خطيبتك مراتك، مع أي حد، أنا

مالي

دنى منها قليلا: أنا يتيم، صحابي ف الشغل، ماعنديش لا حبيبة ولا خطيبة ولا

زوجة

تأفت: وأنا أعملك إيه ؟

- أتغدي معايا

- يـوووه ما قولنا ما باتعداش مع حد

- طب المرة دي وبس

أخذت حقيبتها مغادرة عندما لمحت اقتراب الحاج عبدالصمد من باب المكتبة

ليستلم عنها المناوبة: ولا المرة دي ولا غيرها .. سلام يا حاج عبدالصمد

-سلام يا بنتي

خرج مصطفى راكضا خلفها: يا بنتي إنتي غلبويه كدا ليه؟ بأقولك هأعزمك ع

الغدا ما قولتش هأكلك إنتي

متابعة سيرها والنظر أمامها أجابته: وأنا قولتلك لا .. لا

تنهد بغيظ: ليه؟

كررت: مش بأتعدى مع حد

أعاد سؤاله: ليه؟

حاولت أن تكبح كباح نفسها: علشان أنا لا أعرفك ولا أنت تعرفني

حل معضلتها ببساطة: خلاص بسيطة نتعرف .. أنا مصطفى بهيج ولو سمحتي

من غير تريقه

علقت مخفية ضحكتها: أنا أقدر بردو؟ دا زميل مهنة

بعدم فهم: نعم؟ مهنة إيه؟

قلدت شخصية الفيلم: بهيج طير أنت

مصطفى وقد بدأ يفهم: ااه .. أنا افتكرت بهيج بابا مش بهيج الفيلم، بس هو

إنتي أصلا.....

أومات دون تردد: بالظبط، دكتوراة بيطرية

تعجب بشدة: وإيه اللي بيشتغلك ف مكتبة ؟

بدأت تشعر بتخطيها الحدود التي كانت قد رسمتها لنفسها للتعامل مع الجنس الآخر، تحدثت معه زيادة عن اللازم، عقدت حاجبيها وسارت تنظر أمامها دون منحه أي إجابة، استغرب التحول الذي حدث فجأة بعد أن دب بداخله الأمل في هد موانعها وغزو حصونها.

سألها قلقا: مالك ؟ مش بتردي ليه

أجابته بإيجاز: دي حاجه ما تخصصكش، وأنا وصلت عن إذتك

تركته سابقة إياه بضعة خطوات بينما لم يستطع منع نفسه من محاولة معرفة سبب تغييرها معه على حين غرة، لحق بها ووقف أمامها يستوقفها.

زفرت من بين أسنانها محكمة الغلق: ممكن تسييني أعدي ؟

رفض: مش ممكن

- لو سمحت

هز رأسه: مش قبل ما تقولي لي قلبي فجأة ليه

صارحته: علشان ماكانش يصح أصلا إني أرد عليك

دُهِش لإجابتها: وليه ؟ لأكون جربان مثلا ؟

- ولا جربان ولا حاجه، أنا تربيتي وديني كدا، ومش هأسمح لنفسني أحس

بالذنب لمجرد كلمة معاك أنا أقدر استغنى عنها .. ممكن تعديني بقى ؟؟

كان مصدوما؛ فلمجرد إجابتها عليه مرة فقط بكل أدب واحترام شعرت بالذنب،
فكر بسخرية في هؤلاء البنات اللاتي كان يعرفهن؛ والتي كانت ترمي إحداهن
بنفسها عليه ويحدث بينه وبينها أشياء أكبر من مجرد كلمة ومع ذلك لم تكن
تشعر بأدنى إحساس بالذنب أو الندم بل أحيانا كانت تطالبه بالمزيد وتتمسك به
أكثر، وهناك من تركته لتذهب إلى غيره كأنه لم يحدث شيء.
أفاق من خياله وتفكيره على صوت فتاة تقول: فريدة هو في حاجه ؟
أسرعت إليها فريدة تسحبها بتوتر: ما فيش حاجه يا مرام .. دا واحد كان تايه
وييسألني ع المكان اللي عايزه .. يلا بينا
رافقتها مرام والشك مازال يدور بأعماقها، لم ترحزح عيونها عنه حتى أختفت
داخل البناية كأنها تحاول حفظ تفاصيل وجهه: ماشي .. يلا
صعدتا فيما تسمر مكانه يفكر ويحدث نفسه متجها إلى حيث صف سيارته: نوعها
إيه يا ترى البت دي .. أنا مش متفائل، هههههههه شكلي هاحصلك يا أبو المكارم
وشكلي أنا كمان وقعت ولا حدش سمي عليا
توقفت أفكاره عند اسمها، رده بينه وبين نفسه متذوقا حلاوة حروفه وسلاسة نطقه،
رن تمتته، فريدة .. إنها حقا ل فريدة.

أنتهى من إجتماعه، قرر التوجه إلى مكتب سكرتيته لكي يتأكد من تأقلمها مع الجو الجديد الذي ستعمل به، ويقوم بإعطاءها بعض المهام المطلوبة منها حتى لا يضيع الوقت هباء.

طرق الباب وطرقة خفيفة، لاحظ أنه شبه مفتوح فدلف دون إنتظار الإذن.

حدق في المكتب مصدوما ثم توقف على ظهرها الموجه إليه حيث انشغلت بفحص ملف ضخيم لتحديد موقعه الملائم.

أدرك أنها لم تسمع طرقة ولا شعرت بوجوده، نظر في ساعته ليتأكد من طول فترة غيابه، لقد غابة فقط ساعة وبضع ساعة أخرى ليس أكثر، أيكفي هذا الوقت لتخفي كل أكوام الورق والملفات التي بُعثت على المكتب وافترشت الأرض؟؛ إلا إذا كانت تملك عصا سحرية أو تتعاون مع أحد الجان.

خاطبها بصوت قوي ثابت: أستاذة هند

رفعت رأسها إليه ثم انتصبت في وقفتهما: أيوه يا أستاذ أحمد

مد لها بملف أزرق اللون قائلا بجدية شديدة: الملف يخلص ف أسرع وقت لم ينتظر التقاطها للملف بنفسها بل ألقاه على أقرب طاولة ليده ثم انصرف، عضت شفتها السفلى تكتم غيظها فليس الاعتراض على أمر صغير إلى تلك الدرجة من شيمها.

أخذت الملف وبدأت العمل عليه بكل همة ونشاط، كان أغلب محتوى الملف ليس من تخصصها ولكنها ثابتت على إنهائه، لقد فهمت نظام وروتين العمل من

الملفات التي رتبها والأوراق التي أطلعت على محتواها مما سهل عليها مهمة فهم ما يبغيه وما يسعى إليه.

نفخت لفحة من الهواء بقوة، نهضت تعيد ضبط ملابسها بعد التصاقها بمقعدها لساعتين متواصلتين دون حراك، أمسكت الملف بكلتا يديها تضغط عليه بقوة من ثم أتجهت إلى غرفة رئيسها تسلمه العمل الذي طلبه.

دقت الباب دقة واحدة قوية ثابتة، أدارت مقبض الباب بعد سماعها الإذن بالولوج، وقفت أمام مكتبه فيما سألها دون أن يهتم بالنظر إليها فقد استغرقه الحديث على الطرف الآخر.

لاحظ صمتها مما جعله يرفع بصره إليها، أشار بأصبعه حتى تتحدث فيما تبغيه، مدت إليه الملف وقالت بإقتضاب: خلصت الملف .. أتفضل كانت تتلمس نظرة إعجاب أو تقدير لعملها لكن خاب رجاءها وأنهارت خيالاتها، فقد أوماً برأسه متابعا الحديث على الهاتف وأكتفى بأشارة لها تدل على إمكانية ذهابها لتتابع العمل.

أطاعته كاظمة غيظها، فكرت مقطبة الجبين: يظهر إن إنطباعي الأولي عنك كان صح، مش بتقدر الشغل ولا تعب الواحد فيه، دا حتى مافيش كلمة تشجيع واحدة

صدمها الرد على كلامها الذي لم تدرك خروجه عبر فمها: لا بأقدره، بس تقدير مادي، تقدير بالمرتب والحوافز والمكافآت، ما أعتقدش لما أقولك برافو ولا شاطرة هيكسبك حاجه زي لما تبقى الفلوس ف إيديك

كان صوته بارد مثل هبة هواء قادمة من قارة أنتركتيكا، توترت وعضت لسانها كأنها تلومه على ذلته غير المغفورة، أسرت خوفها وأطلقت العنان للسانها يصلح الجريمة التي أرتكبتها، نظرت إليه من فوق كتفها قائلة بهدوء ظاهري: وأعتقد قولت لحضرتك إني ما بأهتمش للفلوس وإن شغلي هنا للخبرة مش أكثر عقد ذراعيه متابعا معركة قذف الكلمات: يبقى حضرتك أخذتي الخبرة بشغلك، ولا كلام التشجيع هو اللي بيديها لك ؟

كورت كفيها في قبضتين صغيرتين وانصرفت دون أن تعقب على حديثه؛ فلقد انتصر في معركتهما الأولى ولا يعني ذلك أنها نهاية الحرب.

عاد إلى مقعده قبل أن يلمح الملف الموجود فوق الطاولة، تناوله يتفحصه بدقة، ارتسمت بسمة، اتسعت رويدا رويدا حتى ملأت ثنايا وجهه، زاد إعجابه بكفاءتها فما كان يستغرق سهيلة يوم أو يومين لم يستغرق بين كفيها ساعتين أو ثلاث.

قذف الملف إلى مكانه: عرفت تختار يا أكرم .. وأنا اللي قولت هتدبسنني ف واحدة تقرفني وتطلع عيني .. طلعت أصيل يا كرومتي

أخذ النية بداخله أن يجعل إعجابه بعملها طي الكتمان، لن يظهر لها أي تقدير أو عرفان؛ فبالنهاية هذا واجبها، يكفيه رؤية وجهها المحمر من الغضب فهو يفضلها عن إحمرار الخجل.

تذكر خجلها في أول لقاء بينهما عندما قذفته بالإتهامات جزافا، هز رأسه بقوة: لا لا، الغضب أحلى عليها.. لما نشوف بقى شكلها لما تفقد أعصابها هيبقى عامل إزاي

خرج من أفكاره الخاصة على صوت الرنين المستمر لهاتفه المحمول، أجب عليه متناسيا ما يخص هند مستغرقا في محادثته لوالديه.

أقفلت الباب والتفت لتجد عيون مرام تحولت إلى عيون فهد يترصد فريسته، عاقدة ذراعيها وتهز إحدى ساقيها، ضحكت فريدة عندما تخيلتها أحد ضباط الشرطة يحقق مع متهم من الخارجين عن القانون. تجاهلت مرام ضحكتها، تصر على الوصول إلى مبتغاها: مين اللي كان بيكلمك تحت البيت دا؟

هزت كتفيها وتخطتها إلى الداخل: قولتك واحد تايه ويسأل على مكان كزت على نواجذها: متأكدة؟

بلا مبالاة أجابتها: أيوه

تقدمت منهما هند: أنتوا بتتكلما عن إيه؟ مش فاهمة حاجه

أوضحت مرام وهي تلقي بنظرات متخابثة على فريدة: أبدا يا ستي وأنا جايه
شوفت فريدة واقفة مع واحد، كان بيصلها بتركيز أوي، وكان سادد عليها الطريق
ولما جيت سابها تطلع معايا، وكنت عايزه أعرف مين هو
التفتت هند إلى فريدة متعجبة: ومين دا يا فريدة ؟
صرخت فيهما: يووه أنا مش هأعرف أخلص منكوا غير لما تعرفوا صح ؟!
طيب أنا هاأحكيلكم

قصت عليهما طريقة معرفتها به وسبب ظهوره في حياتها، كانت تخبرهما بأدق
التفاصيل؛ فلم تعد إخفاء شيء حتى وإن كانت المنخطة، لم يكن مبررها الوحيد
في رواية معرفتها بمصطفى فقط للتخلص من إلحاح أختيها بل لتأخذ مشورتها.
صاحت بها مرام مغتاظة: يا بنت الدنيا .. بقى كل دا يجرا معاكي وما تقوليش ؟
أجابتها بهزة ضعيفة من كتفيها: عادي .. ما شوفتهاش حاجه مهمة
قفزت مرام تجلس على الأريكة وتثني ساقها أسفلها: كل دا ومش مهمة، دا
شكل الواد وقع ولا حدش سمى عليه

نظرت إليها هند متعجبة تهويلها للأمر: إنتي بتجيبى الكلام دا منين ؟!
حركت مرام فمها يمينا ويسارا فيما ترددت يديها ذهابا وإياباً: أصل إنتي ما
شوفتيش كان بيصلها إزاي
ارتبكت: كان بيصلي إزاي يعني ؟، بيصلي عادي زي ما إنتي وهند وكل الناس
بتصلي

قهقهت مرام لسذاجة أختها الكبرى: إنتي لسه صغيرة ع الكلام دا، مش هتفهمني فيه

عنفتها فريدة بشدة: يا سلام وإنتي اللي كبيرة يعني ؟

صرخت بهما هند كأم تعنف صغارها: بس، هنبتي شغل العيال دا ولا إيه انتهزت فريدة الفرصة لتغيير محور الحديث: صحيح بمناسبة الشغل عملتي إيه إنهارده ف الشغل الجديد ؟

غمزتها مرام: غيري الموضوع غيري

قذفتها فريدة بوسادة صغيرة من وسادات الأريكة التي تجلس فوقها: اسكتي يا بت

أخفت هند تفاصيل يومها مكتفية بكلمات تقليدية: عادي قبلت الشغل وبدأت فيه

مرام: ما تقوليلها بدأتيه إزاي .. حد يهزق صاحب الشركة اللي رايح يشتغل فيها يا مفتريه؟؟

تعجبت فريدة فهذا ليس من أخلاق شقيقتها: هزقتيه بجد!؟

ضحكت ضحكة مكتومة فقد ارتاحت أن هذا أقصى ما تعرفه مرام عن يومها الأول: أعمله إيه طيب ما هو اللي استفزني .. المهم الموضوع عدى على خير، فككوا منه بقى

استأذنت هند أن تذهب وترتاح في غرفتها قليلا، تركوها تذهب فهذا أول يوم تعمل به منذ فترة طويلة وبالتأكيد مازال جسدها لم يعتد على العمل، حمدت هند ربها أن رئيسها سمح لها بالمغادرة مبكرا فقط لأنه اليوم الأول ولم تكن تضع في حساباتها أن تبدأ العمل مباشرة عقب المقابلة.

تسطحت فوق فراشها تحديق في سقف الغرفة، أخذها عقلها إلى ما حدث معها، جدالها مع أحمد، بذلها لأقصى جهودها حتى تثبت جدارتها.

ظهرت أمام عينيها فجأة ابتسامته، الإبتسامة التي ظهرت في البداية ولم تتكرر، عندما أعلن إنتصارها وأنه أخطأ في حق الموظف.

عصرت أفكارها تبغى الوصول إلى ابتسامة أخرى له لكنها لم تجد، نبشت ونبشت بلا فائدة.

شعرت بالإحباط، حركت رأسها يمينا ويسارا، ليس صحيحا ما تفكر به، إذا ضحك أو حتى بكى ما دخلها هي؟، لكن رغما عنها توقفت أفكارها مجددا؛ تنخيل ملامحه إذا بكى، نهزت نفسها منتفضة وقد قررت الجلوس مع شقيقتها حتى لا تسرح فيما هو محذور مرة أخرى.

تفاجأت مرام لحقتها شقيقتها الأخرى بعودتها لكنها بررت ذلك أن النوم عصي الإستجابة لندائها حتى استسلمت، اكتفين بذلك كإجابة وعادوا يتابعون مسلسل مرام الكرتوني المفضل "توم وجيري".

أشرقت شمس اليوم التالي، تعد بيوم مجهد طويل، مليئ بالعمل وبذل الجهد
لجمع الأرزاق.

جلس أكرم خلف مكتبه يقابله صديقه مصطفى على غير العادة منه، استفسر
أكرم من صديقه: أنا نفسي أعرف، إيه إصرارك أنك تيجي معايا الجامعة إنهارده ؟
أجابه بهدوء: عايز أرغي معاك شويه يا أخي، الله!

حوقل: وحد قالك إني بأجي هنا عشان أرغي ؟ مش أنت يا ابني قاعد معانا ف
نفس البيت ؟ ما نتكلم فيه

مصطفى بتأفف: يووه ما أنت بتيجي هلكان وتنام وأنا بأحاول أظبط أموري بعد
اللي حصل

زفر أكرم: طيب، أتفضل قول الموضوع اللي عايز تكلمني فيه .. خلصني
التفت مصطفى بكامل جسده يواجه صديقه أثناء الحديث وقد امتلأت جميع
خلاياها بالسعادة: قابلت حتت بت بس إيه

استغرب: بت ؟ بت مين دي ؟ أنت مش قولت هتركز ف شغلك وهتبطل
صياعه بقى

هز رأسه بعنف: لا ما هي مش من النوع دا، أنت فاكر البنت اللي كانت واقفة
مع هشام ؟ .. هي دي

زاد عجب أكرم من صديقه: اللي كانت مع هشام ؟ .. وأنت إيه اللي وصلك
ليها ؟

- بص يا سيدي أنا هاأحكيك كل حاجة من طقطق لسلامو عليكو
حكى لصديقه كل ما حدث بالتفصيل حتى أنتهى قائلا: بس يا سيدي، وف
الآخر جات بنت كدا وطلعت معاها، تقريبا .. أختها
غضب أكرم منه لإخفائه الأمر حتى وصل إلى تلك المواصيل: دا كله حصل
ولسه فاكر تحكي لي كل دا دلوقتي ؟
لوى شفتيه حنقا: ما أنت اللي مشغول أعملك إيه ؟
دخلت عليهم مرام تلقي التحية على أكرم وتخبره بوصولها قبل أن تتجه إلى
مكتبها كي تمارس عملها المعتاد.
- صباح الخير يا دكتور أكرم
- صباح النور.. مصطفى أحب أعرفك، سكرتيرتي الأنسة مرام
التفت مصطفى ينظر إلى مرام ويرحب بها بابتسامة عذبة، صاحت دون أن
تستطيع إخفاء دهشتها: هو أنت !!؟
كانت صدمت مصطفى أكبر منها عشرات المرات، لم يكن يتخيل أن يراها هي
على وجه الخصوص بهذا المكان وبهذه السرعة: هو إنتي !؟
حرك أكرم رأسه بينهما بعدم فهم: هو في إيه ؟ .. أنتوا تعرفوا بعض ؟
مرام بسخريتها المعهودة: لا أبدا، أصله كان تايه تحت بيتنا إمبراح .. عن إذنكوا

خرجت من المكتب مبتسمة فيما مصطفى مازال يعاني من آثار الصدمة لا ينبس
بينت شفة، أفاق على مطالبة صديقه له بتوضيحات: أنا مش فاهم حاجه .. تايه
تحت بيتها إزاي ؟

انفجر ضاحكا: ما هي دي البنت اللي جات وإحنا ف الشارع وطلعت معاها
فريدة

أكرم وقد بدأ الفهم يتسلل إلى عقله: قصدك إن دي أختها ؟
أوماً: تقريبا، دا احتمال كبير بس أنا مش متأكد .. بأقولك إيه أنا هأمشي دلوقتي
.. يلا سلام

خرج من مكتب أكرم بسرعة قبل أن يعطيه فرصة حتى يرد السلام. اقترب من
مكتب مرام: آنسة مرام
رفعت رأسها: أفندم ؟

سألها مباشرة: هو حضرتك تقربي إيه لفريدة ؟

أدعت الجدية: ودا يخصك ف إيه ؟

رد بلباقة: مجرد سؤال عادي .. أختك مش كدا ؟

أنهت شكوكه: أيوه، أختي

عاد يستجوبها: طيب .. هي مخطوبة، مرتبطة، بتحب، متجوزة ؟

كانت حاول إخفاء ابتسامتها بينما تطيل فترة إنتظاره: ودا بردو مجرد سؤال ..

عادي ؟

أجابها بصراحة: أنا معجب بيها وعايز أطمئن علشان أقرب منها براحتي
أوشكت على القفز من شدة سعادتها فلقد صدق حدسها: لا مش مرتبطة ولا
مخطوبة ولا متجوزة ولا بتحب .. بس بردو مش هتعرف تقرب منها
تعجب : ليه؟

أجابته ببساطة: لأنها مش بتاعت الكلام دا، ولا اللف والدوران .. فريح نفسك
قطب جبينه بحنق: وإنتي ليه عندك إحساس إني بألف وأدور؟
زمت شفيتها ساخرة: هو لما تمشي ورا بنت ف الشارع لحد بيتها، تعزمها ع
الغدا، وكمان تجبلها ورد من غير سابق معرفة .. دا ما يدلش إنك بتلف وتدور؟
أردفت عندما لاحظت حيرته وتشتته: إحنا ما عندناش اللي بيدور ف دماغك دا،
تتسلى يومين وبعدين تخلع، عايزها يبقى تتجوزها، لكن شغل حلق حوش
وحاوريني يا كيكة دا .. ما نحبوش

خرج أكرم وهم بتوجيه تعليماته إلى مرام عندما صدم من وجود مصطفى، صاح
به: أنت يا ابني .. مش كنت مستعجل وقولت إنك ماشي؟
أوماً ببلاهة: أه أه، ما أنا ماشي أهو .. يلا سلام

رد أكرم السلام كاتما عجبه، عاد بنظره إلى معاونته: مرام .. لما يجي سامر
دخليهولي فورا

هزت رأسها: حاضر

بعءما ءلف إى حءرته؁ رمت القلم الءى كانت تمسكه بىن أصابعها لىصطءم
بعرض الحائط: أوووف هو الثقىل ءا ءاى ءانى هنا .. ربنا يعءى الىوم ءا على

ءىر



الفصل الثامن

اقتربت من مكتب الممرضة المسؤولة عن تنظيم المرضى، وقفت أمامها باسمها وفي كفها تعلق يد طفلها الصغير، رفعت الممرضة الشقراء نظرها إلى ندى، تعرفت عليها فرحبت بها
بشاشة: صباح الخير سيدتي

ردت التحية باللغة الإنجليزية كما تلقتهما ثم أضافت بعدما ألفت نظرة عابرة على المرضى المنتظرين: أ يوجد أحد بغرفة زوجي؟

تركت الممرضة سيف بعدما قبلته وأعطته قطعة حلوى، وقفت ونظرة غريبة تشع من عيونها:
نعم سيدتي، لديه مريضة الآن بالداخل

لم تفهم النظرة الغامضة فاكتفت بالتراجع إلى أحد المقاعد تخبرها: إذا سأنتظره حتى ينتهي قضت بعض الوقت تداعب ابنها حت سقط نائما فوق فخذيها، تناولت إحدى المجالات من فوق الطاولة، تصفحتها بملل ثم ألقتهما تنظر إلى ساعتها، قطبت متضايقه؛ لقد مر أكثر من ساعة دون أن تخرج المريضة، لا يعقل أن تمضي مريضة واحدة كل هذا الوقت، رفعت رأسها فجأة فلمحت ذات النظرة الغامضة بعيون الممرضة الخاصة بزوجها ولكن شابها الشفقة هذه المرة، نهضت مبعده رأس طفلها على مهل.

قالت للممرضة قبل أن تقترب من باب غرفة الطبيب: سأدخل له الآن وإلا سيضيع موعد طبيب الأسنان الخاص بطفلي

اكتفت بالهزة البسيطة التي حركت كتفي الممرضة كعلامة تشجيعية، طرقت طرقة صغيرة ثم فتحت الباب وطلت برأسها، شهقت بصدمة ودخلت بجسدها كاملا وأغلقت الباب خلفها مجددا.

رفع حاجبيه مستغربا دخولها المفاجئ بينما وقفت الفتاة حمراء الشعر معتدلة بعدما كانت منحنية بشدة فوق كتفه بحيث داعبت خصلات شعرها العجورية بشرة رقبته، ظلت تنظر إلى الفتاة بنظرات نارية وتلقي عليها حمم بركانية، انتبهت عندما خاطبها آدم: إيه اللي جابك يا ندى؟

استدارت إليه مقطبة، متى غادر مقعده ووقف بجانبها، حدقت به بنظرة لائمة: بقالي ساعة ونص مستنياك برا عشان تخلص الكشف

نظرت إلى الفتاة مضيئة: بس شكله ما بيخلصش

لمعت عيون حمراء الشعر بتساؤل فقد استشفت من نظرات زوجة الطبيب أنها المعنية بالحديث رغم عدم فهمها له بسبب اختلاف اللغة، أمسك آدم ذراعها غاضبا بينما كرر ما قاله عندما شعر أنها لم تسمعه: ندى .. بأقولك استيني شوية خلاص قربت أخلص فتحت فمها لتجيبه عندما قاطعتهما الحمراء: هل هناك أي مشكلة يا آدم؟

كزت على أسنانها وأمسكت خصرها بقوة قابضة، ثبتت نظراته فوقها يدرس تصرفاتها، كتم ابتسامته عندما دارت وخرجت من الغرفة قائلة بغضب: معاد الدكتور بتاعه فاضل عليه ربع ساعة، لما تبقى تخلص كشف أنت عارف هتلاقينا فين

خطت إلى الخارج غاضبة، قبضت على ذراع ابنها الذي استيقظ وجلس مع مساعدة والده يتسلى معها، بالكاد استطاع متابعة خطواتها الواسعة، فجأة شعرت بيد تلتف حول ذراعها تكبح سيرها.

أحرقته بنظراتها البركانية، أكتفى بتناول كف ابنه الحرة دون نطق كلمة مما أشعل الغيظ داخلها لكنها ألجمت نفسها عن قذف النيران في وجهه.

دخلت إلى مكتب رئيسها بعدما طرقت الباب دون مجيب، نظرت إليه بحنق وقد لمحت سماعة الهاتف الأرضي مرفوعة، وضعتها في مكانها وعادت ببصرها إليه، تعجبت من عدم شعوره بدلوها أو بحركاتها على مقربة منه.

مقطب الجبين، مقوس الظهر، أو شك وجهه على الإلتصاق بشاشة حاسوبه من كثرة التدقيق، جالت بنظرها فوق المكتب تبحث عن نظارتيه، اضطرت إلى رفع عدة ملفات ومستندات قبل العثور عليها أسفل أكوام الورق.

وقفت من الناحية الأخرى حتى توجهه ومدت يده بالنظارة قاطعة المسافة بين حدقيه والشاشة المضيئة، رفع نظره متفاجئا من وجودها.

حركت النظارة أمامه حتى تفيقه من شروده، التقطها ووضعها فوق عظام أنفه بغطرسة وعاد يتابع ما يفعله دون أن ينبس ببنت شفة، توجهت إلى الباب بينما تزفر بشدة حين أوقفها كلمة مختصرة شكت في حدوثها: شكرا

التفتت إليه فوجدت حاله كما كان، لا يبدو عليه أنه خرج من صومعته ولو للحظة، غادرت دون تعليق وعادت إلى مكتبها تكمل عملها وتعيد تحويل المكالمات إليه بعدما حاولت عدة مرات من قبل دون جدوى لتكتشف السبب حال دخولها وهو رفع السماعة من موضعها.

خرج ما تضره تجاه زوجها ومريضته في حركاتها العصبية أثناء مساعدة سيف في نزع ملابسه وتبديلها بأخرى تلائم شقاوته في اللعب داخل المنزل، تأفف الطفل متوجعا من يدي أمه التي قست على جلده اللين على حين غفلة، تأسفت غارقة في شرودها.

لم تلاحظ خروج ابنها مهللا بإنهاء محنته المربعة، انطلق إلى حيث جلست جدته حتى تلاعبه وتقضي بعض الوقت معه، لحقت به والدته وجلست معهما بالغرفة بجسدها أما عقلها فقد سافر أميالا عدة بعيدا عما يفعلان.

لم تشعر بانضمام زوجها إليهم إلا عندما سأل حماته مستفسرا عن مكان وجود ياسين، أجابته صابرين بينما تعاون حفيدها في حل الأحجية: راح يستقبل ابن واحد صاحبه عشان هيدرس هنا

أوماً موافقا وأمر الخادمة باحضار الشاي، بعد فترة من تجاهلها لوجوده اعتذرت مغادرة، لحق بها مستغلا انشغال الطفل مع جدته، يجب عليه إنهاء الأمر بينهما قبل أن يشعر أحد ممن في المنزل بالمشكلة فتتضخم.

نظرت في ساعتها ثم إلى الهاتف الداخلي، اسندت ذقنها إلى قبضتها، لقد مرت فترة الغداء من ساعتين على الأقل دون أن يضع في فمه غير الماء وبضعة فناجين من المشروبات الساخنة المهلكة بسبب كمية الكافيين التي زادت عن حدها.

ربت على معدتها، إنها جائعة بل تتضور جوعا، رفعت السماعة أسرع بطلب وجبتين من أحد المطاعم القريبة قبل أن تتراجع عن قرارها فتسقط صريعة الجوع.

خلال نصف ساعة حضر الغداء؛ ومن يستطيع التأخر على صاحب شركة قابضة كهذه والذي بفرقة أصبع قد يدك المطعم فيخر ركاما.

تناولت وجبتها سريعا ثم حملت الأخرى إلى صاحبها، كالعادة طرقت ودخلت دون إجابة، وضعت الحقيبة البلاستيكية فوق طاولة ذات موقع استراتيجي، تطل على الشارع بزحامه

والسماء بصفاءها والشمس بسطوعها، أخرجت الأطباق وورصتها رويدا، اعتدلت حالما أنتهت وتوجهت إلى المكتب تطلب منه التقدم حتى يتناول ما يصلب به بدنه.

نهض وتبعها صامتا فيما يمسك في إحدى يديه ورقة يطالعها، غادرت متحسرة على حاله، مغتظة من تكبره، لم تلاحظ نظراته التي رصدت تحركاتها منذ دخلت حتى انصرفت، رمى أوراقه جانبا وشمّر عن ساعديه ملتهما ما أمامه بشهية جمّة أخفت ابتسامته المتخابثة.

أمسك كفها وجرها خلفه إلى أقرب حجرة لكي يكتّم اعتراضها بأسرع وقت، ما كانت الحجرة إلى حجرة طفلها سيف، أحكم إغلاق الباب ثم التفت إليها مستفسرا: مالك بقى؟، من ساعة ما جيتيلي المستشفى وإنتي مش مضبوطة

عقدت ذراعها باحكام: ليه؟، مالي يعني؟، بأشد ف شعري مثلا؟

زفر بحنق: اللهم طولك يا روح .. قولي في إيه على طول من غير لف ودوران .. مالك؟

هاجمته: مين البت المسلوعة اللي كانت عندك ف المكتب دي؟

وأد بسمته وسألها مدعيا الغباء: بت مين؟

فقدت السيطرة على أعصابها وحررت يديها: أم شعر منكوش أحمر وفستان باينه بتاعها من

أيام ابتدائي وعيون خضرا

حرر ضحكته الأسيرة: بقى كل دا لمحتيه ف الدقيقتين اللي دخلتهم قبل ما تجري على برا ؟

هزت رأسها: توه ف الموضوع توه

- مش محتاج أتوه عشان دي مجرد مريضة عندي

- أه صح، عشان كدا قعدت عندك أكثر من ساعة ونص، لا وهي موجودة من قبل ما أجيلك

كمان

- كانت جايالي حالة والدها عشان مش هيقدر يجي وكنت بأفهمها الوضع بس ...

قاطعته مكملة: وطبعاً انهارت ف العيط ويا قلب أمها حزنت على أبوها وأنت كراجل جيتتل

مان روحت طبطبت عليها ومش بعيد تكون أخذتها ف حضنك مش كدا ؟

قهقه على حركتها الأخيرة في وضع كفيها فوق خصرها: هو الكلام كله صح، بس من غير

الطبطة والحضن .. أنا واسيتها بالكلام وأدتلها منديل مش أكثر

- وكانت واقفة فوقك ليه إن شاء الله ؟

تذكر الوضعية التي كان جالسا بها عندما دخلت عليهما: كنت بأوريها المنحنى ف رسم

القلب، حبت تفهم الموضوع بأسهاب زيادة

أردف بعد لحظة صمت: وإنتي إيه اللي خلاكي تغيري رأيك وتجيلى ؟ .. مش اتفقنا تستيني

مع سيف ف مكان الإنتظار عند دكتور السنان ؟

لوت شفتيها: سيف كان عايز يشوفك وأصر يقعد معاك شوية قبل المعاد بتاع الدكتور ..

فخرجنا بدري وجينا عليك

أضافت تركز على أضرارها: وعشان أشوف اللي شوفته

اقترب منها ولمس خصلات شعرها المحيطة بوجهها: ما أنا قولتلك اللي حصل .. خلاص بقى

بلاش تقلبيها زعله على حاجه مش مستاهله

ارتسمت بسمه صغيرة على ثغرها وهزت رأسها بايماء بسيطة، فجأة شعرت بالبرودة تكتسحها

عندما انسحب عنها بطريقة جارحة، تغيرت معالم وجهه اللينة لتصبح أقسى من الصخر،

استفسرت بعينها عن سبب تراجعها، أجابها بسخرية: ما تتوهميش أوي كدا، والدتك كانت

بتبص علينا من الجنيئة

التفتت يمينها فرأت أمامها تستدير عائدة إلى حفيدها تلعب معه بالكرة الملونة، انكمش

وجهها من المهانة والألم وحمدت ربها أن الشعر قد غطى تأثيرها بحركته الجارحة، حينما

نظرت إلى حيث وقف أخيرا كان قد غادر وتركها وحدها، تبكي حالها وتدعو ربها أن يلهمها

الصبر.

فتحت المكتبة بحماسها المعتاد بداية كل صباح، لا يهمها أن ما درسته خلال الجامعة هو

نفس مجال عملها، يكفيها أن الله وفقها في العثور على عمل تحبه، تعلم أنها إذا جدت في

البحث عن وظيفة بشهادتها لكانت عثرت عليها ولو بعد حين، لكنها رغبت في عمل أسهل مما درسته بل لم ترد العمل بتاتا، أكبر أمانيتها وأحبها إلى القلب أن تصبح زوجة وأم صالحة لأولادها.

بُهِتت من مقابلة عينيها لمزهرية تنتصب في ركن من الطاولة، تحمل داخلها الورود التي بُعثت إليها تعبيرا عن أسف صاحبها عما حدث من سوء تفاهم.

أوضح لها الحاج عبدالصمد عندما دخل إلى المكتبة قبل لحظة ورأى حيرتها: أصلي لاقيت الورد دا إمبراح بعد ما مشيتي وكنتي مستعجلة، فقولت أكيد نسيته .. روجت حطيته ف مايه عشان ما يدبلش ويعيش

همهمت بتشتت: أه أه، كتر خيرك يا حاج

خرج الحاج يلقي التحية على أصحاب المحلات المحيطة فيما همست لنفسها بصوت مرتفع ونظرها لا يتزحزح من فوق الورد: هو أنت ورايا ورايا؟ مش كفايه نمت إمبراح بسببك بالعافية، شكلك هتقرفني، ربنا يستر على أبراج عقلي

غيرت المياه التي تغذي الورد ثم شرعت في عملها، تستقبل الزبائن بابتسامة بشوشة مستبشرة، تناست جميع أفكارها وما يخص حياتها الخاصة لتعطي عملها حقه كاملا غير منقوص.

رفعت الأطباق عن المائدة دون أن يمسهما أيا منهما، وجع القلب منع المعدة عن تقبل ما يُدفع إليها من طعام، فقد انشغل العقل بمسائل أخرى مستغلا كمية الدماء كاملة دون أن يترك منها البعض للمعدة تُحمل عليه الطعام بعد هضمه، أو مأت اليد لرغبة العقل واستسلام المعدة فتركت الملعقة راغمة.

حملت كاسات الشاي إلى زوجها، بعد أن ناولته كأسه، تأملت ملامحه فتنبأت بالنتيجة قبل السؤال؛ لكنه سؤال لا مفر منه: مش كنت قولت هتكلم مديرك تاني؟ .. ها إيه الأخبار؟ هز رأسه بلا حول، لقد أذل نفسه أشد الذل ولكن دون نتيجة، يبدو أنه أصبح الأمل الوحيد للمال بالنسبة له، يضغط عليه بشتى الطرق حتى يرفع رايته البيضاء، هتفت باهتياج: يعني إيه؟ بردو مش راضي؟

وضح: مش عارف أعمل إيه تاني، مهما أكلمه مش موافق

تحولت إلى نبرة متوسلة: يا عبدالرحمن أنا كنت قاعدة مع البنات وأنت هنا، كنت ساعات ما بتنزلش بس كان عادي لأنني معاهم؛ لكن دلوقتي هما لوحدهم ما ينفعش نسيبهم .. فما بالك بقي ما ننزلهومش كمان؟

أخفض نظره أرضا بقلة حيلة: أنا أعمل إيه طيب؟ قوليلي ف إيدي إيه .. دليني

-أنا جيت وسبتهم لما حصلتلك الأزيمة بتاعت مرضك وقلبك دي، ما قولنا لهمش عليها
عشان ما يتخوشو وبعدين ما هانوش عليا أسيبك .. خصوصا لما الدكتور قال إنها ممكن
تتكرر ف أي وقت، أنا مش قادرة أسيبك بردو عشان كدا

تنهد: لو عايزه تنزلي أنزلي لوحداك، ما تقلقيش عليا

أسندت وجهها إلى كفها: نفسي ومحتارة بردو، بس أنت هنا لوحداك لكن ف مصر ال3 بنات
سوا و ما يتخفش عليهم، دول تربيتي وأنا عارفه سايبه 3 رجاله مش 3 بنات

رفع رأسه فخرا: إنتي هتقوليلي؟، ربنا يخليهوملنا

ربتت علي فخذة: آمين يا أبو البنات

ابتسم سعيدا يفتخر ببناته، لم يشعر أبدا بالضيق في عدم إجابته للصيبة كما يفعل الكثير من
الأباء؛ لأنه بعد إيمانه بمشيئة ربه وحكمته في ذلك، كان يحب فتاياته أشد الحب، كان دائم
الشكر على نعمة الله عليه بهن، يرى أنهن جائزة أكبر مما يستحق، إنهن نعم السند له.

ابتلعه العمل، صبَّ جلَّ تركيزه في الصفقة التي يُعد لها، بسط يده إلى أقصى اليسار حتى
يقبض على ورقة يحتاجها، لم ينتبه إلى فنجان الشاي الموضوع على طرف المنضدة إلا عندما
سُكب محتواه على قميصه وأكمل نزولا إلى بنطاله.

انتفض واقفا، صرخ نقمة على ما جرى، حاول إبعاد السائل قبل أن يتوغل أكثر، أسرع إلى الحمام الملحق بحجرته، خلع قميصه وألقاه في سلة فارغة تختفي أسفل الحوض.

تفاجئ بانفتاح الباب على حين غرة، حدقت به مصدومة من هول ما رأت، أطلقت صرخة صاخبة ووضعت يديها على عينيها مستديرة، أغلقت الباب بقوة واستندت عليه فاعرة فمها. ضربت جبينها بباطن كفها غاضبة من نفسها: يعني خلاص حبكت معايا أدخل أغسل وشي دلوقتي!؟

فركت يديها في تنورتها قبل أن تتجه إلى مكتبها تُعيد دراسة أحد الملفات حتى تُشغل عقلها بعيدا عما رأت.

تصاعد رنين الهاتف، رفعته لتسمع أمر أحمد بالحضور إلى مكتبه فورا واحضار الملف الذي سبق وطلب منها إتمامه، نهضت مرغمة واتجهت إليه وقد عقدت نيتها على إعتبار ما حدث كأنه لم يكن.

وقفت أمامه بهدوء ورزانة كعادتها فيما ألقى عليها نظرات مدققة على غير عادته، لاحظت أنه ارتدى قميص أبيض عوضا عن الكحلي، وقع الأوراق وسلمها إياها حتى تنقلها إلى المسئول عن تنفيذ ما ورد بها.

عندما أوشكت على فتح الباب أوقفها صوته موضحا دون مقدمات: الحمام له بايين، واحد
بيفتح على مكتبي والثاني .. على مكتبك، لو أخذتي بالك في دولاب ف الحمام، بأبقى
سايب فيه طقمين عشان لو فيه ظرف طارق .. زي إنهارده لما الشاي أدلق على القميص
همهت بدون وعي: أنا شوفت الباب قبل كذا بس ما عرفتش أنه يوصل على مكتبك
أوما متفهما: حصل خير

أضاف ماكرا: ربنا ستر وشوفتيني وأنا بأغير القميص بس ..

نظرت له بعدم فهم، دار حول المكتب ووقف أمامها، لمحت سروالا بلون آخر غير الذي أتى
به، شهقت وهولت من الغرفة بأسرع ما يمكنها فقد وصلها مقصده.
بانت ابتسامة على شفثيه ثم عاد إلى عمله مستمتعا بما تسببه لها من حرج.

سلمت الحقيبة المملوءة بالكتب ابتاعتها فتاة في مقتبل العمل حتى تضعها في مكتبتها بعد
الزواج، خطيبها يعشق القراءة والكتب فقررت أن تفرحه بشراء أعمال الكتّاب الذين هوى
قراءة ما خطته أيديهم ووضعها في مكتبة طلبتها دون علمه؛ لتحتل مكانا في عشمها.
انتبهت إلى الرجل الذي دلف إلى المكتبة، كان مسترسل اللحية يرتدي جلبابا أبيضاً قصيرا
يُظهر البنطال أسفله، اقتربت منه تسأله عن بغيته، أجابها ناظرا إلى أحد الأرفاف بعيدا عن
وجهها أخبرها باسم الكتاب المرغوب.

أومات وذهبت تحضره، وضعت أمامه حتى يراه قبل أن تضعه في حقيبة تحمل اسم المكتبة،
صدمت مما فعله؛ فقد دفع الكتاب بعيدا كأنه نارا موقدة: استغفر الله استغفر الله

سألته مندهشة: في إيه يا أستاذ؟

أجابها متابعا الاستغفار، محركا حبيبات المسبحة في يده: إيه الصورة اللي على الكتاب دي؟

نظرت إلى الكتاب ثم عادت إليه: دا الغلاف

على صوت استغفاره مجددا: دي صورة سافرة، امرأة تطلق شعرها ونظراتها مليئة بالشهوة
والحث على الرزيلة .. استغفر الله استغفر الله

علقت ساخرة: وحضرتك لحقت تشوف كل دا من نظرة واحدة، ما شاء الله

أضافت متتهدة: على العموم أنا ممكن ألزق لحضرتك ورقة قص ولزق عليه ومش هيبان
الغلاف نهائي .. لو حضرتك مهتم بمحتوى الكتاب نفسه

زم شفتيه: قص ولزق؟، واللي يشوف معايا الكتاب يقول عليا إيه؟

رفعت حاجبيها تعجبا: هو حضرتك يهملك الكتاب ومحتواه ولا رأي الناس ف الورقة الملزوقة
على وش الكتاب؟؟

انتفض الرجل ملتفتا يرى صاحب الكف التي وضعت على كتفه: دي الطابعة اللي نازله من
الكتاب، لو مش حابب تشتري ياريت تتفضل .. بلاش عطله ع الفاضي

انصرف الرجل دون أن ينطق بحرف، عاد الحاج عبدالصمد بنظره إلى فريدة باسمها باعتذار:

معلش يا بنتي، ياما هيمر عليك من كثير

نظرت إليه بعدم فهم: بس أنا حليلة المشكلة

بهتت ابتسامته لسذاجتها: يا بنتي واحد طالب الكتاب بالاسم يعني أكيد عارف شكله

ومحتواه يبقى يجي هنا ويعمل الحركات دي ليه؟؟

- يمكن شاف طابعة مختلفة لنفس الكتاب

هز رأسه: لا يا بنتي، أنا شوفته إمبراح ف محل جورج ومش عاجبه العطور اللي بيعها، وقعد

يقول حرام وأنت كافر وكلام مالوش لزوم .. ارجعي شوفي شغلك ما تشغليش بالك بالناس دي

.. هما دول اللي بيسيئوا لسمعة الإسلام، يعني لولا إن جورج عارفيني من زمان وشاف اللي زي

الراجل دا كان قال كل المسلمين كدا .. وسب ولعن فيهم

عضت شفتيها تفكر في كلام الحاج عبدالصمد.

دخلت هند إلى مكتب أحمد بعد أن استدعاها عبر الهاتف، مثلت أمامه خلال ثوان معدودة

متسائلة: حضرتك طلبتني؟

ترك ما بيده متفرغا للحديث: أيوه .. إنتي عارفه إن في مهمة كنا اتكلمنا عنها قبل كدا؛ اللي
هتساعدني كتير ف إني أعوض خسارتي اللي حصلت .. مدير الشركة الأجنبية جه مصر
ودلوقتي هو ف الغردقة وعائزني أروح أقابله هناك

أومأت: بس أنا إيه دخلي ف التفاصيل دي ؟

أوضح: ما أنا عايزك تيجي معايا السفرية دي .. لأنه أكيد هاحتاجك

رفضت بهدوء: آسفة مش هأقدر .. ممكن حضرتك تاخذ حد غيري

اندهش لرفضها المباشر حتى دون تفكير: وليه أخذ غيرك وإنتي موجودة ؟ .. لا ليه ؟

أخبرته بجدية: عشان ماينفعش أسافر مع حضرتك لوحدي

نظر لها بقوة يستوعب سبب الرفض: أهأ .. طب مافيش حل تاني ؟

ردت بعملية: خد حد غيري

صرفها مفكرا: روعي إنتي على شغلك دلوقتي وأنا هأتصرف

جلس يفكر في حل للمشكلة حتى خطرت له فكرة ابتسم لها، تناول مفاتيحه وهاتفه ثم خرج
من المكتب دون أن يطلع هند على وجهته.

الفصل التاسع

وصل أحمد إلى مكتب أخيه، لمح مساعدته تدرس أثناء تناولها وجبة غداءها البسيطة: السلام عليكم

تركت ما بيدها ناهضة: وعليكم السلام

سألها: أكرم موجود؟

أومأت: أيوه ف مكتبه، اتفضل

تردد قبل أن يدخل لكن حسم أمره، نظر إلى مرام: آنسة مرام

- نعم

سعل: شكرا جدا؛ لإنك رشحتيلي الأنسة هند للشغل دا، بجد ما أعتقدش إنني ممكن ألاقي واحدة ف كفاءتها

اندهشت، لما يوجه لها هذا الحديث عوضا عن أختها لكنها اكتفت بالرد: العفو

تركها أحمد ودلف إلى شقيقه حتى يساعده في إيجاد حل لمشكلته العويصة.

نهض يستقبل شقيقه ويبادره: إزيك يا رجل الأعمال؟

سأله أحمد مشيرا إلى تلال المراجع أمامه: لسه وراك شغل كثير؟

هز رأسه: أبدا .. مستني مصطفى بس

طرق مصطفى على الباب طرقة شديدة هزت أرجاء المكتب: مين بيحيب ف سيرتي ؟

تأفف أكرم من أسلوبه: يا ريتني كنت جبت ف سيرة ربع جنيه مخروم

ضحك وأراد إغاضته: أساسا ما بقاش في إربع مخرومة .. يعني ماكانش هييجي أصلا

- طول عمرك غلس .. وهتفضل طول عمرك غلس .. يا غلس

رفع مصطفى حاجبيه ببرود: أديك قولت بنفسك .. أنا غلس

وقف أحمد بينهما مغيرا الموضوع واضعا حد للجدال: بس منك ليه .. على فكرة يا أكرم؛ في

سفرية تبع الشغل للغردقة تيجي معايا ؟

صاح مصطفى مانعا الآخر من الرد: أه أجي وهو هييجي .. دي هتبقى أحلى فسحة

كز أكرم على أضراسه: يا غلس، بيقول أكرم أكرم أكرم .. أنت اسمك أكرم ؟

أخرج مصطفى لسانه: أه اسمي أكرم

- ومصطفى دا شأحتُه ؟

- لا ماما كانت مسمياني أكرم .. وبابا سمانى مصطفى

أمسك أكرم رأسه بين كفيه: يا نهار مش فايت، أنا مش هأخلص منك

نفذ صبر أحمد: يعني هتيجي ولا لا يا أكرم ؟

مصطفى: ما أنا قولتلك جاي

تجاهل أكرم تدخل مصطفى: هي هتبقى كام يوم ؟

أطلع أحمد بعد تفكير: حوالي أسبوع أو عشر أيام

وافق: أوكيه، حتى الواحد يرتاح م الشغل هنا شويه

أيده أحمد معلقا: طب كويس .. أبقى قول للآنسة مرام تجهز نفسها بقى

اندهش أكرم لطلبه: ومال مرام ومال السفرية دي ؟

تنحج: أصلي محتاج هند ف شغل ضروري هناك، لكن هي مش راضية تسافر عشان ماينفعش

تسافر لوحدها .. فقولت أقولك لو هتيجي، وبالمره تيجي مرام معاها وقتها هتقبل تيجي

قفز مصطفى ضاربا بقبضته جزيئات الهواء: الله، ويا سلام بقى لو فريده تيجي معاهم .. هتبقى

رحلة تجنن

استفسر أحمد عن صاحبة الاسم: فريده مين ؟

أوضح له أكرم: فريده أخت هند ومرام

أوماً أحمد موافقا، يكفيه أن ذلك سيجعل هند ترضخ بالمجئ حتى يقبل: اااا .. ماشي

مافيش مشاكل

- مش عارف هتقبل ولا لا بس نجرب .. مرام

دخلت إليهم مرام مسرعة، تلهث ببقية الطعام بفتحها: أيوه

سألها دون مقدمات: تحبي تسافري معنا الغردقة حوالي عشر أيام كدا ؟

صعقت: الغردقة ؟ له ؟

أوضح لها الموضوع سريعا: أصل أحمد عنده شغل هناك، والآنسة هند ما رضيتش تسافر معاها

لوحدها، وأنا مسافر معاها، فقولنا نسألك إنتي كمان عشان تيجي مع هند

أضاف مصطفى بعجلة: وفريدة كمان

حركت نظراتها بينهم عجبا: مش عارفه .. لما اسأل البنات الأول

أنهى أحمد الحوار: خلاص تمام أسألهم إنهارده وبكره إن شاء الله تقوليننا الرد

حركت كتفها منسحبة: حاضر .. عن إذنكم

قال مصطفى بعد أن أغلقت الباب خلفها: تفتكروا هيقبلوا ؟

ربت أكرم على كتفه: كلها بكره ونعرف .. يلا بينا بقى نروح لأحسن نفسي أخذ دش يريحني

من الشد اللي ف ضهري

منزل آل السويبي مساء، جلس أكرم أمام المسبح يرخي يده على المنضدة بجوار كأس من

العصير الطازج فاتحا إحدى تلك الرسائل التي تبعثها إليه الفتاة المجهولة؛ التي يتشوق لمعرفة

شخصيتها ورؤية شكلها، فما يعرفه عنها لا يتجاوز معلومات بديهية؛ أنها تعرفه من الجامعة وأنها طالبة بها، لكن لا يعلم في أي فرقة أو أي كلية، قرأ الرسالة عدة مرات حتى حفظها عن ظهر قلب.

قاطع صوت هاتفه متعاليا برنين نغمة عادية، ليس لديه الوقت أو البال لاختيار نغمة معينة،
أجاب: السلام عليكم

- وعليكم السلام .. ع الأخ الندل اللي ما بيسألش

علم هوية المتصل فلم يهتم بقراءة اسمه قبل الإجابة: ههههههه طول عمرك داخله فيا شمال يا
ندى

- ما أنت لو بتسأل هأدخل فيك يمين مش شمال

- ويا ترى بتدخلي ف أحمد نفس الداخلة دي؟، ولا دي منحصصة ليا أنا؟

- أحمد؟ هو في زي أحمد؟ .. دا حبيبي

- يا سلام ع الحب اللي ولع ف الدرا .. ربنا يخليهولك ياختي

- آمين يارب

- أو مال هتيجوا إمتي صحيح؟

- مش عارفه .. عشر أيام أو أسبوعين حاجه كدا

تعجبت والدتها من حالها: مالك ميتة على روحك من الضحك كدا ؟

انتبه والدها: كنتي بتكلمي مين يا بنتي عمل فيكي كدا ؟

نظر لها آدم من طرف عينه دون أن يشعرها بنظراته منتظرا إجابتها، تماكنت نفسها
وضحكاتهما: كنت بأكلم أكرم وفجأة جه مصطفى .. ساعتها أكرم كان بيقولي إن مصطفى دا
ضغوف هههه

شاركها والديها الضحك فيما صمت آدم متابعا اللعب مع سيف، أغتاظ من زوجته؛ تضحك
من كل قلبها براحة في حين يكاد ينفجر من الغيظ؛ كان دائما يغار من مزاحها وعلاقتها
بمصطفى ومازال حتى الوقت الحالي.

علقت والدتها باسمه: وهو أتم على أخوكي تاني إمتي؟

تناولت رشفة ماء: ولا أعرف .. مالحقتش اسأل على حاجه، سبت مصطفى ياخذ حقه من
أكرم

لم يعد آدم يستطيع الصمت أكثر: وإنتي مالك فرحانه إنه هياخذ حقه أوي كدا ؟ .. مش أكرم
دا أخوكي بردو ؟

نظرت له بجدية: أنا بأضحك على شغل العيال بتاعهم، اللي رجعني سنين ورا .. وعشان كان
بيتريق على أحمد قلبها

هز كتفيه بلا مبالاة: ااه طيب

سألها والدها ياسين: قولتيه على المعاد اللي احتمال نساfer فيه ؟

أومأت: أه .. بس هيكون عندهم شغل ف الغردقة

والدتها صابرين بشوق: ياه بقالي كثير ما روحتش هناك

ابتسمت ابنتها: ما أنا كنت بأفكر نروحهم على هناك نغير جو بالمره

وافقها ياسين: فكرة حلوة

أيدهما صابرين: ياريت

أشار ياسين برأسه: خلاص تمام هأحجز على هناك بقى على طول .. لو لقيت حجز

آدم موجهها كلامه لندی: ومصطفى هيكون هناك ؟

تعجبت سؤاله لكنها أجابته بهدوء: أه، أكرم قال هيروح هو ومصطفى يغيروا جو، لكن أحمد

هو اللي عنده شغل

دمدم آدم: ااااه قولتي لي

تعجبت: قولت إيه؟

قاطعهم سيف ذاهبا إلى ندى قافزا فوق ساقها حيث يعشق الجلوس، شعر ياسين بقلق سيف

من أسلوب والديه في الحديث وأن هناك جوا مشحونا بينهما: يا عم يا عم، أيوه .. ناس ليها

حزن وناس ليها شي يا حمار مش كدا ؟

ضحك سيف: أنت بتبقى حصان يا جدو .. مش حمار

قهقهه ياسين: فرقت إيه ياخويا؟، ما كدا كدا بتركب فوق ضهري

ضحك الجميع حتى آدم نسي ما حدث وشاركهم الضحك، أمرته ندى: يلا قول تصبح على خير عشان معاد النوم جه

انزعج سيف: يووه بقى .. كل يوم نوم نوم، مافيش مرة من غير نوم دي

بعثر آدم خصلات شعر الصغير الناعمة: وعائز تكبر إزاي وتبقى قوي من غير نوم؟

وقف سيف مطأطأ الرأس: طيب أهو، رايح للنوم أهو .. أنا خلاص نمت حتى شوف

اغمض سيف عينيه وأصدر صوت "الشخير" مما جعل الجميع يدخل في نوبة جديدة من الضحك الهستيري نتيجة تصرفه البريء.

حملته ندى بين ذراعيها: يلا يا عم اللمض، لأحسن مش هنخلص منك الليلة دي

سألته جدته صابرين باسمه: مش عايز حاجه يا حبيبي قبل ما تنام؟

سيف بعد تفكير: أه .. عايز قصر زي اللي كان في التلفزيون دا

أشار بأصبعه الصغير إلى شاشة التلفاز، ابتسم له جده ياسين: قصر مرة واحدة؟ .. دا أنت

طماع أوي

عقد سيف حاجبيه: ماليش دعوة، تيته قائلتي عايز إيه وأنا قولت .. هاتلي بقى اللي أنا عاوزه

عاتبه آدم بهدوء: تيته هتجيبك منين قصر الساعة دي .. روح نام يا سيف

أوشك سيف على البكاء: لا، أنا عايز القصر تاعي !

استدركت ندى الموقف: تحب يا سيف تجيب أنت القصر لنفسك، ومش واحد بس كثير
كمان ؟

مسح دموعه المهددة بالهطول: أه أه عايز

ابتسمت له بحنان: طب أنت لو قرئت "قل هو الله أحد" عشر مرات ربنا هيبينلك قصر كبير
أوي وحلو أوي عنده ف الجنة وكل مرة هتقرا فيها هيبينلك قصر .. ها إيه رأيك ؟ تيجي
نقراها دلوقتي ؟

صفق سيف بسعادة: أيوه أيوه

بدأ الجميع يقرأ سورة الإخلاص المنتشرة بين الأطفال باسم سورة "قل هو الله أحد" في صمت
بينما سيف يقرأها بصوته العالي الطفولي، أثناء تلاوة آدم الهامسة تعلق بصره بزوجه مفكرا
كيف تكون بهذا الحنان والقدرة على تربية طفل بهذه الطريقة وهي .. زوجة خائنة.

توقف الجميع عن القراءة على صوت سيف يهتف بعد أن أمسك كفي والدته يمنعها عن متابعة
ترديد السورة قائلا: لا يا مامي إنتي مش تقري

استغربت وسألته: ليه ؟

خاطبته صابرين زاجرة: أنت مش عايز مامي يقالها قصر ف الجنة يا سيف ؟

هز رأسه رافضا: لا مش عايز عشان هي كدا هتعيش ف قصر تاني ومش هتعيش معايا، عشان

كدا مش عايزها تقرا، أنا هأخليها تعيش معايا ف القصر تاعي أنا !

نظر الجميع لسيف مصدومين أولهم آدم الذي دارت التساؤلات بعقله أل هذه الدرجة تحبها

وماذا عني .. ماذا عن والدك ؟ أتخليت عني وفضلتها عليّ ؟

سأله جده: يعني عايز مامي بس معاك ف القصر بتاعك وأنا وجدتك وباباك لا ؟

أجابه سيف بعقل: لا عايزكم كلكم، أنا بأحبكم كلكم .. بس مامي بأحبها كثير أووي قد الدنيا

دي كلها .. وبعدين أنت يا جدو هتقعد مع تيته ف قصر واحد، بس مامي هتبقى معايا أنا

آدم بحزن: ومش بتحبني أنا يا سيف زيها ؟

شعر سيف بحزن والده فانسحب من بين ذراعي أمه وأتجه إليه يضم ساقه بين ذراعيه بقوة: لا

يا بابي أنا بأحبك قد السما دي كلها .. بس أنت راجل وعندك شغل، ممكن تقعد لوحداك ..

بس مامي مش ليها غيري، يعني لو قعدت بعيد عنها هتبقى لوحدها .. لكن أنت عندك عيانيين

كثير أووي هيشغلوك

ضحك الجميع على تبريرات سيف لإختيار والدته فقط دوناً عن البقية، كانت ندى تنظر إلى

آدم وهو يبادلها النظر حتى أسقط عينيه بالنهاية بعيداً عنها، نهض: أنا هأروح أنام .. تصبخوا

على خير

تركهم متجها إلى فراشه علّه يفّر من تلك الأفكار بالنوم، صعّدت ندى تضع سيف في فراشه من ثم ذهبت إلى الغرفة المشتركة بينها وبين آدم، ما إن يشعر بها تشاركه الفراش حتى يتكوم على أحد أطرافه واضعا بينهما وسادة؛ حتى لا يمسه ولو من غير قصد، أغمضت عينيها باكية لهذا الحال، ويغمض هو عينيه غاضا البصر عن هذا الجمال الراقد بجواره.

مدت هند قبضتها تتناول حفنة من الفشار فيما تجلس أمام التلفاز تتابعه برفقة شقيقتها فريدة ومرام: معقول عمل كل دا عشان أسافر معاه؟

صرحت بهذا التساؤل بعد أن أخبرتهم مرام بما حدثوها به: أه، شوفتي بقي؟

حدثت هند نفسها بصوت مرتفع: طب وليه؟؟ ما كان خد أي حد تاني والموضوع ينتهي

مرام: شكله مش بيتق ف حد بسهولة، وزى ما إنتي قولتي .. هو قالك إنها صفقة هتعوض

الخسارة اللي حصلته م السكرتيرة اللي قبلك فأكيد مش حابب يضيعها

هند بشرود: يجوز

أضافت مرام ملتفتة إلى شقيقتها الأخرى بخبث: ولا أستاذ مصطفى دا كمان لما قالي خلي

فريدة تيجي معاكوا

نظرت لها فريدة باستغراب: مصطفى؟، وإيه اللي جاب مصطفى عندك؟، وإيه دخله ف

الموضوع

أدعت مرام عدم التذكر: لهو أنا ما قولتلكيش؟؟ .. إخص عليا .. بجد إخص

فقدت فريدة أعصابها: بت إنتي، أتكلمي علي طول وأنجزي

قهقهت مرام: خلاص ما تعصيش نفسك .. أصل مصطفى دا طلع صاحب أكرم، كان جه معاه مرة وشوفته

همهمت فريدة: يا سبحان الله!، إيه الصدف العجيبة دي؟

هتفت مرام معيدة الموضوع لمساره الأصلي: المهم .. قولتوا إيه؟ هتروحوا ولا لا؟

هزت هند كتفيها: مش عارفه، بس دا شغلي، وما دام أنتوا رايعين أنا هأروح

صاحت مرام منتفضة من مجلسها: هيه وأنا هأروح أشم نفسي أخيرا أوف

قالت فريدة بجدية وأعدت تركيزها إلى التلفاز: أنا مش رايعه

انتكست مرام مكانها مرة أخرى: ليه؟ ما إحنا كنا كويسين

دون أن تنظر إلى أي منهما: أروح بمناسبة إيه؟ .. هند هتروح عشان شغلها وإنتي هتروحي

عشان ما تبقاش لوحدها، أنا أروح ليه بقي؟

أخبرتها هند بثقة: وإنتي فاكره إننا هنسيبك لوحدها هنا؟، أبدا رجلي علي رجلك .. يا نروح

كلنا يا نقعد كلنا

أوشكت مرام على البكاء: يلا بقى يا فريدة، أدىكي شوفتي، أهى مش هتروح لو مروحتيش ..
وأنا نفسي أتفسح وأغير جو، عشان خاطري وافقى بليز

هتفت فريدة بضيق؛ فلقد أشعرتها بالذنب: يووه .. روحوا أنتوا ومالكوش دعوة بيا، أنا مش
عيلة صغيرة

وضعت طبقها جانبا ثم أغلقت على نفسها باب حجرتها، مرام لا تفهم مخاوفها، بأي صفة
يطالب مصطفى بحضورها، لما أصر على ذلك، ماذا يخطط، لقد أوشكت على الوقوع في
شباك حبه وهذه الرحلة قد تحكم حولها القيد وتستسلم ليدي الصياد وهذا آخر ما أرادته.

أتجهت مرام تجلس بجوار هند تستعطفها: عشان خاطري بقى، نروح إحنا

بعد تفكير لدقيقة: وفريدة؟

هتفت بيأس: ما هي اللي مش عايزه تيجي معانا، أنا هأموت وأسافر

خاطبتها بعقل: بس ما ينفعش يا مرام نسيبها لوحدها

حاولت إقناعها مجددا: يمكن لما تشوفنا خلاص مسافرين وهتبقى لوحدها تغير رأيها

حدقت بها تتأكد من جدتها: تفتكري تغير رأيها؟

هزت رأسها هبوطا وصعودا بقوة: وإحنا أكيد هنفضل وراها ونزن يعني، مش هنسيبها

همهمت: إمامم .. خلاص ماشي .. ربنا يستر

قبلتها على وجنتها بقوة: هيه حبيتي يا هنوده أمووه

دخلت تعد حقيبتها بفرحة فيما هند تفكر في فريدة وكيف تستطيع تركها بمفردها، فإذا أصرت على قرارها ستلغي الأمر نهائيا، في الغد ستقوم بتنبية أحمد حتى يأخذ احتياظه فلا يتفاجئ. كذلك ما سبب اهتمامه بذهابها معه، لما لم يبحث عن غيرها أكثر كفاءة وأعلم منها بأمور الشركة وكيفية تنظيم هذه الصفقات، لم يعترف يوما بكفاءتها، أو يشكر لها همتها فلم الآن يتمسك بها إلى تلك الدرجة؟؟

وقفت في المكتبة خلال اليوم التالي؛ تنظم حسابات الشهر كما علمها الحاج عبدالصمد؛ فقد كان شديد الثقة بها بالإضافة إلى ذلك فإن عيناه لا تتحملان كثرة التدقيق وشدة التركيز كما سبق.

ظهر أمامها مصطفى محييا: صباح الخير

دون أن تنظر إليه سألته: صباح النور .. أي خدمة ؟

أخبرها مباشرة: ليه مش عايزه تيجي معاهم الغردقة ؟

سألته ساخرة: هو أنت لحقت تعرف ؟

اتكأ على المنضدة: أصلي كنت مستني رذك بفروغ الصبر، وأول ما مرام قالت لأكرم رذكوا
وعرف إنك رفضتي قالي وأنا جيت عشان أعرف السبب

هزت كتفيها بلا أدنى اهتمام: من غير سبب، أنا مش عايزه أروح وخلص الموضوع
أكملت عملها تخبره بطريقة غير مباشرة أن الموضوع أنتهى وليس هناك أي مجال للنقاش،
أدعى عدم فهمه لحركاتها وعاد يسألها: يعني مصممة إنك مش هتسافري ؟
تأفتت: أيوه مصممة .. ممكن تتفضل بقي ؟

أدعى مصطفى البراءة قائلا بحسرة: يا عيني عليكى يا هند .. والله هتصعبي عليا
لفت اسم هند إنتباهها فخوفها وقلقها على أختيها دائما كان يحتل المرتبة الأولى لديها حتى
قبل ذاتها؛ فهي تعتبر نفسها أما لهما قبل أن تكون أخت، سألته بتردد تخشى أن يلمح نبرة
القلق في صوتها: ومالها هند ؟ تصعب عليك ليه ؟

ادعى عدم ملاحظته لإنفعالها حتى لا يحيد عن خطته وتابع: أصلها يا حبة عيني هتركز ف
الشغل ولا ف أختها الصغيرة الطايشة .. هتاخذ بالها من إيه ولا إيه .. المشكلة بقي إنه ف
الوقت اللي هي بتدوخ فيه، أختها قاعدة هنا مريحه دماغها وواخده مزاجها أربعة وعشرين
قيراط

سألته منزلة في شركه بعد أن أشعرها بالذنب: فكرك كدا ؟

ادعى الحزن مخفيا فرحته الداخلية: مرام أختك وإنتي أدري بيها أكثر من أي حد

ولأنها حقا أعلم بشقيقتها وتصرفاتها المتسرعة، أحست بالقلق والذنب ناحية هند بدأ يتنامى،

قررت بتردد: أووووف .. طيب، خلاص هأسافر

كظم غبطته وسألها رافعا حاجبيه ياندهاش: وليه تتعبي نفسك؟ أرمي كله على أختك

صاحت به بعصبية: يووه .. ما خلاص بقى

دنى منها قليلا وقال مهدئا: خلاصين تلاته، هأخاف يعني ولا هأخاف

أفلتت ضحكتها رغما عنها: عايزه أشتغل يا أستاذ

أوما مبتعدا: خلاص يا أبو سريع ما تزوقش، أديني ماشي أهو

لم تستطع إمساك ضحكاتهما، رأى ضحكتها فيما إعجابه بها يتزايد يوما عقب يوم؛ فقد ضححت

براحتها وموقفها فقط من أجل شقيقتها .. لتحمل عنها حمل الأخت الطائشة ومسئوليتها، لم

يدري عن طيشها شئ سوى ما استشفه من مقابلتها المرتين الماضيتين، خبرته في طيش

الفتيات لا يستهان بها.

همس لنفسه أثناء صعوده إلى السيارة: بجد إنتي فريدة .. يا فريدة، هو في حد كذا ف الزمن

دا مش بيقول يلا نفسي؟؟ .. غيرك

جلست صابرين تحت شمس الصباح الباكر حيث يعم دفئها دون أي آثار جانبية، اقتربت منها
ابتنتها لاهثة الأنفاس وارتمت على المقعد المجاور، وضعت يدها على صدرها: قطع نفسي
ومش راضي يسبني ارتاح

ابتسمت لها والدتها بحنان: لسه صغير وعنده طاقة .. خليه يلعب

ضحكت: يلعب .. هو أنا قوتل حاجه؟؟ .. بس ما يقطعش نفسي أنا ف اللعب معاه

مدت لها كأس من عصير البرتقال الطازج: اشربي دي هتعوضك شوية عن المجهود اللي
عملتيه

تناولته منها عن طيب خاطر واستغرقت في تأملاتها للحديقة ولحظات الاسترخاء حتى أفاقت
على خروج اسمها من بين شفتي صابرين القلقة: ندى .. كنت عايزه أكلمك ف حاجه
وضعت كأسها بعد أن أنهت أغلبه وانتهت لحديث والدتها فيبدو عليها الجديدة وخطورة
الأمر: إيه هي يا ماما؟

رفعت حاجبيها: علاقتك مع مصطفى

تعجبت: مالها؟

نقرت الأم بأصابعها على الطاولة: أنا ماكنتش بأكلمك عنها قبل كدا رغم إنني لاحظت قربكوا
من بعض أوي .. لكن ما أدخلتش عشان قوتل إنك عاقلة وعارفه مصلحتك كويس بس ...

شجعتها لتكمل: بس إيه ؟

زفرت: لازم تفهمي اللي كان ينفع وأنتوا صغيرين ما ينفعش دلوقتي

عقدت ذراعيها: وإيه اللي فتح الموضوع دا دلوقتي ؟

تهدت الأم باستسلام؛ فقد لاحظت حركة ابنتها الدفاعية ونبرتها الحانقة: آدم إمبراح ماكانش طبيعي من ساعة ما جيتي سيرة مصطفى .. ما تنسيش أنه شاف تعاملكوا سوا وفرحتك إمبراح اللي ظهرت بعد ما عرفتي أنه مع أكرم .. حاسبي من الغيرة يا ندى .. الغيرة لو دخلت بين إثنين بالأخص لو شخص كتوم ف مشاعره زي آدم هتلاقي الراحة والاستقرار هربوا نظرت إلى والدتها تريد إخبارها أن العلاقة بينها وبين آدم ليست كما تتخيل، لم يعد يحبها فكيف سيغار عليها؟؟، لكنها ألزمت جانب الصمت واكتفت بإيماءة من رأسها تدل على سماعها لكلام أمها كاملا.

زمت صابرين شفيتها متناولة المجلة من فوق المنضدة تتابع قراءتها، لقد أدت دورها وهمست بالنصيحة في أذن ابنتها والآن حان دورها في الأخذ بالنصيحة أو إلقاءها.

الحي الشعبي في المحروسة يحتوي على الباعة الجائلين في الأزقة والحارات، بائع البطاطا الذي تخرج مدخنة عربته كمية من ثاني أكسيد الكربون تتركم الأنوف وتزيد سببا إلى طبقة الأوزون حتى تنسحب رويدا عن محيط الأرض.

ميكانيكي السيارات الذي أفتش الأرض أسفل سيارة نقل يحاول إصلاح العطل الحادث بها.
صاحب محل البقالة يجادل سيدة في إنتقاصها للجن قبل إعادته فميزان لا يخيب، حلاق
الحارة يقف خلف ظهر الزبون يزيل عنه حمل شعره ويلقي على كتفيه أحمال الناس وأخبار
طلاق فلان وسجن علان.

وإذا ثنى المرء رقبتة للخلف قليلا .. لاحظ الشرفات التي تكاد تلتصق سويا من شدة القرب،
حتى أنك تكاد تشعر أنها شقة واحدة اعترض الشارع طريقها.

وقف في إحدى الشرفات شديدة الضيق .. هشام، وقف مستندا إلى سورها يراقب الحركة في
الحي الذي ولد وعاش فيه، بعد رؤيته خروج صبي القهوة قائلا: وعندك واحد شاي كشري
للمعلم بُرغل

دلف إلى الداخل متمسكا بكوب الشاي الذي لم يشرب سوى ربعه، وجه نظراته الغاضبة إلى
صديقه متابعا الحوار الذي كان دائرا بينهما قبل دقائق: أنا مش عارف هو لاقني إزاي، يعني
خلاص مصر كلها مالاقش غير المكان دا اللي شوفني فيه ؟

سحب سعد كرسيًا يتهالك وجلس فوقه بهدوء: طب هتعمل إيه ؟ هتهرب منه إزاي ؟

جلس أمام صديقه على الكرسي بطريقة معاكسة: أي حاجه فيها سفر برا مصر أكيد هيوصلني

طالبه بالمزيد: طب وبعدين ؟

أشعل سيجارة من علبة السجائر الملقاة فوق المنضدة بلا إهتمام: شكلي هأروح أي محافظة
تانية واستنى فترة لحد ما ينسى الموضوع أو يحصل جديد

سعد: تمام .. هتسافر فين بقى ؟

نفث دخان سيجارته وأدارها بين أصبعيه متأملاً: مش عارف .. بس أكيد هأروح مكان أفرش
فيه بالفلوس اللي معايا دي مش هأدفن نفسي يعني ههههههه

انضم إليه سعد في نوبة الضحك مظهراً أسنان أكلها السوس: ههههه ماشي يا عم بس أبقى
افتكرنا

ربت على كتفه: طبعاً يا ابني ودي فيها كلام ؟ أنت هتيجي معايا

-ربنا يخليك يا صديقي الصدوق

نظر بعيداً بغل: بس اللي غايطني إنه شافني معاها

تعجب سعد: مع مين ؟

هشام بنفاد صبر: مع فريدة يا ابني اللي حكيتلك عليها

- اااا .. طب وهو عرف طريقها مين ؟

لوى هشام شفثيه: يا ابني ما تفتح مخك ما أنا قولتلك شافني معاها قصاد المكتبة بتاعتها،

سهل أوي يروح هناك وهيلاقياها

-طب ما يلاقيها .. هي ما تعرفش عنك حاجه، دي تعرف عنك أقل بكثير أوي من اللي هو عارفه، يعني مش هتفيده

صفعه هشام على جبينه: أنت مال مخك ضلم كدا ليه؟؟ .. مش على كدا .. بس مصطفى دا بتاع بنات .. وخايف تدخل دماغه وياخذها

غمزه سعد: أنت مش قولت إنها محترمة ويدوب بترد على قد السؤال؟ .. وصاحبك دا بتاع البنات النغشين اللي تجيب م الآخر

هشام بتأني وقد ضاقت عيناه: ما أنا خايف لما يلاقيها معصلجه معاه .. تدخل دماغه أكثر ويحب يلينها .. أنا عارفه

هز كتفيه بلا مبالاة: لو البنت فعلا زي ما قولت، مش هيقدر عليها حتى لو عمل اللي .. كبر مخك .. خلينا ف السفرية .. هتودينا فين يا برنس؟

قهقه هشام ونهض ملقيا عُقب سيجارته أرضا ثم دعسها بقوة: المكان اللي يعجبك يا أسطى



الفصل العاشر

قفزت مرام سعيدة بعدول شقيقتها عن رأيها الذي اعتبرته بلا أسباب مقنعة: هيبه، يعني جايه
معانا يا فيري

مسحت وجهها بباطن كفها: يادي النيله .. مش قولتلك مش بأحب الدلع دا؟، شكلي هأرجع
ف كلامي تاني

تعلقت بذراعها فزعة: لا لا خلاص .. سماح المرة دي أموه

ضحكت على تصرفات شقيقتها الصغرى التي لا تنم سوى عن طفولة دائمة ثم استدارت إلى
فريدة متسائلة: بس إيه اللي غير رأيك؟

هزت كتفيها كأن الموضوع لا يحتاج إلى أية شكوك: عادي يا بنتي .. فكرت إني هأقعد من
غيركوا، وعشر أيام كتير عليا من غيرك ومن غير جنان الست مرام، وهتوحشوني أوي، فقولت
عليا من دا بيايه أروح معاهم أحسن

ضمتهها هند باسمه: تنوري

لوت مرام شفيتها بحزن: عشر أيام وحساهم كتير؟، في ناس ما شافوناش من سنين و ولا فارق
معاهم .. إنتي بجد مافيش منك يا فريدة، هتكوني أحن وأجمل أم ف الدنيا
زجرتها هند: وبعدين بقى .. إنتي عايزه تنكدي على نفسك آخر الليل يعني؟

هزت مرام رأسها: لا ولا نكد ولا يحزنون .. أنا هأدخل أنام

تأبطت هند ذراعها: خديني معاكي ياختي لأحسن مدغدغه ومفاصلي سابت وعنيا راحت

سألتهما فريدة قبل أن تدلف كل واحدة إلى غرفتها: صحيح .. السفر إمتي ؟

رفعت هند عينيها إلى الزاوية اليسرى لأعلى محاولة التذكر بالضبط: هو قال كمان أسبوعين

يكون العميل الأجنبي جه من برا

أومأت فريدة: كويس أوي .. يلا تصبحوا على خير

عادت إلى مكانها على المقعد ثم تناولت كتابها الذي تركتها مقلوبا عند الصفحة التي توقفت

عندها، استغرقتها القراءة حتى راحت في سبات عميق لم تنفق منه سوى على إقامة صلاة

الفجر.

دق الرقم بعدما أضاف الكود الدولي، استمع للرنين المتواصل وبعد تكرار المحاولة أكثر من

مرة أجاب أخيرا، استمع للتحية تخرج من بين أنفاس ضجرة، ردها دون أن ينتبه للهجة الحنق

لدى صاحبها؛ فقد انشغل خلدته بفتايته الصغار: وعليكم السلام يا أم جلال .. أبو جلال

عندك ؟ .. محتاجه ضروري

حاولت إظهار الاهتمام في نبرتها: لا والله يا حاج عبدالرحمن .. خير في حاجه ؟

زفر بانهبام: طب هيرجع قريب ؟

- ما اعتقدش .. أصله سافر المنوفية بيع حتت الأرض والبيت المهدم اللي ف وسطها، أنت عارف بقى الواد جلال على وش جواز وهيحتاج شقة ف القاهرة

أضافت على عجل: أنت محتاجه ف حاجه ضروري ؟

- أصل البنات مضطرين يسافروا كام يوم الغردقة عشان شغل .. ولو مافيهاش إزعاج كنت عايز جلال أو أبو جلال يروح معاهم؛ عشان ما ييقوش بنات لوحديهم

- اااا، معلش بقى يا حاج .. دول مش قبل أسبوع يرجعوا، كان نفسي نساعدك والله

- لا لا مافيش مشاكل، هما مش هيسافروا قبل أسبوعين أصلا

- دا بجد؟!، أ .. أ .. يووه، يخيني نسيته، دا لسه جلال متصل بصاحبه إنهارده عشان يمدله الأجازة اللي أخذها شهر قدام .. عشان الأرض حالتها وحشة وعايزين ينصفوها وبهتموا بيها شويه عشان سعرها يرفع ويلاقولها مشتري

التوت شفتها سخرية وقد فهم تهربها، حمد ربه على إجرائه المكالمة من مكتبه أثناء الاستراحة، إذا تحدث مع أم جلال أمام زوجته لكانت أوسعته لوما وعتابا؛ لقد نبهته قبل السفر أن هؤلاء الناس لا يترك بعهدتهم شيء، جلال مازال صغيرا بينما والدته هي الأمرة الناهية، تتحكم في زوجها وتحركه على هواها، فلن يستطيعوا تقديم العون لبناتهم عند الحاجة.

ظن أن صلة القرابة وإن كانت بعيدة ستجعل موضعه وموضع بناته مختلف، سيبدون الاهتمام ولو قليلا، لكن يبدو أن العالم اختلف والأولويات تبدلت، وعكس ما يقال فقد صار رابط الدم كالماء.

اغلقت الخط مع قريب زوجها متأففة، لقد رفض زواج ابنته لابنها حتى بدون استشارتها، لا لشيء سوى تحججه أن فارق المستوى التعليمي سيخلق بينهما مشاكل بدون آخر. مصممت شفيتها ساخرة: مش هو دا بتاع دبلوم صنايع اللي مش عاجبك؟؟ .. دلوقتي عايز تأمين بناتك عليه.. ياخي ده دَا، دا خسارة فيك السلام اللي بيقلهولك وكلمة حاج اللي بنناديك بيها .. مش ناقص إلا بناتك كمان اللي ننشغل بيهم

قلبت الأوراق وحددت الصفحات التي طلب منها أكرم تصويرها من المراجع؛ حيث تفيده في دراساته العليا بالإضافة إلى تشغيل جهاز الحاسوب لكتابة ما سبق وطلب تجهيزه، كانت الساعة في تمام الساعة والنصف صباحا، أبكرت زيادة عن اللازم على غير عاداتها؛ لقد أمضت ليلا تتقلب في الفراش كأنه صنع من جمر، وفور رؤيتها لأشعة الشمس الأولى التي أعلنت بداية نهار حار جديد قفزت تستعد للذهاب إلى جامعها على أمل إيجاد ما تنلهي به دافعة دوامة أفكارها المحزنة.

لم يأتي سوى قلة قليلة من العاملين في الكلية، فقط من يتطلب منهم العمل ضرورة الحضور المبكر، دخل عامل مكتبة التصوير مصدوما لرؤيتها في تلك الساعة، لكنه ألقى التحية: صباح الخير يا آنسة مرام

استدارت إليه مفزوعة: فرج؟!، مش تخبط قبل ما تدخل؟؟ .. خضتني

نظر إليها نظرات أثارت الريبة داخلها: ما عاش اللي يخضك

استفسرت بشك: أنت إيه اللي جابك الساعة دي؟

اقترب منها على مهل: أبدا .. جبت الورق اللي كان سبهولي دكتور أكرم أصورهوله إمبارح

تراجعت للخلف: تمام .. سييه عندك ع المكتب وأمشي

اقترب منها أكثر: طب ما تاخديه إنتي من إيدي أحسن يا جميل .. إيه رأيك نفطر سوا؟

جاهدت لتخفي خلفها عن عينه حتى لا تزداد جراته: جميل إيه؟! .. بتتكلم كدا ليه، أنت

أتجننت!؟

أجابها بنبرة اشمزت منها: أه أتجننت .. مين يبقى قدام لهطت القشطة دي ما يتجننش؟

صرخت به: ما تحترم نفسك

كان شديد القرب منها عندما قال: هههههه ماشي يا قطة

هجم عليها فجأة، يحاول أن يقربها منه بينما تحاول تدفعه بعيدا عنها بكل قواها، لكنه كان أقوى منها بمراحل، جسده البدين وثقله أودى محاولاتها إلى التهلكة، بدأت تبكي وتتوسل إليه في حين غرق في عالم آخر غير عابئ بها أو بكائها الذي يلين أقسى القلوب.

ترجته باكية: حرام عليكى أبعده عني .. سبني، دا أنا قد ولادك

ضحك ضحكة مقززة أثارت بها رغبة عمياء في التقيؤ: هو أنا هأنزل بناتي كدا .. باللبس دا، تقول بيه للرايح والجاي تعالى اتفرج عليا؟؟

عادت محاولاتها المستميتة في دفعه جانبا بينما تصرخ: ربنا ينتقم منك، حسبي الله ونعم الوكيل .. أبعده عني يا حيوان .. يا قدر

دخل أكرم في حين صدمه منظر فرج يحاول تقريب مرام إليه حتى يستطيع الوصول إلى فمها وتقبيلها، يمسك بها بقوة فيما تبكي بين يديه محاولة إقصاءه عنها لكن محاولتها تبؤ بالفشل .. غلي الدم في عروقه فهجم على فرج وأبعده عنها ملقيا إياه أرضا، لم يستوعب فرج ما حدث بهذه السرعة، وضع يده على فمه النازف متوجعا.

صاح به مشيرا إلى الباب: أطلع برا مكتبي دلوقتي يا *** .. شغلي معاك بعدين .. سمعتني؟! بأقولك براا

خرج سريعا متعثرا في السجادة المفروشة فوق أرضية الغرفة كذلك في خوفه من بطش أكرم خصيصا وهو أحد معلمي الجامعة ونفوذه خارج الحرم، عدا خوفه من ضرباته التي قد تتوالى

بضراوة إذا طالت فترة بقاءه أمام عينيه لمدة أطول؛ قد يبدو ضعيف البنية لكن قوة الغضب هي الغالبة ولن يستطيع الصمود أمامه.

بعد تأكده من مغادرة العامل للمبنى بأكمله، بحث عن مرام بعينه مقطب الجبين حتى وجدها تجلس على الأرض في ظل طاولة المكتب حيث لم تعد تملك من الأعصاب ما يجعلها تستمر في الوقوف.

ضمت قدميها بشدة مطبقة فوق صدرها تبكي وقد عقدت ذراعيها حول ركبتيها، هذه هي جلستها المفضلة التي تشعرها بالأمان -إحتواء جسدها بين ذراعيها- عندما لا تتوافر أيا من شقيقتيها فريدة أو هند بجوارها، عادة أكتسبتها بعد سفر والديها وإبتعادها عن حضن أمها الدافئ، أشفق عليها ثم جلس بجانبها ساندا ظهره إلى المكتب ممددا ساقيه أمامه وقد عقد أصابعه معا.

سألها محققا أمامه مباشرة: إيه اللي جابك بدري ؟

صدمت لسماع صوته ونظرت إليه غير مصدقه وجودها ثم عادت للنحيب: كان في ورق حضرتك طلبته مني ضروري يكون على مكتبك الصبح .. وأنا ما كنتش خلصته .. فأخذته معايا وعملته ف البيت .. بس قولت أجي بدري أكتبه ع الكمبيوتر .. وأطبعه قبل ما حضرتك توصل.

أوماً بهدوء: طيب خلاص .. حصل خير

نظرت له ببؤس: لولا إنك جيت .. ماكانش هيبقى خير

عادت تبكي بكل ما تحمله بداخلها من ألم للذكرى من جديد، احتار لا يعلم ماذا يفعل لكي يوقف انسياب دموعها، صدمته دموعها كأنها أساور حديدية ألجمت يديه، لم يكن يتخيل أن يراها في تلك الحالة، دائمة الضحك .. المزاح .. المشاكسة تنهار بهذا الشكل.

حاول التخفيف عنها: المهم إني جيت

بعد فترة سكون: عارف قالي إيه لما قعدت أترجاه يسيني واني قد ولاده ؟

أكملت دون إعطائه فرصة حتى يجيب كأنها تحدث نفسها: قالي إن بناته مش هيسيبهم ينزلوا كدا باللبس دا (زاد نحيبها وبدأ جسدها في التشنج) .. طب أنا ذنبي إيه؟!، ذنبي إيه إن مافيش أب يجي يقولي مافيش نزول كدا، أب أنا بقالي سنين ما شوفتوش، أب ماعشتش معاه لحظة نجاحي وخوفي من النتيجة والتنسيق .. إني ما أدخلش كلية بأحبها .. ها؟! .. ذنبي إيه .. ما ترد عليا

كان منشغلا عن الإجابة بالنظر إليها، نظرة غير نظرتة لمرام الطائشة غير المبالية، همس بداخله: دي طلع وراها حزن كبير بتدفعه وتخيبه ورا قناع الاستهتار دا

التفت إليها متناسيا أفكاره: واني ليه تحتاجي حد يوجهك ؟ .. إنتي مش ليكي عقل تعرفي بيه الصح والغلط .. تعرفي بيه إيه اللي يتعمل؟، طب ما إخوانك مش كدا .. إنتي ليه كدا ؟

دمدمت بضعف: عشان أنا ضعيفة وغبية .. يمكن عملت كدا عشان أحسس أهلي بالذنب ناحيتي .. أقولهم بطريقة مش مباشرة أنهم السبب ف اللي أنا فيه دا .. هههه بس هما مش هنا ومش شايفين دا .. وبدل ما يكون إنتقام منهم بقى إنتقام من نفسي

ذكرها: وتنتقمي منهم ليه ؟ .. مهما عملوا ما ينفعش عملي كدا، نسييتي ربنا -سبحانه وتعالى-
لما قال "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين"

- وأنا أهو انتقمتم من نفسي ف الآخر

أوماً: ماحصلش حاجه .. فكري بس إن دا حصل عشان تفوقني لنفسك وتعرفي فين غلطك
وتصلحيه

تأملت: يعني لسه في فرصة ؟

ابتسم مشجعاً: بصي هأقولك جملة هي مبدأى وياريت تخليها مبدأ ليكي إنتي كمان .. " لو ف
عمرى لحظة يبقى لسه قدامى فرصة"

هزت رأسها متحمسة: ماشى وأنا موافقة

نهض من مكانه ونفض يديه قبل أن يمدها إليها: يلا قومى بقى .. ووريني الضحكة الحلوة

وبلاش التكشيرة الوحشة دي .. دا إحنا لسه بنقول يا صبح

جذبها لتقف على قدميها بينما تبسم: أهو .. كدا حلو؟

بادلها الابتسامه: أيوه كدا يا شيخة .. خلي الواحد يصطحب بحاجه حلوة

دهشت من كلامه الذي قيد أحبالها الصوتية فلم تستطع الرد واكتفت بالنظر إليه، تنحنح

محرجا: يلا روجي إنتي دلوقتي .. إنهارده أجازة

حاولت الاعتراض لكنه أقفل جميع أبواب المناقشة بوجهها، رفع أصبعه محذرا: ها وبعدين ؟

.. إرتاحي إنهارده وأنا هاهريكي شغل بكره لحد ما تقولي حرام عليك اعتقني لوجه الله

لم تستطع تمالك نفسها أمام طريقته التمثيلية المبالغ بها، شعر بسعادة داخلية غامرة لنجاحه

في إزاحة حزنها بعيدا وإعادة الضحكة إلى وجهها.

دلفت مرام إلى المطبخ ثم فتحت الثلاجة وألقت تفاحة، سحبت كرسيها من حول طاولة

المطبخ الصغيرة ثم جلست عليه تراقب شقيقتها وهي تعد الطعام.

حدثتها فريدة دون أن تلتفت إليها: أخيرا صحيتي ؟ إيه النوم دا كله .. مش عارفه رجعتي

بدري ليه وإنتي من استعجالك ما فطرتيش ؟

قضمت من تفاحتها: ما أنا قولتلك، لاقيت مافيش شغل كثير روحت استأذنت وجيت

زجرتها بعدم اقتناع : طب ما كنتي نزلتي على مهلك اتسربعتي ليه ؟

- ماكنتش أعرف إن مافيش شغل كثير .. ع العموم سيبك ما حصلش حاجه

نظرت لها بقوة ولوم: لا حصل .. بس مش هاسأل إيه اللي حصل لحد ما تيجي تحكي لي

لوحديك .. أصل دي مش عشرة يوم يا ست هانم

تنحنت بحرج: طيب، فريدة .. أنا عايزه أطلب منك طلب

ابتسمت لها فريدة مشجعة: أوامري يا حبيبي

أطلعته بتوتر: أنا عايزه ألبس طقم من هدومك .. لحد أما أجيب كام طقم لنفسني، لأنني مش

عايزه أنزل بهدومي دي تاني

سعدت فريدة: يعني خلاص ؟ .. هتلبسي الحجاب وتغيري استايل لبسك ؟

انتقلت الفرحة إلى ملامح وقلب مرام عندما رأت فرحة شقيقتها بهذه الخطوة: أيوه خلاص

سألته مشيرة بسبابتها: يعني مش هترجعي تقولي (دا مش عارفه إيه) وترجع ربما لعادتها

القديمة ؟

قبلت مرام ظهر كفها وباطنه: لا يا ستي توبة من دي النوبة

دنت منها فريدة تقبلها: أيوه كدا فرحيني .. لولولي

انضمت إليهم هند ضاحكة بعد أن سمعت أصواتهم: على فكرة مش بتعرفي تزغرتي يا فريدة

أومأت فريدة ضاحكة: ما أنا عارفه، بس من فرحتي

ابتسمت هند: ربنا يزيدك فرحة كمان وكمان .. بس حصل إيه ؟

نقلت إليها الخبر بفرحة حقيقية: مرام خلاص هتتحجب ومش بس كدا.. لا.. هتغير استايل
لبسها كمان

هند: يا بركة دعاكي يا أما .. مبروك يا مرمر

مرام بسعادة: الله يبارك فيكي .. أنا لو كنت أعرف أنكوا هتفرحوا أوي كدا كنت أتحببتلكوا
من زمان

فريدة: ما إحنا بنزن عليك من زمان بس لا حياة لمن تنادي .. وبعدين المفروض تتحجي
عشان دا فرض عليك .. عشانك مش عشان تفرحينا بس .. أصلا فرحتنا بيكي ما تجيش
حاجه جنب فرحة ربنا بيكي يا مرومتي

مازحتها مرام: عارفه .. بس بأضحك معاك كركركر .. شربات استايل

ضحكت أختيها على تمثيلها وشاركتهم مرام الضحك فيما تشعر براحة غريبة؛ إنها أتخذت
هذه الخطوة، نظرت لإخوتها وهن يخططن من أين سيشترون لها ملابسها، شعرت وقتها بقيمة
وجودهن بحياتها وأنها لن تستطيع تعويضهما؛ فلن تجد من يحبها مثلما تفعلان.

نهضت وألقت بجسدها عليهما على حين غرة، ضمتهم حتى سقطوا فوق بعضهن على الأرض
لكن لم يهتم أي من هن، بل ضموها وتعال ضحكاتهم.

شردت مرام مخاطبة ذاتها: قد إيه كنت محتاجه الحضن دا .. من زمان وما كنتش حاسه بقيمة
وجوده .. ربنا يخليكوا ليا ونفضل سوا على طول

قررت فريدة أن تذهب فتصلي ركعتين تحمد بهما الله على إجابته لدعاءها بهداية مرام وفعل كل شئ يحبه الله ويقربها إليه، أما هند فقد عقدت نية داخلية أن تقوم بإخراج شئ لله وأن تشتري بعض الملابس الجديدة مع أختها وتخرجها صدقة وحمدا لله على قرار مرام النهائي.

طرقت هند باب رئيسها، دلفت تتلقى الأوامر النهائية قبل الاجتماع، صدمها الأمر الأخير والذي دونته في مفكرتها دون أن تنتبه، فجأة رفعت رأسها وحدقت به من خلف عيوناتها كأنه يضع أنف أحمر مكور فوق أنفه الأصلي.

كظم ضحكته مرغوما وأدعى الانشغال بترتيب الأوراق التي أمامه، سألته وقد شكت في صحة سمعها: حضرتك قوت آخر حاجه إيه ؟

تنح كى يُجلي صوته فيخرج دون بحة الضحك: قوت تجبيلي قميص مناسب عشان أحضر بيه الحفلة بالليل .. صعبة أوي كدا ؟

ازدردت ريقها: بس حضرتك بتسيب كذا قميص ف الحمام

أوماً: مافيش ولا قميص موجود ف الدولاب

رفع إليها نظرة لوم وإشارة إلى التقصير: السكرتيرة اللي قبلك كانت بتفكرني إني أجيب قمصان تانية .. وبتودي دول ع التنضيف

صرت على أسنانها تكتم غيظها، وخرجت الكلمات من بين شفثيها غصبا: حضرتك ما قولتليش إن من مهامى الوظيفة إنى أبقى خدامة كمان

حدق بها رافعا حاجبيه: كل دا عشان هتنبهيني أجيب كام قميص نضيف وتتصلي بشركة التنضيف تيجي تاخذ الهدوم

أضافت ساخرة: وأروح اشترى قمصان عشان الحفلات

ضرب على المكتب بعنف ووقف خلفه مقطب الجبين: مش معقولة التفاهة دي، كل الهوليلة دي عشان بأقولك روحى اشتريلي قميص؟؟ .. المفروض أقول الحاجه تتنفذ من غير نقاش، وأكيد يعني لو في وقت بين الإجتماع ومعاد الحفلة كنت روحت البيت غيرت .. لكن جنابك حضرتي إجتماع زي دا قبل كدا وعارف العملاء دول وقد إيه رزلين ونفسهم طويل أخفض رأسها لا لشيء سوى محاولة تمالك أعصابها، فرؤية وجهه تزيد فوران الدماء بعروقها، استمعت لكلماته النهائية وغادرت حانقة وهي تكيل له الوعيد بينها وبين نفسها.

وضعت العلبة التي تحتوي على القميص الجديد فوق مكتبه ثم غادرت تنبأ بعاصفة هوجاء تقطلع ما أمامها دون تمييز.

لم تنتظر كثيرا حتى اخترق أذنيها الصياح دون حاجة إلى رفع السماعة لكي تهرع إليه، وقفت أمامه بملامح بريئة لا تظهر أي خبث أو لؤم، حدق بها بعيون براقية تلمع بغضب، رفع أمام أعينها القميص الذي اختارته: إيه دا ؟

أجابت بهدوء تحسد عليه: قميص

ضم شفتيه بقوة: حد قالك إني من مشجعين شعبان عبدالرحيم ؟

- لا

بسط القميص أمامها، كان مزركشا بأشكال عجيبة وألوان أعجب، تداخلت درجات من الأزرق مع شطحات من البرتقالي ولمسات من الأحمر أنتهت بخطوط خضراء، سألها بحدة: أومال إيه دا ؟

- حضرتك طلبت أجيبك قميص وما قولتليش عايز موديله إيه .. فجبتهولك على ذوقي

- ذوق منك ولا انتقام ؟

- انتقام إيه كفى الله الشر؟؟

لمعت عيونها ونبرتها الملائكية أكدت عدم جدوى الجدل وأنه سيضيع وقتها بلا طائل، زفر زفرة أخرجت ما في جعبته من غيظ وأكتفى بقول: هألبيه بردو .. مش لحاجه غير إنك تحسي بتأنيب الضمير لما الناس تشوفني لابسه

رسمت شهقتها واتساع عينيها البسمة على شفثيه، هكذا قلب المائدة عليها وأشعر بذنب ما سيراه في أعين الناس من سخرية واستهزاء، يعلم أن تعايشها مع الذنب سيكون أكثر من احتمالها ولكن هذا هو عقابه لها.

أخفصت رأسها معتذرة بصمت، لقد أصاب مربط الفرس هذه المرة لكنها لن تعترف بفوزه فالمباراة مازالت في شوطها الأول ولن تنتهي سوى عند إطلاق صافرة فوزها.

جاء يوم السفر منذرا بيوم حار من أيام الصيف، من المفترض أن يكون السفر بالطائرة، فكيف يملك أبناء السويفي طائرة خاصة تنقلهم في أي وقت إلى أي مكان خلال مدة أقل من المستغرق بوسيلة النقل العادية، وقتهم دائما من ذهب يجب استثماره على أحسن ما يكون. فوجئت الفتيات بأن تلك هي وسيلة النقل المتاحة، نقلتهم سيارة خاصة بالشركة من المنزل حتى المطار، اعتقدن أن السيارة ستوصلهن إلى موقف الحافلات. ترحلن من السيارة وتوجهن إلى إحدى صالات الانتظار في المطار حيث كان البقية في انتظارهم، أعلنت فريدة اعتراضها فور رؤيتهم.

تعجب أحمد: ليه لا ؟

أوضحت فريدة: هند طالعه مع حضرتك ف شغل، ودا شئ طبيعي إنها تسافر على حساب الشغل، لكن أنا ومرام مرافقة زيادة .. ما يصحش نساfer على حساب حضرتك

زم أحمد شفتيه: طب وإيه الحل دلوقتي ؟

أخبرته فريدة بهدوء: هنسافر أنا ومرام ف السوبر جيت ونحصلكم على هناك

صاح بها أكرم مصدوما: سوبر جيت إيه بس ؟، المسافة طويلة جدا .. دي تاخذ ساعات، دا

غير التعب لكن بالطياره يادوب ساعة

أصرت فريدة: معلش مش هينفع غير كدا

تدخلت هند منضمة إلى صف شقيقتها: وأنتوا لو سافرتوا سوبر جيت أنا هأجي معاكوا .. مش

هأسيبكوا تسافروا لوحدكوا

اقترح مصطفى: جرا إيه يا جماعة ما تصلوا ع النبي .. أقولكوا ؟، فريدة ومرام هيدفعوا تمن

تذكرة الطائرة وكدا تتحل، التذكرة مش غالية دي 300 جنيه، دا سعرها ف الطيارات العادية

ربت أكرم على كتف صديقه ممتنا: برافو عليك يا درش أديك جيبتها .. كدا كلنا هنسافر سوا

من غير ما نقلق عليكوا قولتوا إيه ؟

نظر الجميع إلى فريدة مترقبين قرارها النهائي، كلمتها هي الفيصل في الموضوع، أومأت

باستسلام أمام نظرت مرام الراجية: خلاص تمام .. بس مصاريفنا هناك بردو إحنا هندفعها

استنكر مصطفى كلامها بشدة: جرا إيه يا فريدة.. مش معاكوا رجاله ولا إيه ؟ إيه هتدفعوا دي

؟ .. التذكرة وقولنا ماشي .. عمالين نعدي عشان السفرية تمر على خير ومع ذلك بردو مُصرة

تحرقي دم الواحد

نظرت له نظرة ذات معنى ليس بخفي: أيوه إحنا اللي هندفع .. وأنتوا تدفعولنا بصفتكوا إيه ؟

تنحج مصطفى بحرج: إحم إحم .. هفضل واقفين كثير، يلا نمشي؟ .. ولا إكمنها طيارة خاصة يعني هتطلعونا بمزاجكوا ؟

أشار أحمد للجميع يبدأ المسير إلى حيث تنتظر الطائرة: يلا بينا

جعلهم صوت فتاة تهتف باسم أكرم يتسمرون ملتفتين إلى صاحبة الصوت؛ حتى يعرفوا هويتها ومن تكون، كان أكرم أشدهم صدمة رغم أنه أكثرهم معرفة بالقادمة.

هتف أكرم مصدوما: باريهان ؟ إنتي بتعملي إيه هنا؟ ورجعتي إمتي ؟

ضحكت باريهان ضحكة رقيقة: لسه واصله، آنطي شافتك بس عشان عارفك بالشكل بس

اتكسفت تسلم عليك ولما قالتلي جيتلك جري

تمتم أكرم من بين أسنانه: حمدالله ع السلامة

لم تنتبه أو لم تهتم باريهان بافتقاد ترحيبه للحرارة المنتظرة: الله يسلمك .. مس يو أوي

لفت أحمد انتباههم بسأم: حمدالله على سلامتك يا باريهان، مش يلا يا أكرم ولا إيه ؟

هز أكرم رأسه بسرعة: أه جاي أهو

تشبثت باريهان بساعده: خليني أجي معاكوا .. أنت واحشني وكدا كدا الشنط لسه ف المطار

يعني مش أزمة

معرفة أكرم بها جعلته يستسلم دون جدال، مادام هناك سفر فلن يستطيع ردع إلحاحها في الذهاب، أزاح قبضتها: طيب هأروح أشوف الموضوع دا، وتعالى عشان تقولي لأهلك

عادت تمسك يده: أوكيه .. يلا بينا

أبلغ أكرم شقيقه: أحمد مش هاتأخر

تأفف أحمد داخليا لكنه أكتفى بقول: بسرعة

كانت عيون مرام الحانقة تلاحقهم بضيق، لقد كانت تتابع أخباره وتعمل لديه منذ فترة ولم تسمع يوما باسم شبيهة الـ "باربي" تلك، حاولت تخمين حقيقة الوضع بينهما، لقد كانت باربهان ترتدي ملابس لا تتناسب مع شخصية أكرم التي تعرفها، ثوب يبرز إنحناءات جسدها بشكل صارخ، لونه أكثر صُراخا من طفل يبكي بعد أن صفعه الطبيب على مؤخرته ليتأكد من أنه على قيد الحياة.

سأل مصطفى السؤال الذي تمت أن تسأله، أرهفت السمع لتعرف الإجابة: مين دي يا أحمد؟

صرح بلا إهتمام يذكر: دي باربهان منصور .. خطيبة أكرم

شعرت مرام أن أحدهم قد سكب شلالا من الثلج فوق رأسها، صُدم مصطفى: خطيبته؟ .. ودا

من إمتى إن شاء الله؟

نظر إليه أحمد فيما يضع هاتفه المحمول بجيب بنطاله: مش رسمي .. أتكلم مع باباها
وأقدم، بس لسه الخطوبة الرسمي متأجلة لحد ما يرجعوا من السفر؛ عشان كانت ف باريس
مع أهلها

- ااااا .. بس شكل أكرم مش مهتم بيها وإلا كان قالي عنها، دا ما جابش سيرتها خالص

- يعني .. سيبك هو واحد عاقل وواعي .. يعرف مصلحته كويس

حدثت مرام نفسها وقد تملكها الإحباط: مصلحته ؟ بقى هي دي مصلحته ؟

خاطب أحمد الجميع: يلا نطلع إحنا لحد ما يجوا

واقفه الجميع وصعدوا تباعا، جلست هند على أريكة انتصبت أمامها منضدة صغيرة حيث
أشار لها أحمد بوجود بعض الأعمال يمكن إنهاءها قبل وصولهم إلى الغردقة؛ فيصبح لديها
متسعا أكبر من الوقت لكي تنال قسطا من الراحة.

تجاورت الشقيقتان الأخريتان لكن مرام فضلت الجلوس جوار النافذة حتى تراقب وصول أكرم
وخطيبته الموقرة بينما جلس مصطفى على الجهة المقابلة حتى تتاح له فرصة مراقبة فريدة.

أنضموا إليهم بعد دقائق، أضطر أكرم للجلوس بجانب بريهان وأمامهما جلس مصطفى وحيدا
دون مجاور، شرعت باريهان في رواية ما مرت به أثناء تواجدها في باريس بداية من المكان
الذي مكثت به مرورا بمن قابلتهم هناك حتى ما أبتاعته من الأسواق الباريسية.

لم يكن يرهف السمع لما تقوله فجلاً ما كان يفكر به هو رد فعل مرام إذا علمت بأنه سيخطب باريهان عما قريب، أفاق لنفسه متسائلاً لما يهتم برأيها ويخشى من رد فعلها، هي مجرد طالبة وعاملة تحت يديه ليس أكثر.

كانت شاردة تتطلع من النافذة إلى الهواء العاصف نتيجة تأهب الطائرة للإقلاع، كانت في حالتها الطبيعية ستتلهف إلى إلتهام كل شبر يمرون فوقه، يصعب أن يفصل أحدهم وجهها عن النافذة لكن في شرودها هذا فالأمر يختلف، كانت تفكر أيحب باريهان أم لا ؟

حفزتهم فريدة: يا ريت الكل يقول دعاء السفر

شكرتها هند: كويس إنك فكرتيني، كنت هأنسى

سخرت منها باريهان: دعاء إيه ؟

كتمت مرام ما باستطاعتها من غل: دعاء السفر .. إيه أول مرة تسمعي عنه ؟ .. مع إنك

المفروض جايه من سفر

أطلعته باريهان بعدم اهتمام: بأسافر كثير من غير دعاء السفر دا

نظر مصطفى لفريدة يحثها على قوله: طب قوليه وإحنا نقوله وراكي، عشان أنا مش حافظه

أومأت فريدة موافقة: ماشي .. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر .. سبحان الذي سخر لنا هذا وما

كنا له مقرنين .. وإنا إلى ربنا لمنقلبون .. اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن

العمل ما ترضى .. اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده .. اللهم أنت الصاحب في

السفر والخليفة في الأهل .. اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبه المنظر وسوء المنقلب
في المال والأهل.

ردد الجميع الدعاء خلفها، ثم عقب مصطفى: يعني إيه وعشاء يا فريدة؟

شرحت: وعشاء يعني تعب ومشقة السفر

حرك مصطفى رأسه صعودا وهبوطا: قولتيلي بقى .. منكم نتعلم

كتمت ضحكاتها وأدارت رأسها إلى الجهة المعاكسة حتى تتفادى النظر إلى وجهه، لاحظت
شروود مرام المشوب بالحزن، وضعت يدها فوق ذراعها متسائلة في قلق: مرام.. فيكي حاجه؟

حركت مرام رأسها تخرج من عواصف أفكارها: ها؟، لا مافيش .. بس المنظر من هنا حلو

أيدتها فريدة باسمه: سبحان الله

قبض مصطفى على جمجمته بين كفيه صارخا: يووه .. مش عارف أنام، لوك لوك لوك لوك

من ساعة ما ركبنا .. صدعت، نفسي أنام

ضربه أكرم بالوسادة الصغيرة المخصصة لكل راكب؛ بغية إراحة الرأس فوقها إذا فضل القليل

من النوم: خلاص، إيه .. فضيحة واشتغلت يا ربي؟؟، بالع راديو

صنعه مصطفى بالوسادة في وجهه كما لو كان يغرقه في قالب من الكيك: بقى أنا اللي باله راديو؟، باريهان لو سمحتي ممكن تأجلي الكلام دا لحد ما نوصل وبعدين كلي ودانه براحتك .. قصدي كليه كله مش مهم .. بس بعيد عني

ضحكت باريهان بدلال زائد: داكوغ يا مصطفى

لوت مرام شفيتها في عدم تصديق لتلك الرقة، قالت في نفسها بينما أعينها معلقة بها: داكوغ يا بنت بارم ديله .. شكلك مسهوكه كدا ف نفسك وهتتعبيني معاكي، ربنا يستر استرخت في مقعدها وبسمة تنير وجهها، شعرت أن كلمات مصطفى قد أخذت لها القليل من حقها وشففت بها جزء من ضيقها، لولا أن مصطفى يحب شقيقتها لكانت الآن تقفز لتضمه سعيدة بما فعله لتلك المرفهة من حرج وإن كانت لم تتأثر به.

كانت هند قد حجزت في وقتٍ سابق غرفة تضم ثلاثهن، وأخرى تضم الرجال كما طلب منها أحمد بعد إصرار مصطفى على ذلك، لم يكن من المتوقع قدوم باريهان فكان عليها الإنتظار حتى يتم حجز غرفة من أجلها.

تم الإتفاق على الصعود وأخذ قسط من الراحة ثم يلتقون مجددا في مطعم الفندق حتى يتناولون الغداء سويا، مالت باريهان على أكرم بغنج: كركر .. تعالى نتمشى

صاحت بها مرام داخليا: كركر ف عينك، دلحك ماسخ زيك، إنتي بتدلعي شيشة يا وليه .. إيه

القرف دا، وأنت ساكتلها ليه يا .. كركر، جاتكوا القرف أنتوا الإتين .. ماليتوا البلد

استدار أكرم إلى خطيبته مستفسرا: ما تعبتيش؟ مش هترتاحي؟

حدقت باريهان بعيونه: وأنا معاك مش بأحس بتعب خالص

هز كتفه بعدم اكتراث: زي ما تحبي، اتفضلي

صعد الجميع إلى غرفهم، ومرام تنظر خلفها على أكرم وباريهان أثناء خروجهما سويا .. إلتفتت

إليها فريدة تحثها على التقدم وقبل أن تهمس بكلمة لاحظت نظراتها لأكرم، حدقت بها بعدم

تصديق أيعقل أن تحب الفتاة معلمها؟؟

هتفت هند بحماس فيما تستند إلى سور الشرفة مستنشقة الهواء العليل: المنظر م البلكونة

يجنن .. أصلا الجو كل على بعضه يجنن

انضمت إليها فريدة: مريح نفسيا

زفرت هند مستمتعة: أوي .. أدي الشغل ولا بلاش

غمزتها فريدة: هههه ماشي يا عم مكتوبالك

أدعت هند الضيق: قروا بقى

أشارت فريدة بكفها علامة التوقف: لا لو سمحتي .. أنا مش بأقر أنا بأحسد بس

وضعت هند يديها على خصرها: بقي كدا ماشي ماشي

- أه كدا وكدا وكدا .. مرام مالك ساكته ليه ؟

أفاقت مرام على نداء أختها دون أن تسمع ما سبق: هه ؟ .. عادي

توجهت هند إلى حقيبتها وبدأت تفتحها: عايزه أرتب حاجتي بقي

نهضت مرام متجهة إلى باب الغرفة: هأنزل أتمشى شوية وأشم هوا

ححتها فريدة على الذهاب: خلاص أنزلي وأنا هأرتب حاجاتي وحاجاتك

شكرتها بامتنان: بجد ؟ ميرسي يا فريدة .. سلام

وقفت على الشاطئ قليلا تنظر إلى البحر، أحست براحة كبرى؛ فهواء البحر كأنه نسمة من

الجنة تخفف الأوجاع وتكوي الآلام، جلست وضمت ساقها مستندة فوقها بذقنها، كانت

ملامحها هادئة مثل هند وفريدة .. لكنها أقرب للطفولة، ذقنها شبه مدبب وشفاهها رفيعة،

عينها بنية واسعة تنضح بالبراءة، شعر مجعد عجري يؤكد إمتلاكها لنسبة من الجنون فيما شعر

فريدة وهند شديد النعومة والإنسيابية، كانت مرام ترتدي الحجاب الآن تُخفي تلك التفاصيل

والإختلافات.

شرد بصرها في البحر وعقلها حيث أكرم وباريهان، عادت التساؤلات تُلح على رأسها من

جديد، يا ترى أيتها؟ أفكر فيها؟ يتمناها زوجة له؟

مستغرقة في أفكارها اصطدمت بها كرة، نظرت إليها ثم على الإتجاه الذي جاءت منه، وجدت

شبابا يركض ناحيتها فيما يهز رأسه اعتذارا: آسف، بجد آسف

ناولته الكرة متقبلة اعتذاره بابتسامة باهتة: ولا يهملك .. اتفضل

-شكرا .. بس .. تحبي تيجي تلعبى معانا؟

نظرت له بعدم فهم: أنتوا مين؟

قدم نفسه إليها: أنا اسمي فريد .. هنا مع صحابى وانتي؟

بادلته التعريف: أنا مرام .. مع إخواتى بس هما بيرتاحوا دلوقتى

ابتسم فريد: خلاص تعالى أقعدى معانا، إحنا بنلعب .. بدل ما إنتى لوحدى

في تلك اللحظة .. وقف أكرم بجانبهم، كان يتمشى مع باريهان عندما رآها جالسة، همَّ أن

يُكمل طريقه حين وجد فتى يقترب منها ويحادثها، شعر ياخنتاق وغضب بلا سبب، ترك

باريهان تتابع سيرها دون أن يخبرها بشئ؛ فقد كان نظره مصوب على الفتى الذي يقف مع

مرام.

سأل ذاته قبل أن يصل إليهما عن نوع الحديث الذي جمع بينهما، أنبأه أكرم بلهجة باردة
عدائية: هي مش لوحدها يا كابتن

نظرا كليهما لأكرم بعجب، فمن أين ظهر فجأة هكذا من العدم؟، لوت مرام شفيتها تحدته في
ذهنها: وهانت عليك السنيورة تسيبها وتيجي تشوفني أنا دلوقتي!؟

ابتسم له فريد: أيوه .. بس شوفتها كانت قاعدة لوحدها

عقد أكرم ذراعيه: وأديني جيت أهو ومابقتش لوحدها

تنحج محرجا: طيب عن إذنكوا .. أتشرفت بيكي يا مرام، أتمنى أشوفك تاني

أومأت باسمه: إن شاء الله

بعدها سار مبتعدا جلس أكرم بجانبها على الرمال، لعبت أصابعه بحبات الرمل قبل أن

يسألها: تعرفيه؟

أجابته بهدوء: لا لسه متعرفه عليه حالا

— أها

جاءت باربهان وخاطبته مغتاظة: أكرم .. أنت سايني واقفة وجيت قعدت هنا

ألقت على مرام نظرات تنضح بالكراهية والغيط، رد دون أن يرفع رأسه إليها: هأقعد شويه ع

البحر .. روحي إنتي إرتاحي زي ما كنتي عايزه

استدارت باريهان مبتعدة بغيظ: ماشي زي ما تحب

غادرتهم باريهان وهي تغلي فقد ساءها تركه لها من أجل الجلوس مع مرام، استدارت مرام تنظر إليه متعجبة موقفه: زمانها مضايقه دلوقتي عشان قعدت معايا وسبتها

لم يلقِ بالا لمنطقها: مش مهم

تعجبت: إزاي مش مهم؟ هي مش دي خطيبتك بردو ولا إيه؟

استدار إليها مبهوتا: إنتي لحقتي عرفتي؟

أجابته مترددة: مصطفى سأل أحمد قدمنا وهو قال

أكرم بشرود: أيوه

تجرات على طرح أحد الأسئلة التي تدور بخاطرها: أنت مش بتحبها؟

نظر لها أكرم بترقب: هيفرق معاكي ف حاجه؟

استشعرت الحرج: لا أبدا .. بس أنت قبل كدا كلمتني على لبسي ولو قارنته بلبسها فأنا كنت بألبس محترم جدا

- أنا عمري ما كلمتك على لبسك .. أنا بس كنت باقارن بين تصرفاتك ومظهرك .. لكن

باريهان سواء لبس أو تصرفات فالإثنين زي بعض

صعقها اعترافه: طب مادام مش عاجبك .. إيه اللي جابرك؟

–مش عارف .. كنت بأفكر إن لبسها ممكن مع الوقت أقنعها تغييره، ما كنتش أعرف
تحررها أوي ف التصرفات كمان

سألته وقد دب بين دقات قلبها الأمل: وناوي على إيه ؟

أجابها كأنه يحدث نفسه: هي بتحبني أنا عارف .. بس لسه مش عارف هأعمل إيه

أغتاظت لحديثه الذي لا يوضح نيته في إنهاء ما بينه وبين باريهان جاذبا البساط من أسفل
أحلامها لتسقط صريعة رجاءها، هبت واقفة تنفض ما علق في ملابسها من رمال: طب عن
إذنك، أنا هأطلع أرتاح شويه قبل الغدا .. وبالمرة أسيبك تفكر برحتك .. سلام

خلفته وراءها وسارت في إتجاه الفندق، هتف بصوت عالٍ: أنا قولت حاجه ضايقتها ؟

حدق في ظهرها وتذكر أول مرة رآها عقب الحادثة التي صارت في مكتبه، لقد أتت اليوم
التالي مرتدية الحجاب، توقفت عن إرتداء ما هو ضيق وملفت للأنظار، فحتى وإن إرتدت
بنطالا كان يبدو في إتساع تنورة فلا يظهر من ساقها أي تفصيل.

شعر بأن نظره قد طال فوقها، غض بصره مسرعا ودفنه بين كفيه، تذكر قول رسول الله –صلَّ
الله عليه وسلم– عن برديه رفعه "يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى .. وليست لك
الآخرة".

عادت أفكاره لبريهان وما المناسب لكي يفعله، يعلم تعلقها بالأشياء وأنها لا تسمح بأحد أن
يتركها أو يأخذ ما تريده، لكنها حياته بالنهاية وله مطلق الحرية في الإختيار.

الفصل الحادي عشر

حلّ وقت الغداء، اجتمعوا جميعا ليتشاركوا الوجبة، وبعد أن طلب كل فرد منهم ما يريد تناوله جلسوا يتلهون بالحديث حتى يحضر الطعام، يتحدثون في أمورٍ شتى.

وجه أحمد أمره إلى معاونته: بكره الصبح الإجتماع الأول الساعة عشرة، بس من تمانية ياريت تكوني ف الريسبشن؛ عشان هنتفق على حاجات ونظبط شوية ورق قبل الإجتماع
أومات هند طائعة: حاضر

استفسر أكرم من أخيه: هو الشغل هياخد وقت كثير ؟

هر أحمد كتفيه إشارة إلى عدم معرفته تحديدا: يمكن أه ويمكن لا .. حسب ما نقنعه

تدخلت باربهان فضولا: مع مين الصفقة المرة دي يا أحمد ؟

أجابها بلا إهتمام: مع توفيق السلحدار

أنفجر مصطفى ضاحكا: إيه الاسم دا ؟!، دا من أيام خالته نازلي

غمزه أكرم مذكرا: ما بلاش أنت يا بهيج

نظر إلى فريدة وهو يجيب على صديقه: بهيج بهيج .. أنا حبيت اسمه أوي من ساعة ما

عرفت إنه زميل مهنة

تساءلت مرام بعدم فهم: بهيج مين ؟ هو مش اسمك مصطفى؟

أوضح لها أكرم: اسمه مصطفى بهيج

قهقهت مرام: بهيج؟، بهيج يا راجل

نقل أحمد بصره بين مصطفى ومرام معلقا: توأمك أهو يا مصطفى .. نفس العينة.. اتلموا على بعض بقى وريحونا

اشتعل أكرم غضبا، أعاظه أن يربط شقيقه بين مرام ورجل آخر حتى وإن كان صديقه المقرب، تدخل مظهرا حديثه كأنه دعابة: لا يا عم، إحنا عايزين نقضي ع النسل دا .. مش نزوده ثارت مرام مدافعة: ليه ماله الهزار؟، دا حتى المصريين معروفين بخفة دمهم .. إنما أنتوا واخدين الجنسية رخامه وخلص .. نكد

لوت هند شفتيها استهجانا: يا شيخة اتيلي، بقى إنتي دمك خفيف؟؟ أومال اللي دمه ثقيل يبقى شكله إيه؟؟

هتفت بها فريدة: لا لا حرام عليكى يا هند .. مرام دمها خفيف فعلا ما تظلمهاش

تعلقت مرام بذراع شقيقتها: أيوه كدا يا ناصفني

تابعت فريدة كلامها: دمك خفيف لدرجة إنه ما بقاش في دم أصلا

انتفضت مبتعدة عنها بغيظ: بقى كدا .. وأنا اللي قولت إنك هتقفي ف صفي

مازحتها فريدة: أنا لو مكانك أقف ف الصف .. يمكن حد يتبرع بشوية دم ولا حاجه يعوض

النقص دا

ضحك مصطفى ثم وجه حديثه لفريدة لائما: ما إنتي طلعتي أهو بتحبي تهزري وتاخدي وتدي

ف الكلام، أو مال على طول مصدره الوش الخشب ليه ؟

نظرت له نظرة ذات معنى: كل حاجه لوقتها .. ومش بأهزر مع أي حد على فكرة

غمزها مغازلا: يا تقيل أنت يا جامد

همت فريدة بالذهاب وقد أثار حديث مصطفى حفيظتها: لو سمحت احترم نفسك، وياريت

تكلمني بأسلوب غير دا

أسرع أحمد يصلح ما أفسده حديث مصطفى المتهور: معلىش يا آنسة فريدة، هو مصطفى كدا

لما بيفتح ف الهزار مش بيوقف

نظر إلى أحمد مغتاظا ثم تحول إلى فريدة ببسمة تأسف: قطر بعيد عنك .. آسف، ممكن

تقعدي بقى ؟

حشتها مرام حتى تعاود الجلوس: خلاص يا فريدة أقعدي بقى .. قلبك أبيض

جلست مرة أخرى وتابعوا الحديث والمزاح بينما تتابع فريدة نظرات مرام التي تتعثر فوق وجه

أكرم كثيرا، واستطاعت ضبط إحدى نظرات أكرم لشقيقتها، شردت مفكرة فيما يحدث ناسية

نظراتها فوق أكرم .. لاحظ مصطفى ذلك فشعر بالغيظ يفتك به والغيرة تنهش أعصابه.

طوال الوقت باريهان صامته لا تتحدث، لا يعجبها الحديث أو يجذبها لأنه غير متمحور عنها وعن جمالها، حتى أكرم لم يعد مهتما بها منذ فترة لكنها لن تتركه ليس حبا به بل حبا في مكانته ومركزه وتمني العديد من زميلاتها في النادي بالحصول على مثل له؛ استلذت نظرة الحسد في أعينهن، تذكرت عندما أخبرتها إحداهن وجه الشبه بين وبين الممثل الهندي "شاهد كابور" الذي يخطف أنفاس العديد من المعجبات وقلوب الفتيات.

أثناء إندماج الجميع في أفكاره الخاصة أو الحديث الدائر، أتى فريد ملقيا السلام على الجميع ثم وجه كلامه إلى مرام قائلا بابتسامة: إحنا رايحين نتمشى ف الغردقة شويه تحبي تيجي معنا ؟

تدخل أكرم بسرعة قبل أن تجيب مرام: لا مش هينفع، دي أمانة وما ينفعش نسيبها تخرج معاكوا لوحدها .. إحنا شويه وهنقوم كلنا نتمشى .. ما تتعبش نفسك

خاب أمل فريد: طيب .. أشوفك بعدين يا مرام، سلام

بعدها غادر نظر الجميع إلى أكرم خصوصا باريهان وكانت في أشد حالات غضبها؛ بسبب تدخله في حياة أخرى أمام الجميع بهذا الشكل دون أسباب واضحة، فعلاقته بها لا تصل لتلك الدرجة.

ذهب أحمد لكي يجيب على هاتفه تاركا التوتر يكاد يصرخ محطما صفاء الأجواء، وصل الطعام وتم وضع كل طبق أمام طالبه، لكن كل ذلك لم يؤثر في التوتر المحيط.

ضحكت هند لتقليل التوتر: دا طلع اسمه فريد، مش بينفكرك بحاجه يا فريدة ؟

شاركتها مرام الضحك: أه صح تصدقي ماخدتش بالي

زمت فريدة شفيتها: اتريقوا اتريقوا، ماهو أنا اللي استاهل أني ساكتلكوا

غمزتها هند متعمدة إغاظتها: فريد وفريدة ... كابل رائع ههههههههه

لكنها لم تنجح سوى في إغاية مصطفى وبإمتياز: كابل دمه ثقيل .. إيه الحكمة يعني إن إثنين

بيقوا بنفس الاسم ؟ .. فين التغيير؟

لاحظت مرام غيرته فتمادت أكثر: لا لا دي هتبقى أحلى كتير .. لو نسيت اسمه تفتكر اسمها

وتشيل تاء التأنيث وخلصت المشكلة هههه

قطب مصطفى: لا بردو رخمه أوي الحركة دي

عقب أكرم على تأثره بالحديث: ما تقلقش أوي كدا، دا حتى أنت اسمك مافيش منه مؤنث

ريح بالك هههههههه

ضربت مرام جبهتها بباطن يدها: أوبس، نسيت أسأله عن اسم دلعه يمكن نحل مشكلتك يا

فريدة

التفت أكرم إلى مرام بحنق: وإنتي مالك ومال اسم دلعه ؟

أوضحت له: أصل فريدة مش بتحب اسم دلع فيري لإنه شبه مسحوق غسيل المواعين ههههه، فمش عارفين ندلعها .. ففكرت اسأله يمكن يعرف

ضاقت عينا أكرم معلنة الخطر: ليه هو إنتي ناويه تقابليه تاني ولا إيه ؟

نظرت له بجدية: أقالبه أو لا .. دي مشكلتي لوحدي وما تخصش حضرتك ف حاجه

غضب أكرم من تصريحها بالحقيقة أمامه بلا تردد: لا يخصني، مادام إنتي عايزه توصلي للي

حصل عندي ف المكتب تاني .. يخصني لأنني مش كل مرة هأبقى موجود يا .. آنسة

أضاف الكلمة الأخيرة متهكما، جعدت هند جبينها مستفسرة: هو إيه اللي حصل ف

المكتب؟

لكزه مصطفى بمرفقه: ما تلم الدور يا عم أكرم .. ما يصحش كدا

نهضت مرام من فوق مقعدها تحاول السيطرة على رغبتها المستمية في البكاء، هتفت به

بعصبية شديدة: والله أنا ما طلبتش من حضرتك تدخل ولا تدافع عني

كذلك نهض هو وخاطبها بنفس النبرة: والله لو كنت أعرف إنه عجبك .. كنت سبتكوا تشبعوا

ببعض

لم تستطع أن تسيطر على نفسها أكثر، لم تشعر بيدها فيما ترتفع ثم تهوى على وجهه مخلقة

أثرا واضحا فوفه ثم ركضت مسرعة إلى حجرتها في حين ألجمته الصدمة لكن فجأة انصرف

إلى الخارج مهرولا.

صعدت هند وفريدة خلف مرام، بقيت باربهان جالسة وعلى وجهها ابتسامة سعيدة بما حدث منذ لحظات، عاد أحمد بعدما أنهى إتصاله وتابع مغادرة الجميع للمطعم دون معرفة ما حدث، تعجب وسأل مصطفى: هو حصل إيه ؟

نظر إليه مصطفى رافعا حاجبيه: تصدق إنك رايق، تعالى تعالى أحكيك؛ لأن أكرم دلوقتي لو روحت وراه هيرد القلم ليا أنا

قطب أحمد نتيجة معرفته لما حدث بدقة: قلم إيه ؟

قهقهه مصطفى ناهضا من مقعده، سحبه من ذراعه إلى الخارج: ما أنا بأقولك تعالى أحكيك غادرا ليروي له مصطفى ما حدث، تاركين باربهان مع سعادتها تتناول غداءها بشهية لم تكن موجودة عندما كانت الأجواء مملوءة بالمزاح والمرح.

كانت ممدة فوق فراشها تخفي رأسها أسفل الوسادة تبكي بحرقة وقد ارتفع صوت نحيبها، جلست هند بجوار قدميها تربت عليها بهدوء وتحاول أن تمتص وجعها، حدثتها بحنان منزعة من حالتها: خلاص إهدي بقي .. يا فريدة ما تتكلمي، قولي حاجه

لم تجب فريدة وظلت تنظر من أبواب الشرفة المغلقة إلى البحر معقودة الذراعين، توغل في بحار أفكارها غير واعية لمن يتحدث إليها.

وحدت هند ربها وهي تقلب كفيها: أنا هالاقيةا منك ولا من اللي مفحوته عياط دي ؟

دق جرس الهاتف الخاص بالحجرة، نهضت هند تجيب عندما لم ترَ بادرة من فريدة بالمناوبة عنها في ذلك حتى، قبل أن ترفع السماعة انتفضت من صراخ مرام: مش عايزه أكلمه، مش عايزه أسمع منه حاجه

هدأتها هند متيقنة من أن المتصل ليس أكرم، يبدو أن شقيقتها نسيت الصفعة التي قد تدفع بأي خيالات عن إتصاله بعيدا: طيب طيب .. إهدي بس

أجابت هند: السلام عليكم .. خير يا أستاذ أحمد

كانت رأس مرام قد خرجت نسيبا من أسفل الوسادة لتستمع إلى الحديث لكنها عاودت دفتها مرة أخرى مكملة النحيب بعدما سمعت أختها تنطق باسم آخر.

استغربت فريدة أن يكون إتصالا من أكرم لكن ما إن علمت أنه أحمد حتى عادت لشرودها ونظرها في إتجاه البحر غير مهتمة بمتابعة الحديث أو معرفة سببه.

ختمت هند حديثها قبل أن تضع السماعة مكانها: طيب.. حاضر.. جايه حالا

عقب إغلاقها الخط وجهت الحديث لكلتا أختيها: أنا مضطرة أنزل عشان في ورق هأظبطه مع الأستاذ أحمد، المعاد أتقدم الصبح ومش عايزني أصحى بدري أوي عشان الشغل، ف هأنزل وأجي

تابعت محدقة في جسد أختها الممدد: تكوني هديتي كدا يا مرمر، ها !

وأضافت ملتحقة بجوار فريدة: وانتي فريدة خلي بالك منها

هزت فريدة رأسها صعوداً: روعي إنتي شوفي شغلك وماتقلقيش علينا

غادرت هند مطمأنة إلى حكمة فريدة وأنها ستقدر على إفاقة الأخت الصغرى من حالتها،
ألقت نظرة شفقة على حال أختها غير مستوعبة كل ما حدث منذ قليل ثم أغلقت الباب
خلفها.

اتجهت فريدة إلى السرير بجوار مرام: هتفضلي تعيطي لحد إمتي ؟ .. اللي حصل حصل
خلاص وعياطك مش هيجل حاجة

أجابتها وما تزال مخفية وجهها: أومال عايزاني أعمل إيه يعني؟ ها؟

عضت فريدة باطن وجنتها وعقدت ذراعيها قبل أن تقول بهدوء: إنتي لما لاقتيه بيتعصب من
فريد وحسيتي بشرارة الغيرة زودتيها أكثر، من غير ما تعرفي إنه أصلاً مولع مش محتاج ولا
نقطة بنزين زيادة

توقفت مرام عن البكاء ورفعت رأسها إلى فريدة، همهمت غير مصدقة: بيغير؟

غمزتها ساخرة: عايزه تقنعيني إنك ما قولتيلوش ما يخصكش بس لمجرد إنك عايزه تسخنيه
قدام باربهان عشان يتهور ويقولك بحبك؟، وإن عصبيتك اللي طلعت فجأة لمجرد إنه أدخل
بس مش لأنه ما قالش الكلمة اللي إنتي كنتي تتمني يقولها؟

جلست مرام قرفصاء فوق سريرها منصتة إلى حديث أختها: وإنتي إيه اللي خلاكي تفكري كدا
؟ و هأستنى منه الكلمة دي ليه ؟

أجابتها ببساطة: عشان إنتي بتحبيه ومستنيه نفس الشعور منه، أومال إنتي ليه أشتغلتي معاه بالرغم إنك مش محتاجه شغل وطول عمرك بتقولي أنا مش هأشتغل أنا هأخلص كلية وأقعد ف البيت، فإكراني عبيطة ومش فاهماكي؟، أنا فاهمة كل حاجه بس كنت مستنيه إنك إنتي اللي تيجي تحكي لي لكن لما لاقيت إن مافيش فايده حبيت أكلمك أنا يمكن تشجعي

رمت مرام بنفسها بين أحضان فريدة تبكي: هأقولك على كل حاجه من الأول .. عشان أنا تعبت ومش قادره أخبي أكثر من كدا

هددهتها فريدة وشجعتها على الحديث: ما حدش قالك خبي .. وأنا عمري ما هأذيك، أنا خايفه عليك

بدأت مرام تحكي لفريدة عن مشاعرها لأكرم التي لا تعلم كيف بدأت ولما هو بالأخص لكنها حدثت، وأسباب تقدمها للوظيفة حتى تجعله يشعر بها وتتقرب منه، أخبرتها كذلك أنها تبعث له برسائل وكانت توقع أسفلها باسم "الفتاة المجهولة"؛ كانت تعبر فيها عن كل ما تشعر به تجاهه، لكنه أبدا لم يعلم من تكون ولم يتوقع أنها تلك الفتاة.

حكى لها عما حدث من فرج ورد فعل أكرم وما فعله بذلك الوضع من ضرب وصولاً لطرده من عمله بوعده بعدم الشكوى عليه لدى الشرطة، وكيف جلس بجانبها يعينها على ما حدث ويرشدها بكل هدوء، حبه الذي يزيد كل يوم في قلبها.

بعدها ختمت مرام قصتها، علق فريدة: ياه، كل دا ف قلبك ومخيه عليا؟

مرام بخجل: إنتي عارفه أنا بحبك قد إيه بس الموضوع دا ما قدرتش أفاتحك فيه، عشان عارفه إنك هتقوليلي غلط وما ينفعش .. وإني أطلع الموضوع دا من دماغي

لامتها فريدة بنظراتها أكثر من الكلمات: ما دام عارفه إنه غلط ما بعدتتش عن الغلط ليه يا مرام؟

دفت وجهها بين كفيها باكية: والله حاولت، حاولت كتير أنساه .. بس ما عرفتتش، حاولت أطلعته من دماغي لاقيته بيدخل فيها أكثر، حاولت ما أفكرش فيه .. بردو ما قدرتش، شغلت نفسي بحاجات كتير، ما نفعش .. صدقيني والله حاولت حاولت

- طب ما طلبتتش من ربنا يخرجك من عقلك وتفكيرك ليه؟

نظرت مرام إلى يديها في صمت، أكملت فريدة: أقولك أنا ليه .. عشان إنتي من جواكي مش عايزه تخرجيه

رفعت نظرها إليها: إنتي على طول فهماني كدا؟

لاح شبح ابتسامة على ثغرها: مش أختي؟ وأنا اللي كنت مكبراكي على إيدي .. بس يظهر إني غلطت غلط كبير

ضمتها مرام بقوة باكية: لا لا لا ما غلطيش .. ما ترعليش مني يا فريدة إنتي أغلى حد عندي

دفعتها قليلا لتستطيع رؤية ملامحها: يعني أغلى من أكرم؟

جلست باستقامة متنهدة: إنتي حاجه وهو حاجه .. بس أيوه إنتي أغلى منه .. ع الأقل أنا عارفه إنك بتحبيني قد إيه .. بس هو مش عارفه إذا كان بيحبني أصلا ولا ..

ربت على شعرها بحنان: بيحبك

صدمتها الكلمة: قولتي إيه؟

ابتسمت: قولت بيحبك .. أكرم بيحبك يا مرام

سألتها بسعادة: وإنتي عرفتي منين ؟ هو قالك ؟

هزت رأسها: لا ما قاليش بس لما شوفت نظراتك ليه أما وصلنا وكان خارج مع باريهان عرفت

إنك بتحبيه فقررت أتابعه عشان أعرف هو كمان بيحبك ولا لا .. وعرفت إنه بيحبك

نهضت ونسيت كل ما حدث بل وتجمد دمعها على خديها، صارت تقفز في الهواء وتجذب

فريدة معها : بيحبني .. يعني بيحبني .. بيحبني

أوقفتها بنظرات صارمة: بس خاطب .. يعني ما ينفعكيش

حزنت ولكن فجأة هتفت بفرحة: بس بيحبني أنا، يبقى مش بيحبها، يبقى أكيد مش هيتجوزها

لوت شفيتها: ليه ؟ ما هو خطبها

أومأت مرام: أيوه خطبها من قبل ما يحبني .. لكن دلوقتي هو بيحبني يبقى هيسيبها أكيد

ثارت على سذاجتها: وإنتي إيش ضمنك إنه هيسيبها ؟ .. طب ليه لحد دلوقتي ما سابهاش ؟،
يمكن أصلا مش عارف إذا كان بيحبك ولا لا، مش فاهم مشاعره ناحيتك .. يمكن أنا نفسي
غلط وهو مش بيحبك .. ليه تعيشي على حاجة يمكن تحصل ويمكن لا ؟ .. ليه تعيشي على
أمل خراب حياة واحدة تانية ؟

انهارت متوجسة: قصدك إيه ؟

أدارات وجهها لتقابل أعينهما: قصدي إنك تطلعيه من دماغك لإنك لو فضلتي عايشه على
حلم إن حياة باربهان تتخرب عشان إنتي تعيشي مبسوطه هتفضلي عايشه مع إحساس بالذنب
طول عمرك .. ومش هتتبسطي ف الآخر بردو، فالأحسن .. طلعيه من دماغك

انكست رأسها ودمعاتها تتساقط: مش هأقدر

أمسكتها من ذراعيها وهزتها: لا هتقدري، اعقدي النية على إنك هتنسيه .. هتخلي علاقتك
بيه شغل وبس .. علاقة بين دكتور والطالبة بتاعته مش أكثر، وكل ما تحسي إنك ضعفتي
افتكري حديث الرسول -صلّ الله عليه وسلم- "ما ترك عبدُ الله أمرا لا يتركه إلا لله إلا عوضه
الله خيرا منه في دينه ودينه" .. سيبه عشان ربنا، ولو ليكي نصيب فيه هيجيلك لحد عندك
.. أدكي شوفتي فضلتي وراه كثير من رسايل لشغل لأسئلة كل دا ما أداكيش ريق ولا حس
بيكي، عمرك فكرتي ليه ؟ .. عشان ربنا مش راضي عن طريقتك، عشان ربنا مش عايزكوا
لبعض .. سيبك بقى من النبي آدم وروحي للي خلقه .. أدعي وقولي يا رب أرزقني إياه ف
الحلال .. في رضاك

ضمتها بقوة: هأعمل كدا وهأرضي ربنا وهأبعد عنه مادام ربنا مش راضي عني كدا، هأعمل كل اللي قولتيه .. ربنا يخليك لي يا أحن وأجمل أخت ف الدنيا دي كلها .. بجد يا بخت ولادك بانك هتكوني أمهم هيكونوا محوظين أوي

شعرت فريدة أن الحديث أنتهى، فقد اقتنعت شقيقتها، حولت محور الحديث الذي طال: هههههههه طب خدي نفسك الأول، وبطلي بكش بقى وأدخلي أغسلي وشك كويس وأتوضي وصلي .. يمكن تعقلي وتبطني الجنان دا شويه

قبلتها: أمووه حاضر، يلا سلامو عليكو بقى، ما أعطلكيش عندي معاد مع ربنا مش عايزه اتأخر

فتحت هند باب الغرفة ودلفت تسمع جملة مرام الأخيرة حركت أصابعها بجانب رأسها في حركة دائرية: يا نهار، البت منحها لسع، من شويه مفلوقه عياط ودلوقتي بتهزر، لا حول ولا قوة إلا بالله .. يا مثبت العقل والدين يا رب

قهقهت فريدة: سيك منها دلوقتي، المهم خلصتي شغلك ؟

أومات فيما تجلس على أقرب مقعد: أه خلصته .. صحيح أحمد قالي إننا نجهز كلنا عشان هنخرج نتمشي ونشتري حاجات لو عايزين وإحتمال نتعشى برا

- إمام طيب، هأروح أغير هدومي بقى

- وأنا هادخل أخذ شاور

خرجت مرام من الحمام ودخلته هند، أردت إسدالها وبدأت في الصلاة خاشعة تدعو خلال سجودها وتطيل فيه أن يجمعها بحبيب قلبها في أقرب وقت بالحلال.

توجهت الفتيات إلى استقبال الفندق حيث ينتظرهن البقيةن وأكرم بعدما هدأ وعلم أنه كذلك قد اخطأ كثيرا وباريهان ملتصقة به، التفتت مرام إلى فريدة في المصعد تسألها: وأنا هأعمل إيه بقى لما أشوفه بعد القلم اللي سكتهوله دا؟؟

قهقهت هند مصعوقة: هههه سكتهوله؟! .. يخرب بيت ألفاظك يا شيخة

قطبت مرام: أطلعي إنتي منها بس وهي تعمر

أدارت هند ظهرها: ماشي ياختي، قال سكتهوله قال

أجابتها فريدة: ولا أكن حصل حاجه

حدقت هند بها غير مصدقة: نعم، دا كل المطعم سمع صوت القلم

هزت فريدة كتفيها: بس هو غلط .. تجاوز حدوده، دا مش من حقه

ابتسمت مرام مستمتعة: أيوه .. يستاهل

وصل المصعد وتوجهن حيث كان يقف الجميع، بعد التحية التي خلت من أي إشارة لما

حدث وقت الغداء، غادروا الفندق لمشاهدة الغردقة عن قرب.

تجاهلت مرام وجوده ولم تنظر إليه مما جعله يتعجب من تصرفها؛ لقد أخطأت في حقه ومع ذلك هي من تعامله بجفاء.

أثناء التسوق، أمسكت فريدة أحد التماثيل على شكل فيل هندي، وقف مصطفى جوارها وهمس مازحا: إيه .. المهنة وحشتك أوي كدا ؟

وضعت التمثال مكانه: هاهاهاها خفة

- طول عمري .. أول مرة تعرفي ولا إيه ؟

أمسكت تمثال أكبر مهددة: مصطفى، أمشي من وشي، بدل ما أخبطك بالتمثال دا وأخلص

صاح بسعادة: أخيرا سمعت اسمي من الشفايف العسل دي

استدارت بعيدا عنه وسارت غاضبة بعدما قرعته: احترم نفسك يا أستاذ مصطفى، لأحسن والله

ما هيحصل خير وساعتها بقي ما تلومش إلا نفسك

أسرع خلفها وقد شعر بغضبها: خلاص خلاص .. آسف، بس بلاش كلمة أستاذ دي لو

سمحتي بليز

ضحكت على تصرفاته الطفولي: خلاص خلاص، أنت هتعملها على نفسك ولا إيه ؟

غمزها مصطفى: ههههههههه ماشي مقبولة منك يا جم

لم يكمل حيث لاحظ وقوف أحد الأشخاص يتابعهم بغل وحقد واضحين خلف إحدى الشجرات، صرخ هاتفا: هشام .. وديني ما أنا سييك

أسرع يركض خلفه، عندما سمع أحمد وأكرم هتافه نظروا إلى بعضهم البعض قبل أن يركضوا خلفه قال أحمد للفتيات: خليكوا هنا .. هنرجلكوا

أكملوا اللحاق بمصطفى بينما الفتيات وقفن معا مستغربين ما حدث، غير مصدقين أن هشام هنا معهم، كيف أتى إلى هنا والأهم لماذا ؟

بعد فترة ليست بقصيرة عاد الثلاثة وهم يلهثون من التعب وكثرة الركض الذي ضاع هباء، لم يستطع أحد كسر الصمت فقط ظلوا ينظرون لبعضهم حتى تحدثت مرام متسائلة: مسكتوه ؟

كانت كلمه واحدة ولكنها كفيلا بزرع التوتر أكثر في الجو المحيط بهم، أجاب أكرم: لا ما لحقنا هوش، ضاع ف وسط الزحمة

أضاف أحمد: ماكانش لوحده .. كان معاه واحد تاني

تساءلت هند: طب إيه اللي جابه هنا ؟

نظر مصطفى بأعين مليئة بالشرار لفريدة: قصدك جاي ورا مين

لاحظت فريدة نظراته: قصدك إيه ؟

سألها مصطفى بغيرة لكنها رأتها إتهاما: قصدي إيه اللي بينك وبينه يخليه يجي وراكي لحد هنا ويراقبنا من بعيد؟

ردت فريدة بهدوء استغرب له الجميع؛ فقد توقعوا رد فعل شبيه برد فعل مرام على كلام أكرم الذي يشبه حديث مصطفى الآن كثيرا: لو كان في حاجة بيني وبينه زي ما بتلمح حضرتك كان زماي دلوقتي معاه وبأتمتع بالفلوس اللي سرقها منك، أخرج معاه زي ما أنا عايزه ومش هيهمني أنت ولا غيرك؛ لأنه مافيش حاجة تثبت إني سرقت حاجة، هأقول إني ما أعرفش إن الفلوس مسروقة وخلاص كدا طلعت منها .. ليه بقي ما تقولش إنه جه وراك أنت؟ .. ياريت ما تلزقهاش فيا

تعجب: ويجي ورايا أنا ليه؟

ردت بنفس الهدوء: عشان يعرف حركاتك ويستعد لكل خطوة ممكن تعملها ضده .. مشكلتك إنك فاكرك كل الناس أغبيه وأنت الذكي اللي فيهم يا أستاذ مصطفى
ضغطت بشدة على آخر كلمتين نطقت بهما، سارت وتركته يقف بالخلف، لحقت بها أشقتها
بينما تضايق من نفسه، هي محقة في كل كلمة، كل ما فعله لم يكسبه إلا جعلها تعيد بناء
الحواجز بينهما وأولها كلمة "أستاذ" التي عادت تظهر في الأفق.

وضع أحمد يده فوق كتف مصطفى: يلا نلحقهم عشان ما نتوهش من بعض

أوما مصطفى: يلا

مازحه أكرم: بس تصدق معاها حق هههههههه

مصطفى بغضب مكتوم: ما المشكلة إن معاها حق !

- هههه يا عيني يا عيني

نظر له مستغربا: إيه ؟

فسر أحمد موقف شقيقه: أصلك أول مرة تقول إن في "بنت" معاها حق

غمزه أكرم: لا ما أصلها كدا مش أي بنت يا أبو حميد

حثوا الخطى حتى وصلوا إلى الفتيات، بريهان كانت تقف بالقرب من الشباب لكن عندما لمحت عدم إفتقادهم لها وأن أحدا لم يسأل عنها أدارت ظهرها لهم وقررت إكمال تسوقها.

ميناء رُص بمحازاته عدة سفن، أغلبها للسياحة وتوفير وسيلة نقل لمن أراد ممارسة هواية الغوص أو الصيد، كذلك تنظم دورات لتعليم من أراد مزاوله السباحة والغطس تحت الماء.

كانت تحتل أحد الصفوف سفينة ضخمة خُصمت للحفلات التي تُقام في عرض البحر، سطحها كثير الحركة من استعدادات العاملين بها للحفلة المقامة هذا المساء.

البعض يصف المقاعد وآخرين ينظفون سطحها ليصبح لامعا براقا، فيما البعض أنشغل بتجهيز الموسيقى والأغاني كما الطهاة في المطبخ يجهزون أشهى المقبلات.

أما بغرفة في قاع السفينة كان هشام يقوم بتكسير كل ما تقع عليه عيناه ويدها، يُفرغ ما بداخله من غضب وحقده.

تناول سعد من يده كأسا كان على وشك إلقاءه: يا ابني أهدى شويه، مش كدا .. أعصابك هشام بصراخ: أهدى؟؟، شوفت قولتك هيلف يلف عشان يوقعها، أنا عارف دماغه التيت دي .. مش هيسيبها

دهش سعد وسأله بحق: بقى أنت كل اللي همك البت دي ومش همك إنه كان خلاص هيمسكنا؟

أمسك هشام بتلابيب قميصه يصرخ به قائلا: ما اسمهاش بت ! .. ماتتكلمش عنها بالطريقة دي .. دي أحسن وأشرف مني ومنك

بادر سعد بإنزال يد صديقه المعلقة بقميصه: خلاص ما اسمهاش بت، أومال أقول عليها إيه؟ هتف هشام: ما تقولش حاجه، ماتتكلمش عنها أصلا .. دي أنضف من إن سيرتها تيجي على لسان ناس زينا

زم سعد شففيه الغليظتين: قولتلي بقى ! .. حبيتها إمتى دي يا هشام؟

شبح ابتسامه يظهر على شففيه: مش عارف، دي من النوع اللي من أول ما تشوفها وتسمع منها أول كلمه تلاقيها دخلت قلبك من غير ما تستأذن

سرح متذكرا كل المواقف التي حدثت بينهما وابتسامته تتسع تدريجيا حتى افاق على كلام

سعد: بس إحنا لازم نختفي من هنا، أكيد هيقرب علينا الغردقة كلها عشان يوصلنا

بتحدي: ولا هيقدر يوصلنا، سيبك أنت .. المهم يلا نروح نشوف صاحبك دا اللي هتموت

وتشوفه .. وأنسى الموضوع بتاع سي درش دا لما نشوف آخرته

فكر هشام بأن مكوثه في قاع سفينة بدلا من سطحها سيوفر له الحماية الكافية، لقد ظن أن

مصطفى قد نشر اسمه وليس من المستبعد صورته لدى كل من يعرفهم في كل المحافظات

لذلك الحيلة كانت واجبة.

أضاف بشيطانه: أعمل حسابك نرجع بدري عشان نشوف المزز اللي هتيجي إنهارده الحفلة

اللي فوق، الواحد يفك عن نفسه بالمناظر اللي تشرح القلب

وقفوا أمام الاستقبال حتى يحضر لهم الموظف مفاتيح الغرف، قطع الصامت الغائم فوق

المكان صوت طفولي يصرخ: كرومه

التفت أكرم يرى مصدر الصوت، وجد سيف يركض إليه فاتحا ذراعيه، رفعه وألقاه في الهواء

عدة مرات قائلا بسعادة: حبيب كرومه، والله ليك واحشه يا سيفو

سمع صوت أنثوي رقيق يعاتبه: هو لوحده بردو يا أكرم ؟

ترك أكرم الصغير وأتجه لوالدته يضمها بشدة: وحشتيني يا نادو

صار عقل مرام على أتم الاستعداد للطيران، كزت على أسنانها حانقة: يعني أخلص من خطيبته
ست باربهان، تطلعي الحاجة أم الواد؟، إيه هتطلع متجاوز كمان يا أكرم، حرام عليك اللي
بتعمله فيا دا يا أخي

اقترب أحمد من زوجين يسلم عليهما بالترتيب: أهلا يا بابا، أزيك يا ماما؟

ربت صابرين على وجهه: الحمد لله يا حبيبي

شد والده ياسين على يده: أنت أخبارك إيه يا أبو حميد؟

تقدم أحمد ليعرف البقية عليهم: ماما صابرين وبابا ياسين ودي أختي ندى ودا ابنها الأستاذ

سيف و... إلا صحيح هو فين آدم؟

أخبرته ندى: آدم جاله تليفون ويبرد عليه

أوماً أحمد متابعا: دي الآنسة هند سكرتيرتي وأختها الآنسة مرام وأختها الآنسة فريدة، وطبعا

درش غني عن التعريف

نظرت ندى بتدقيق إلى وجه هند قائلة بتردد: أنا أعرفك صح؟ .. لتكوني .. هند! .. هند

عبدالرحمن المهدي

هند بدهشة: إيه دا؟ .. ندى ياسين السويفي! .. إزاي ماخدتش بالي؟

ضحكت ندى: يا شيخ إلهي، قال وأنت اللي بتتكلم عن الرغي دا لو شافوا المهنة ف
البطاقة هنلاقيها بلياتشو

ضحك مصطفى على مزاحها: مقبولة منك يا نادو

استفسرت صابرين: إيه الحكاية يا ندى .. إنتي تعرفيهم ؟

همت ندى بالحديث عندما قاطعها أكرم قائلا: أنا بأقول نكمل كلامنا ع العشا؛ لإننا كنا بنلف
ف الغردقة وواقعين م الجوع وأكد أنتوا جوعتوا بعد السفرة الطويلة دي

شد سيف يديه حول رقبة أكرم: أه يا كرومة أنا جعان أوي

نبهت ندى طفلها: مش قولنا اسمه أنكل أكرم، إيه كرومه دي ؟

أبعدها أكرم جانبا: مالكيش دخل إنتي، أنا متفق معاه على كدا

أخرج سيف لسانه لها: أيوه إحنا متفقين

ضحكوا على سيف ومفاجأته لهم المستمرة، توجهوا إلى مطعم الفندق ليتناولوا العشاء سويا
فيما تحكي ندى قصة معرفتها بالفتيات وسر صداقتها مع هند، لكن والدي أحمد أعتذروا عن
ذلك فمن عادة والده أن ينام دون عشاء بناء على أوامر الطبيب وشاركته زوجته تلك العادة.

حت أحمد شقيقته على الحديث: يلا يا ندى، أحكي تعرفيهم منين ؟

غمزته ندى: هههه أنت بقيت منهم ولا إيه يا أبو حميد

نظر لهند معلقا: مش لازم أعرف إنتي تعرفي سكيرتيرتي مينين ؟

قطبت ندى فجأة: صحيح إنتي سكرتيرته من إمتي ؟

منع هند من الإجابة: قولي الحكاية وبعدين نقولك إحنا الحكاية

استسلمت ندى وهزت كتفيها: حاضر كل الحكاية إني كنت أعرف هند من إعدادي، كنت

داخله إمتحان العربي وبأعيط أوي عشان كان في درس نصوص نسيت أحفظه .. وسمعت

الصبح من البنات إنه درس مهم وهيجي منه أكيد جزء تسميع ف الإمتحان، بس يا سيدي قوم

إيه بقي ؟ .. قوم تيجي هند تططب عليا وتهديني وتقولي أنا ها حفظهولك وكان باقي على

الوقت نص ساعة ويبدأ الإمتحان .. بس قعدت حفظهولي زي الأغنية بالظبط .. وجه فعلا ف

الإمتحان وبقينا صحاب من ساعتها جدا

ابتسمت هند للذكرى: إنتي اللي كنتي نبيهة ف حفظتيه بسرعة

بابتسامه هادئة ماتزال تحمل الكثير من الإمتنان والعرفان بالجميل: ومن غيرك ما كنتش هأفوق

وكنت هأفضل أعيط لحد ما الإمتحان يبدأ

ركز أحمد نظراته فوق هند: هي هند طول عمرها كدا .. متواضعة

خجلت هند من كلام أحمد أكثر من مدح شقيقته، قاطعهم مصطفى وقد ضاق صبره: ممكن

كفايه قصايد الشعر دي ف هند، هي ممتازة أنا عارف بس المهم .. أتعرفتي على فريدة إزاي؟

قهرت ندى: فريدة دي حكاية .. دي الأخت الكبيرة والأم الحنونة والصديقة الصدوقة ..
بجد طول عمري بأحسد هند على فريدة، لما كنت بأزور هند ف البيت اتعرفت على فريدة
وبقت صحبتي خصوصا لما كانت تحس بزعلي، هي بتحس بكل اللي حوالها واللي بتحبهم
خصوصا على طول بتخفف عن الواحد .. لما كنت ف المستشفى ساعة ما كسرت رجلي
وجت هي وهند .. قعدت تكلمني وتضحكني كتير هونت عليا، لكن هند طول عمرها جد
بتفكرني بيك يا أحمد نفس الطباع سبحانه الله

أخرجت هند من كلامها وتلميحاتها غير المقصودة، نظرت لأحمد لترى رد فعله فوجدته يعمق
النظر بها فإزداد إحمرار وجنتيها ثم نظرت لأسفل متجنبته نظراته النفاذة.

اتهمها مصطفى: هههههههه يعني دمك خفيف أهو .. تقل الدم دا ليا أنا بس ولا إيه؟ .. منتج
خاص لعميل خاص؟

أوضحت ندى طبيعة فريدة: لا، أصل فريدة مش بتعامل براحه وتبقى على طبيعتها مع أي حد
لازم يكون حد تعرفه أوي، الحادثة دي كانت بعد ما عرفت هند بستتين أصلا ههههه
شعر مصطفى براحة: ههههههههه طب الحمد لله العيب ما طلّش مني

أعاد نظره لفريدة فوجد عيونها تحمل نظرة تذكره بما حدث منذ قليل وأنها لم تنس إتهاماته
إليها بعد مما جعله يخفض رأسه.

استفسر أكرم عن من يخصه أمرها: وتعرفي مرام زي هند وفريدة كدا؟

نظرت ندى إلى مرام: لا مرام دي دماغ لوحدها .. تلعب معاها تيجي جري لكن وقت المذاكرة بقى الدنيا بتقوم وما تقعدش .. كانت بتطلع عينينا لما بنقعد نذاكرها ههههههه

علق أكرم فيما عينيه تتجولان فوق قائمة الطعام: أه طول عمرها متعبة

ثبتت مرام نظرها فوق الطاولة ولم ترفعه إليه فيما كانت دماؤها تغلي غيظا، زاد هدوءها من ضيق أكرم؛ فلم يعتد ذلك منها، لا يعلم أنها كنت سترد عليه وبشده لكنها تذكرت الآية التي قد ذكرها بها "والكاظمين الغيظ"، لقد أنجته من نيران غضبها.

جاء آدم معذرا عن تأخره بأنها حالة كان يتابعها، كانت تريد استشارة سريعة، كرر اعتذاراته: معلىش أعذروني، بجد أسف

مازحه مصطفى ضاحكا: خلاص يا عم إيه كل الإعتذرات دي .. عرفنا أنك حد مهم

أجابه آدم بجدية: حقك عليا يا عم

بُهِت مصطفى: أنت أخذتها على أعصابك كدا ليه ؟ .. بأهزر معاك يا جدع

أطلعه آدم بعصبية: وأنا ما بأحبش الهزار دا

ثار مصطفى للهجة آدم في الحديث إليه: خلاص يا سيدي مش ههنزر معاك تاني، يعني أنا

اللي هاموت على هزارك

– أحسن بردو

عابت ندى زوجها: في إيه يا آدم؟، مش كدا، دا مش أسلوب

ثم تابعت ناظرة إلى مصطفى: معلش هو مش قصده حاجه بس تلاقي الحالة اللي جاتله وترت أعصابه شويه

زادت عصبية آدم: أنا مش طفل صغير يا هانم عشان تدافعي عني .. أنا راجل ملوي هدومي وعارف أنا بأقول إيه كويس

نهض سيف من مكانه وركض مغادرا المطعم بل الفندق بأكمله وهو يبكي من صراخ والده على أمه لحقت به مرام حيث كانت أول من لاحظ مغادرته.

عاد أحمد بنظره إليهما بعد أن أطمأن على ذهاب مرام خلف الصغير، صاح بهما: في إيه مش كدا، لو ناسي يا آدم إنا ف مكان عام .. ياريت ما تنساش إن دا طفل ويحس بالتوتر ويخاف من اللي بيحصل حواليه، خصوصا لو شاف أبوه بيزعق لمامته

سقطت رأس آدم بين كتفيه: آسف .. مش هتتكرر تاني

أنطلق أكرم يتبع الصغير بينما نهضت هند متحججة بالذهاب للنوم؛ حتى تستعد لعملها في اليوم التالي ومعها فريدة التي مالت تهمس في أذن ندى: لما تحتاجي تفضفضي وتحكي لحد هتلاقيني موجودة

عبرت ندى عن إمتنانها: ماشي .. بكره نتكلم عشان دلوقتي هأروح أشوف سيف

ابتسمت فريدة متفهمة: وأنا قولتلك ف الوقت اللي يريحك

كان مصطفى يتابع ذلك الحوار الهامس فرغم إنخفاض الصوت إلا أن أذنيه استطاعت التقاطه، نظر لفريدة بعتاب يحدثها سرا، ومتى تستمعيني لي ودقات قلبي ؟ متى تركيني أضع رأسي لأريحه فوق كتفك، متى تسمحين لي أن أشعر بحرارة حبك وحنان ضمك ؟

ركضت مرام خلف سيف حتى تقطعت أنفاسها، نادته لعله يتوقف قليلا: سيف .. سيف استنى توقف سيف ينظر لها من بين دموعه، فرغم كل شيء لم ينسَ ما علمته والدته من آداب احترام الأكبر سنا ومقاما: نعم ؟

نزلت لمستواه وجلست على ركبتيها ثم وضعت يدها على كتفه: أنت زعلان ؟

أوماً بحزن: أيوه

سألته فيما تربت على رأسه بحنان: طب تحب نقعد ع البحر شويه ؟

- ماسي

ابتسمت مرام بشدة: يا خراشي على ماسي دي .. زي العسل

بدأ بيتسم قليلا، جلست على الرمال إلى جواره وظلت تحادثه وتمازحه حتى علت ضحكاته وألقى حزنه بين ملح الماء.

كان أكرم قد خرج للبحث عنه لكنه لم يعثر عليه حتى سمع صوت ضحكه ذهب بإتجاه الصوت ورأها كيف تحادثه وتنسيه حزنه.

شعر أن هناك ما ينقصه منذ توقفت عن الحديث إليه والجدال معه، أحس بالحسد يملئ قلبه تجاه سيف؛ فهو يتمتع بمداعبتها ويرى ضحكتها بكل راحة دون أي تحفظ منها فيما تحاول إثارة غضبه بشتى الطرق وأفظعها.

سألها سيف: إنتي اسمك معناه إيه ؟

أجابه وقد اقترب منهما: معناه المطلب أو الهدف

استغربته: وأنت عرفت منين ؟ .. تقريبا ماحدث يعرف معنى الاسم دا

هز أكرم كتفيه: باقرا عن معاني الأسماء، كل ما أقابل اسم مش عارف معناه بأدور عليه

قبضت على حفنة من الرمال وأدعت أن سؤالها سؤال عرضي ولا يحمل ذرة فضول: ومين بقى أول مرام عرفتها ؟

بحث عن عينيها قبل أن يجيبها: ما فيش غيرك

ارتبكت من نظرتة التي قابلتها فور رفعها رأسها إليه حتى تتأكد من صدقه، تذكرت كلام فريدة فنهضت من مكانها وأخذت بيد سيف لكي ينهض أيضا.

تزمر الصغير: إيه دا .. إحنا هنرجع الفندق دوقتي ؟

حاولت إرضاءه: معلش بقى يا سيف؛ أنا عايزه أنام أنت معاد نومك جه

تناول منها أكرم مسئولية ابن أخته: ممكن تروحي إنتي وأنا هأخلي بالي منه

هزت رأسها موافقة: طيب، تصبحوا على خير

ابتسم أكرم: وإنتي من أهله

هز سيف يده مودعا: وإنتي من أهل الجنة

توقفت ونظرت إلى سيف مصعوقة: أنت جبتها مين الجملة دي ؟

رفع سيف رأسه بفخر: مامي بتقولها على طول .. أتعلمتها من واحدة صحبتها

ضحكت مرام: أكيد صحبتها دي فريدة

تعجب أكرم: أشمعنه ؟

فسرت مرام: ههههههه أصل دي الجملة اللي بتقولها فريدة على طول

أكرم: أها

تابعت مرام إبتعادها: يلا عن إذنكوا، سلام يا سيف

ردد سيف وهو يلوح بيده الصغيرة: سلام يا مرام

أنخفض أكرم ليحمل سيف ويرفعه فوق أكتافه: يلا نروح إحنا كمان ننام .. ولا إيه رأيك يا عم سيفو ؟

تمسك سيف بخصلات شعر خاله: يلا

جعد أكرم وجهه متوجعا ورفع نظره قليلا لسيف معاتبا فيما يدفع يده بعيدا عن رأسه: يا بني دا شعري مش زرع الأرض .. خف إيدك شويه يا عم سيف، تلاقي مامتك موصياك عليا أرخي يده من فوق شعر خاله لتلتف حول عنقه بقوة، تمنى لو كمنه أحد قبل أن يرفض تشبث سيف بشعره فقد أصبح يخنق ولا يجد شهيقه منفذا للدخول إلى رئتيه.

ضربت كومة الملفات بيدها على الطاولة عدة مرات لتساوى وتصبح على نفس الاستقامة، راقبها أحمد من خلال فتحة الباب النسبية باسم، أخفى ابتسامته سريعا ودلف عندما شعر بها على وشك الاستدارة.

التفتت فجأة واصطدمت يديها التي تحمل الملفات بجسده فتناثرت الأوراق في الهواء ووقعت كيفما اتفق، زفرت بحدة تتأمل الوريقات الأخيرة وهي تهوى أرضا فقد بذلت بها مجهودا خرافيا حتى تكون بهذا الترتيب.

رفعت رأسها تهاجمه فقابلتها إتهامات عينيه، فغرت فمها وما لبثت أن أغلقتة لم يعد بها طاقة للجدال، ركعت في صمت تعيد تنظيم الأوراق فيما تقاوم رغبة ملحة تدفعها إلى البكاء مثل أم

قضت النهار في تلميع المنزل ليأتي الأولاد بأحذيتهم المبللة بالطين يدهسون هنا وهناك حتى يضيع تعبها هباء.

أشفق على حالها وكاد يضرب رأسه عرض الحائط لولا ما تبقى لديه من عقل منعه، ركع إلى جوارها يحاول مساعدتها لكنها اكتفت برفع يدها أمام وجهه تشير له بالتوقف ثم رفعت إليه عينها التي أختفت خلف عدسات زجاجية مستطيلة.

أوجعته قطرات الماء المختلطة بالملح، فقط صمت ووقف فقبل أن يعلق أو يعتذر دخل العميل الذي عُقد من أجله الاجتماع، أسرع تعيد ترتيب الملفات والأوراق كما كانت وأتخذت مكانها خلف الطاولة تتابع الجدل والمناوشات حتى يتم الوصول إلى أنسب العروض لكلا الطرفين.

جلست فريدة برفقة شقيقتها مرام تتجاذبان أطراف الحديث فيما تتناولان الفطور سويا بالشرفة أمام روعة المنظر حيث البحر والرمال.

استفسرت مرام بينما تضع قطعة من جبن داخل الخبز: هي إزاي ندى كدا ؟

رفعت فريدة عينيها فوق فنجان الشاي بدهشة: كدا إزاي ؟

هزت كتفيها فيما تقضم من السندوتش: قصدي يعني غنية وعندها فلوس ومتجوزه دكتور قلب، مع ذلك لبسها واسع ومحجبة وهاديه .. طبعا إلا مع اللي تعرفهم

حدقت بها بقوة: مش كل الأغنيا هتلاقيهم نسخة من باريهان لو دا قصدك، ومش كل الفقرا هتلاقيهم محترمين ولبسهم زي ندى، الحاجات دي مش بسبب المستوى الإجتماعي ولا بسبب الفلوس .. دي حسب التربية والأخلاق والدين

حركت رأسها مؤيدة: صح معاكي حق .. بس أنا لاحظت إن هزارها مع مصطفى ما ينفعش، خصوصا .. آدم شكله بيغير منه موت؛ علشان كدا عمل معاه المشكلة إمبارح اللي مالهاش أي تلاتين لازمه

أومات: أه خدت بالي .. هي بتعامل بسلامة نية؛ لإنها عارفه مصطفى من زمن وشكلهم على طول كانوا بيهزروا .. فأكيد مش فجأة هتتحول ناحيته، بس المفروض هو يكون عارف دا كويس

لوت مرام شفيتها: لا الرجاله لما بتغير ما بيفرقش معاه صديق طفولة .. قريب .. غريب، كله ف نظرهم واحد

مازحتها فريدة: يا عم يا عم .. ع الناس العاقلة

اعتدلت في جلستها بغرور: إحم إحم .. أي خدمة يا باشا

بعد فترة من الصمت سألتها فريدة باهتمام: عملتي إيه مع أكرم؟

تنهدت مرام حزينة: كنت هأرجع أحن تاني بس أفكرت كلامك ف رجعت لعقلي وسييته

ومشيت

ربتت فريدة على ظهر يدها المسطح فوق الطاولة: كويس استمري بقى على كدا
رمقتها مرام بخبث فيما تدعي تأمل كأس العصير بيدها: مصطفى دا شكله واقع خالص ..
هناره مع ندى مش طبيعي

ارتجفت يد فريدة وكادت تسقط فنجان الشاي من بين أصابعها: قصدك إيه ؟

رفعت حاجبيها: إنتي مالك خوفتي كدا ليه ؟ .. في حاجه ؟

ارتبكت أكثر: هيكون في إيه يعني ؟

حدقت مرام بعيونها مباشرة: في زي اللي بيني وبين أكرم .. صح ؟

تنهدت: اديكي قولتي .. زيك .. يعني بردو لازم أبعد

هزت رأسها بتفهم: بس أسلوب مصطفى بيخليكي غضب عنك عملي العكس

أفرغت ما تبقى من الشاي في جوفها جرعة واحدة: أيوه .. بس هأحاول وهأنجح بعون الله

عقدت فريدة نيتها على عدم الوقوع في خطأ أكبر من قدرتها، يكفيها ما دعست فوقه من
مبادئ وحدود قد حاوطت نفسها بها، منذ ظهر وهي تفعل عكس ما كانت تفعله مع غيره،
خافت أن يكون ذلك دليلاً على غضب الله عليها من شئ فعلته ولم يكن لديها ملجأ سوى
الدعاء والاستعانة بالصبر.

قام أحمد برفقة عميله يوصله إلى سيارته؛ فهناك طائرة ينتظاره، نفخت مرتاحة فقد أنتهى الأمر أخيرا.

دق هاتفها وجدت نمره والدها بالخارج، أجابت بسعادة، كان والديها يطمأنان على راحتهم في الغردقة فلم يزوروا من قبل .. استمرت الدردشات عامة ولكن بعد إغلاقها الخط انهارت على أقرب مقعد تنوح وتبكي.

عاد إلى الغرفة التي خصصت لهم في الفندق حيث قاعة للإجتماعات، وجدها على هذا الحال فسقط على الأرض تحت قدميها يخشى أن يكون سبب هذا النواح.

قرب يديه يريد أن يزيح كفيها من فوق وجهها، يلمس رأسها، يربت على كتفها، يخبرها أنه بجوارها أسفا على ما قاله أو فعله أذاها إلى هذا الحد لكن يده تعلق في الهواء فلا تحل له ملامستها.

سألها بصوت أجش: حصل إيه ؟

لم تكن قد شعرت بعودته فرفعت إليه بصرها دون النظارات لأول مرة، سألها متوجسا الإيجاب: أنا السبب ؟

ملئ عيونها العجب من فرط اهتمامه بل وتأثره الواضح من نبرات صوته، هزت رأسها نفيا مما أعاد دقات قلبه إلى الهدوء تقريبا وأنتظم تنفسه قبل أن يسأل عن سبب بكاءها.

سقط نظره على الهاتف الساكن فوق ركبتيها، سردت له اشتياقها لوالديها وعدم استطاعتها
المجئ وكذلك لا تقدر هي أو أختيها على السفر قبل إنتهاء مرام من إمتحاناتها التي لن تلبث
في البدء.

مد يده إلى جيب سترة بذلته الداخلية وأخرج محرما أسقطه في كفها المفتوح، دون تردد رفعته
تمسح بقايا دموعها، ابتسم لها بحنان يحثها على النهوض.

- اغسلي وشك قبل ما نحصلهم ع الغدا عشان ما حدش يحس إن في حاجه
غمزها مضيئا برقة: أنا ناشف شويه أه بس مش لدرجة أعيط البنات الصغيرين

كبحت ابتسامتها مجيبة: بس أنا مش صغيرة للدرجة دي

ألتوى جانب شفثيه بمرارة: بس بيني وبينك حوالي عشر سنين

حدقت به دون فهم مقصده: وفيها إيه ؟

هز كفه منهيها الحوار، اتجهت إلى الحمام فيما كل ما يشغله ما أصابه من لجم وعدم أحقيته
في التخفيف عنها بحالة مثل التي مرت بها قبل قليل، كان أسوء شعور أحس به في حياته؛ أن
يراهها أمام عينيه ولا يستطيع كفكفت دموعها على أقل تقدير.

أُتمّ الشمل حول طاولة كبيرة تتسع لعدددهم أجمعين، مستديرة كبيرة نسبيا استوعبتهم جميعا حولها ليتناولوا الغداء سويا بعد إجتماع مرهق ويوم حار، ظهروا كأنهم عائلة واحدة سعيدة قررت قضاء عدة أيام راحة من أعباء الحياة العملية في ظل الشمس والهواء النقي والمناظر البديعة.

كانوا محل إنتباه الدالف والذهاب، اختلفت النظرات إليهم من حسد لتجمعهم وغبطة لدوام العلاقات الأسرية في عصرنا وأخرى تجزم بصلة القرابة بينهم.

أعلن أحمد بهدوء قبل أن يزج ما تحمله الشوكة داخل فمه: أنا مضطر أسافر إنهارده، بس مش هاتأخر كثير .. يومين وراجع

رفعت هند رأسها إليه مندهشة: بس إحنا لسه ما خلصناش إجتماعاتنا مع العميل

أمسك بكأس الماء يرشف منه عدة رشقات: ما تقلقش هنخلص كل حاجه، كدا كدا هو سافر إنهارده وجاي بكره؛ علشان في شحنة هيستلمها من بورسعيد .. أنا هأجي بعد بكره الصبح وإجتماعنا معاه بعد الظهر

صاحت به والدته بنفاذ صبر: مش كثير عليك كدا يا أحمد؟، براحه شويه على نفسك ماينفعش كدا .. ما تقوله حاجه يا ياسين

أحمد مقاطعا أمه: أنا مش عيل؛ علشان تقلقي عليا .. دا شغل

ضربت قبضتها بقوة فوق حافة الطاولة تطلب العون من زوجها: ياسين ما تقولك كلمة

ربت زوجها على كتفها بحنان: خلاص يا حبيتي سيبه براحتة .. هو بنفسه قالك إنه مش عيل .. عقله ف راسه يعرف خلاصه

أخفصت صابرين رأسها محبطة: يعني دا اللي قدرك عليه ربنا ؟

تدخلت ندى تحاول إمتصاص التوتر: يا ماما كلنا عارفين بتحبيه قد إيه وخايفه عليه وعلى صحته .. لكن إنتي كمان عارفه دماغه الناشفه .. ومادام قال مسافر يبقى هيسافر حتى لو كل اللي ف الغردقة قالوا له ما تسافرش .. ف ربح نفسك أنت يا جميل نهض أحمد: أهى قالتلك اللي فيها .. عن إذنكوا؛ علشان ما اتأخرش رفع أكرم حاجبيه: أنت لحقت يا ابني ؟

مصطفى بمزاح: سيبه سيبه .. باين عنده معاد مع موزه

طعنة خنجر حادة اخترقت أنسجة قلبها، كاد معها القلب أن يتوقف، قطبت هند حاجبيه مستغربة هذه المشاعر، أحاسيس لأول مرة تستشعرها، لما تشير فكرة تواجهه مع أخرى ومقابلته سواها هذا الإنقباض داخلها ؟، ليست معنية بالأمر لأنها لا تتعدى كونها سكرتيرته الشخصية.

لاحظ أحمد ملامح الضيق التي ظهرت بوضوح على وجهها، علم أن تلك السفارة ستكون ناجحة مئة بالمئة بلا شك، لقد طمأنه مصطفى عن غير قصد وانسأه التوتر الذي كان يشعر به ولو بشكل مؤقت بل زاده حماسة أيضا.

لكز أكرم صديقه في ذراعه قالبا الطاولة فوق رأسه: أتلهي أنت الثاني .. هو إكمن أنت على طول ما فيش ف دماغك غير البنات هتبقى كل الناس زيك

استدرك مصطفى موضحا بسرعة أثرت عجب أغلبهم؛ فلقد أختفى غروره وتباهيه بمغامراته الغرامية بلمح البصر: لالا لا، والله كان زمان .. أنا حرمت يا بيه .. ما تصدقش يا بيه .. كلها إشاعات مغرضة يا بيه

أحمرت وجنتي فريدة بسبب تركيز نظرات مصطفى عليها كأنه يعنيه بالحديث فقط ونسي أن هناك حوله مستمعين آخرين.

هتف آدم: أحمد.. أنت يا ابني .. مش كنت مستعجل؟ تنحت كدا ليه؟

قهقه مصطفى: ليه هو أحمد بيتنح زي النبي آدمين الطبيعيين اللي زينا .. العقل الصغير لا يصدق

شاركته ندى تعليقاته على شقيقها الأكبر: هههههههههههه أحمد أخويا أه، بس أنت معاك حق بصراحة

نهض أحمد قائلا بجمود: أنا ماشي .. بدل ما أفقد أعصابي وأضيع وقتي

غمزه مصطفى مغيظا: أيوه كدا .. أرجع أحمد اللي أنا أعرفه

ابتسمت صابرين وربتت على وجنته بحنان متناسية عصيانه لها: ترجع بالسلامة، خلي بالك من نفسك

قبل باطن كفها: ما تقلقيش يا ماما

تمت هند خجلي: ترجع بالسلامة يا أستاذ أحمد

خصها بنظرة عميقة متفحصة: الله يسلمك .. بس ما تفكروش تسافروا من هنا لمجرد إني مش موجود، اعتبريها فترة راحة

غادر قبل سماع ردها في حين صرخ مصطفى بفرع: مين؟ مين دول اللي هيسافروا؟! لا طبعا مافيش حد هيتنقل من هنا

نفخت ندى مستصغرة عقله: وحد قالك إني هأسيب صحابي يمشوا؟ .. أقعد أنت بس على جنب

أوما في بلاهة: أقعد وما أقعدش ليه؟ .. المهم ماحدث يتحرك من هنا

تنحج آدم محرجا: مصطفى .. أنا آسف، غلطت ف ححك إمبارح وزودتها .. ححك عليا ..

أعذرني، كان بقالي أربعة وعشرين ساعة صاحي وفي عملية قعدت فيها ست ساعات قبل السفر لهننا ضغطت على أعصابي خالص .. أنا عارف إن دا مش عذر بس ياريت تسامحني

مصطفى وقد استشعر صدقه: خلاص ولا يهملك يا عم آدم .. المهم إنك تسيبني بقي أهزر معاك براحتي

شعر براحة وكأن أحمال الدنيا قد سقطت عن كتفيه: هههه خد راحتك ع الآخر يا كبير

وصلت فريدة ومعها شقيقتها مرام حين بدأ آدم يُبدي أسفه ويقدم إعتذاراته، رأت كيف تقبل مصطفى تأسفاته بكل طيبة خاطر، ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفيتها رغما عنها.

هتفت ندى منتبهة لوصول الشقيقتان: أخيرا يا هانم منك ليها، إيه كل دا ؟

ضحكت مرام مازحة: أصل العريس واقف ع الباب

قطب أكرم جبينه وسأل حانقا: عريس ؟ عريس إيه ؟

مصطفى: يا عم .. ولا عريس ولا حاجه، ما هما قدامنا أربعة وعشرين ساعة هيجيبوا العريس منين ؟

آدم بمزاح: ما هما لما يشوفوا معاهم الجت دي أكيد هيطفشوا

زفر أكرم: ف داهيه

أوضحت ندى باسمه: دي جملة بتتقال لما البنت بتتاخر .. عادي يعني يا كرومه

لوى شفتيه: طيب ياختي

أدارت صابرين بصرها في المكان من حولها: هو سيف فين أنا مش شيفاه ؟

اتسعت ابتسامة ندى لذكر صغيرها: بيلعب ف الجنيئة برا

ربت ياسين على كف زوجته المجعد: يلا يا صابرين نطلع نرتاح شويه بعد الوجبة الدسمة دي

أومأت موافقة ونهضت معه: يلا .. عن إذنكوا يا جماعة

تقبل الجميع عذره وأذنوا لهم بالإصراف، عاكسهم مصطفى غامزا: أيوه أسحب أنت المزه وأطلع على فوق وسيينا إحنا نسقف

نهرته صابرين خجلى: ههههه يووه عليك يا مصطفى .. جاتك إيه

تشبت ياسين بكف زوجته منصرفا: سيبك منه دا فاضي ومش هيسبنا ف حالنا إنهارده

أعلن قائد الطائرة عن بدأ التحرك إلى الوجهة المقصودة، زفر براحة بسبب دنو هدفه والوصول إليه.

أرخی رأسه للخلف قليلا حتى استندت فوق وسادة صغيرة، نظر للسقف يتذكر كل المواقف التي جمعتة بها وصولا للغيرة التي استشعرها تنضح من عيونها الصغيرة وتعكر صفو وجهها البريء.

اتسعت ابتسامته، لم يكن أبدا ليقدم على خطوة دون دراسة متمحصة يحسب خلالها النتائج ونسبة الأرباح إلى الخسائر، لكنها قلبت حياته رأسا على عقب وغيرت مفاهيم ترسخت داخل عقله بإشارة واحدة منها.

تهدلت عيونه مهمومة لدى تذكره لحظات بكاءها وعجزه عن التريت فوق كتفها وكفكفت دموعها الندية، للمرة الأولى في حياته يشعر بالشلل وعدم استطاعته لفعل ما تمنى.

استقام في جلسته بإصرار، إن هذه الرحلة ستغير ذلك من الآن وإلى الأبد، ستغتنال عجزه
وتُحيي قوته .. ستزيد صلحياته وتقتل موانعه.

عادت للاسترخاء وقد جذب إحدى المجالات يتفحصها بذهن غائب، يريد أن يشغل عقله
بغيرها ولكن .. هيهات.

بعد إبتعادهم قليلا .. في الرواق بينما يقفان جنبا إلى جنب يانتظار وصول المصعد حتى
ينقلهم إلى الطابق الثالث حيث غرفتهم.

إلتفت ياسين إلى زوجته غامزا: تعرفي إن الواد مصطفى أول مرة يقول كلام صح الصح
توقفت ناظرة إليه بعجب: قصدك إيه؟

ارتسمت بسمة خبيثة على ثغره فهتمت معناها: ما تيجي

صوبت بصرها أرضا بخجل: أجي فين .. إحنا كبرنا ع الحاجات دي

انتصب في وقفته وضبط هندامه قائلا بثقة وغرور: لمؤاخذه إحنا ما يفرقش معنا أعمار .. بس
ما بنحبش نتكلمو عن نفسنا كتير

قهقهت: لا يا شيخ

اقترب من وجهها هامسا بحب: وبعدين مين اللي يشوف القمر دا كله ويقدر يمسك نفسه،
ولا يفكر ف عمر .. دا إنتي غلبي بنتك ندى

لكزته في كتفه: بس الناس بتتفرج علينا

تمسك بيدها والجا إلى المصعد الذي توقف حتى يحمل ضيوف الفندق إلى طابقهم، همس
لها أثناء ذلك بصوت لا يسمعه غيرها: طب يلا بقى على أوضتنا، علشان لسه في كلام كثير
ماينفعش حد يسمعه غيرك

أحمر وجهها بعد فهمها لما توحيه كلماته، تعلق بصرها بوجهه المجعد الهزيل، عادت بها
ذكرياتها إلى جدالها مع والديها .. ترفض الزواج من رجل لمجرد ملائمته لها إجتماعيا وتوفيره
إحتياجاتها المختلفة.

لقد رسمت في ذهنها صورة محددة لأmirها المتوج .. من ستترع على مملكة حياته وعرش
قلبه، لكن والديها أبيا لهذه الأحلام أن تتحقق.

ابتسمت بحب عندما نظر لها يحثها على قطع المسافة القصيرة التي تفصلهم عن غرفتهم،
لقد جلست معه في أول جلسة منفردة بينهما في بيت والدها قبل خطبتهما، صارحته
بمشاعرها .. قلقها .. فزعها، قابل كل ذلك بابتسامة هادئة، أخبرها أنه لن يهدم أحلامها ..
سيتفهمها وينفذ منها قدر استطاعته.

راقبت يديه وهي تدفع المفتاح في مكانه حتى يفتح باب الغرفة، لقد مضى الآن سنوات على حياتها إلى جانبه، لم تندم أبدا على استسلامها لإلحاح والديها بالقبول بل كانت تشكرهم كلما سنحت لها الفرصة، فقد رزقها بزواج ولا في الأحلام.

ما زال البقية في المطعم، التفت أكرم إلى صديقه ناهرا بغيظ: يا أخي بطل ثقاله بقي .. كسفتهم

ضحك آدم متخابثا: ولا كسفتهم ولا حاجه .. زمانهم بيعملوا بنصيحتته دلوقتي

غمزه مصطفى: طب ما أنصحك أنت كمان وتقوم تعمل بنصيحتي يا وحش

خجلت ندى من كلمات مصطفى: مصطفى أبعده عني .. مالكش فيه أنت الكلام دا

مصطفى مصطنعا الدهشة: الله .. مش أنا أخوكي وخايف عليكي ؟

لوت شفتيها ساخرة: لا يا راجل، ما أهو أكرم قدامك ما نطقش يعني

ضرب أكرم على ظهره بقوة: أكرم دا ف دنيا تانية .. مش معانا على كوكو الأرض أصلا ولا إيه

يا أبو المكارم

صاح به غاضبا: يا أخي قولتلك 100 مرة إيدك ثقيله

رفع مصطفى حاجبيه: الله .. مش شايفني راجل قدامك ولا باكو بسكوت

أكرم حانقا: لا شايفك باكو رخامه

اصطنع مصطفى التفكير: دا نوع جديد نزل السوق وأنا ما أعرفش ؟

حاول أكرم أن يكتم غيظه: لا يا خفة .. نوع جديد حصري عندك أنت بس

زاد مصطفى من جرعات مزاحه: ليه ؟ هو أنت فاكرني روتانا سينما ؟

شاركتهم مرام المزاح: أوعى تسد ودانك

ابتسم آدم: جديدة دي .. طول عمرها أوعى تغمض عينيك

ندى بسخرية: أصل أنت بقالك زمن مش بتشوف التلفزيون

أوضحت مرام: مع مصطفى لازم ودانك عشان هزاره، لكن صدقني أول ما يقوم يبدأ فقرات

البلياتشو هتقلب عينيك وودانك هههههه

تقبل مصطفى مزاحها بأريحيه: أيوه اترقي ياختي، ماهو أهلك علموكي كدا

تدخلت فريدة ضاحكة: بس ما تنساش فقرة الساحر

قهقهت مرام: أه لما يتقسم نصين

هزت فريدة رأسها: لا لما يدخل الصندوق ويختفي .. بس مش هنرجعه تاني خليه مخفي على

طول علشان نخلص

ارتبكت هند لكنها أجابتها بهدوء قدر المستطاع: أبدا، أصل ماما كانت بتكلمني وبتظمن علينا

مرام بملل: ااا .. طيب

ركزت فريدة نظراتها على شقيقتها تحاول سبر أغوارها: ومن إمتى بتكلمي ماما ومش بتخليني
أكلها ؟

هزت هند كتفيها يارتباك: عادي .. لما سألت عليكوا قولتلها بتاكلوا ف قفلت وقالت
هتكلمكوا بعدين

أومأت فريدة والشك مازال بداخلها: قالتلك حاجه يعني ؟

زفرت براحة لنجاتها فقد اتصلت والدتها تظمن عليها بسبب إغلاقها الخط على نحو مفاجئ:
لا عادي .. عاملين إيه وخلي بالكوا من نفسكوا، كدا يعني

تمتت مرام بسخريتها المعهودة: دا على أساس مستنيين كلمتها دي ؟ لا والله كتر خيرها
حذرتها فريدة: مرام وبعدين ؟

زفرت بحدة وألقت محرمتها فوق المنضدة منصرفة: ولا بعدين ولا قبلين .. أنا رايحه الجنية
أشوف سيف .. سلام

غادرتهم مرام وقد تعلقت بها عيون أكرم حزنا على حالها، عالما بالخطوط العريضة في علاقتها
مع أهلها، كذلك حزنها وحقدها على والديها.

نهض أكرم يلحق بها معذرا من البقية: هأروح أشم هوا .. عن إذنكوا

وقفت هند معذرة وقد أمسكت جانب رأسها: وأنا هأطلع ارتاح شويه؛ لأحسن الصداع مسك
ف دماغي من ساعة الإجتماع .. والراجل كان رغاي أوي ونفسه طويل

أوما لها مسرعا آدم: طبعاً طبعاً اتفضلي

شعرت فريدة بالقلق: خدي مسكن .. ماشي ؟

ربتت على كتفها مطمئنة: ما تقلقيش عليا .. هأخذ أكيد

انصرفت هند تاركة شقيقتها مع ندى وزوجها ومصطفى، مرت دقيقتان دون حديث، شعرت
فريدة بالحرج فنهضت معذرة: معلىش .. أنا كمان هأقوم أتمشى شويه ع البحر عشان
واحشني

لحقت بها ندى تحت خطاها: استني يا فريدة أنا جايه معاكي

اعتذر مصطفى من آدم لضرورة الإجابة على الإتصال بخصوص المزرعة، جلس آدم وحيدا،
لكنه بعد برهة نهض مقررا اللجوء إلى غرفته حتى يراجع آخر الأبحاث العلمية على حاسوبه
المحمول كالمعتاد.

سارت إلى جوار صديقتها تفكر في حالها بينما تركل رمال الشاطئ بأطراف حذاءها الخفيف، شردت في الأفق البعيد حيث الشمس تسطع بحدة مرسله أشعتها الذهبية إلى سائر الأركان.

كان الصمت هو سيد خطواتهما، لا تجرؤ واحدة منهما على قطعه حتى توقفت ندى فجأة عن متابعة التقدم وأشارت إلى فريدة التي نظرت إليها متسائلة: تعالي نقعد هنا عايزه أتكلم معاك ف حاجه واحكيك

ابتسمت فريدة وأومات، استقرت كل منهما في جلستها على أحد المقاعد أسفل مظلة تقيهم حرارة الشمس.

بدأت ندى الحديث قائلة: مش عارفه ابدأ منين ولا منين .. المهم هاكلمك عن علاقتي بآدم لإنني مش بارتاح ف الكلام غير معاك .. حتى هند عمري ما حكيتها زي ما كنت باحكيك - مش مهم تحكي لمنين .. الأهم ترتاحي

تنهدت ندى براحة: طيب أنا هابدأ م الأول من ساعة ما اتعرفت على آدم ..

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها، كانت ترغب في مساعدة صديقتها الصغرى كثيرا فقد أحببتها منذ عرفتها وارتاح قلبها إليها، تمنى أن يُعينها ربها على ردم كهوف الحزن بوجه ندى وإعادة الفرح إلى ملامحها الجميلة.



الفصل الثاني عشر

وقف ينفث أدخنة سيجارته مستندا إلى الجدار الخارجي للفندق، يده الأخرى في جيبه ونظارته الشمسية تخفي عيونه التي كانت تتبع تحركاتها بالمرصاد.

كانت تركض هنا وهناك خلفها أطفال وأمامها صغار، هذا عالمها الذي تنتمي إليه، هؤلاء هم رفاقها، فبرغم إرتفاعها عنهم عدة سنتيمترات إلا أنا قلبها وروحها تشاركهم أعمارهم.

أصابها الركض والحر بالتعب فاستجارت بظل شجرة وارفة تُلقي ظلالها فوق أرجوحة واسعة، جلست إليها تلتقط أنفاسها وتعيد قلبها إلى دقاته المنتظمة.

دعس فوق عُقب سيجارته واتجه إليها، دون حديث جلس إلى جوارها ودفع الأرجوحة للإهتزاز بقدمه الثابتة فوق حشائش الأرض.

سألها بعد أن استمر الصمت وطالت فترة تجاهلها لوجوده: لسه مضايقه ؟

- من إيه ؟

- من أهلك

هزت كتفيها بقلة إهتمام: اتعودت

استدار إليها مغتاظا من طريقتها، تجاهلها له زاد عن حده وتصرفتها معه أثارت حنقه، هتف فيها نائرا: إيه اللي غيرك فجأة كدا ؟ .. بقيتي باردة ومستفزة .. إيه اللي حصل عشان تتحولي بالشكل دا ؟

رمته بنظرة جليدية ثم نهضت تحدثه ببرود يخفي خلفه ثورة وغيظ: مجنونة بقي تقول إيه قبض كفيه بشدة، كبح نفسه من الذهاب خلفها وإلقاءها فوق ركبتيه مسددا صفعات متوالية فوق مؤخرتها حتى تصحو إلى نفسها مجددا.
اكتفى بمراقبتها تعود للهو مع سيف وأصدقاءه الجدد، وأخرج لفافة تبغ أخرى وبدأ في التدخين منفثا فيها غضبه العارم.

سرحت بنظراتها في ذرات الماء أمامها: آدم أنا عرفته بالصدفة .. كانت واحدة صاحبي مامتها تعبانة بمرض ف القلب، كنت معاها لما جاتلها جلطه .. أخذناها المستشفى وكان آدم هو اللي استقبل الحالة ومستول عنها .. كنت بأحس منه بنظرات إعجاب بس طنشتها.
كنت بأروح أقعد مع مامت صاحبي بالنهار؛ عشان صاحبي بتشتغل ورئيسها ف الشغل منع عنها الأجازات ورافض الموضوع حتى علشان والدتها .. وهي محتاجه الشغل لأنها بتصرف بيه على علاج مامتها وعلى نفسها .. خصوصا مصاريف المستشفى اللي زادت دي.

المهم يعني هي تقعد معاها بالليل وأنا بالنهار حتى هو كان بيزور مامتها بالنهار؛ مع إني اللي عرفته بعد كدا إن نبطشيته أصلا بالليل بس ما حطتش ف دماغي .. وكان كل ما يحاول يكلمني أصده وأقفل الكلام معاها، بعد كدا جه اليوم اللي هتخرج فيه مامتها وروحت معاها الحسابات عشان ندفع الفلوس، عشان لو فلوسها ما كملتش أكملها أنا بس اكتشفنا إن الدكتور تنازل عن الفلوس بتاعت العملية اللي عملها ودا شال هم كبير من على صاحبي فقالت إنها لازم تروح تشكره وأخذتني معاها .. وكانت مامتها مستنيانا ف الأوضه بتاعتها، روحنا شكرناه وحسيت إنه بيصلي بتركيز أوي .. فأضايقت من نظراته .. ما انكرش إن عينه زرقه تجنن ولا شعره كان سايح يهبل ولا جسمه الموزون اللي ما يناسبش دكتور - يعني اللي على طول كلهم بكرش - ولا سنه الصغير اللي عكس خبرته المهنية وحرفيته ف شغله.

قولت لصاحبي إني هاستناها برا لحد ما تخلص كلام معاها وبعد شويه خرجت ورايا وبصتلي بخبث وقالتي (يلا بينا يا جامد) .. أنا ما ركزتش معاها؛ عشان متعودة منها على كلام زي دا كثير .. رocht عادي وبعدها مافيش يومين بابا جه وقالني إن في واحد متقدملي وجاي إنهارده .. قولت وماله جهزت نفسي وكله تمام.

أدخل عليهم الصالون ألاقيه هو، آدم .. طبعا اتمسرت مكاني والصدمة بانتي على وشي .. كان فرحان من رد فعلي أوي وكان ماسك روحه بالعافية من الضحك اللي كان نفسه يضحكه .. فوقت وروحت قعدت وفضلوا يتكلموا فترة لحد ما ..

بابا قال: طب نسيبكم إحنا شويه

سابنا ولاقيت آدم جه قعد ع الكرسي اللي جنبي وفجأة لاقتني بأقوله: أنت جبت نمرة بابا
منين؟

هو وقتها ماقدرش يمسك روحه أكثر م كدا وفضل يضحك وأنا متغاضه .. بيضحك على إيه
العبيط دا ؟ هو أنا قولت نكتة ؟ بس فجأة اتقلب 180 درجة.

جاووني بكل جدية: أخذته من صاحبك بعد ما خرجتي وسبتينا آخر يوم ف المستشفى ..

وقتها حسيت إني عايزه أمسك فرقبتها وأقولها أديتها له ليه .. طب ما قولتليش ليه ؟! .. كأنه
عرف بأفكر ف إيه راح قالي: أنا قولتلها ما تجبلكيش سيرة عشان أشوف رد فعلك بنفسي لما
تلاقيني هنا

ندى مغناظة: وعرفته؟

ابتسم آدم: أيوه

- طب أشمعنه أنا؟

آدم بجدية وحنان في ذات الوقت: علشان من ساعة ما شوفتك دخلتي قلبي، ولما حاولت
أكلمك وصدتيني عرفت إن دي اللي أقدر أأتمنها على حياتي، حسيت إني مش هاقدر أبعد
عنك أكثر من كدا

صدمت من حديثه بشدة ومن كم الرومانسية التي يتحلى بها: بس أنت ما تعرفيش كويس

اتسعت ابتسامته: ما أنا جيت ودخلت البيت من بابه أهو عشان أعرفك كويس

أردف عندما لم ترد: تحبي تعرفي عني إيه؟

صدمها الموقف ونسيت ما رتبته من أسئلة لمن يتقدم لخطبتها: مش عارفه .. أتكلم أنت

أوماً وبدأ يقص عليها ملخصاً عن حياته بهدوء: اسمي آدم الحناوي 28 سنة .. دكتور
تخصصي الباطنة خصوصاً أمراض القلب وخلافه، مقطوع من شجرة لا أب ولا أم ولا أخوات
.. عندي حته أرض ف أسيوط بلدي، بأشغل ف المستشفى اللي شوفتيني فيها بمرتب

3000 جنيه غير طبعا العمليات

قاطعته بغتة: أنا ما يهمني مش مرتبك

جال ببصره في أنحاء المنزل نظر: واضح .. بس عشان أثبتلك إني أقدر أعيشك ف نفس

المستوى تقريبا

أثار حنقها بكلماته، ظنه بها وأن عقلها صغير لتهتم بتلك الهوامش أجح غضبها: أنا لو رضيت

بيك ووافقت عليك مش هيهمني حتى لو عشت معاك ف كشك

ابتسامه معجبة لمعت فوق شفثيه: وأنا لو ما كنتش واثق من كدا ما كنتش جيت؛ لإن الفلوس

ممكن ف أي لحظه تروح .. وقتها لو كان عندي شك إنك ممكن تسييني، أنا ما كنتش تعبت

نفسي ولا تعبتك بمجيتي

نظرت إليه بصمت تحاول فهمه وتحليله حتى قاطع تفكيرها متساءلا: وإنتي مش هتكلميني
عن نفسك؟

- يعني أنت عايز تقنعني إنك مش عارف كل حاجة عني قبل ما تيجي تتقدم؟

- لا عارف .. بس أحب أسمع منك

- ندى ياسين السويفي عشرين سنة خريجة إعلام مش بأشغل وعندي أخين أكرم أكبر مني
على طول بـ 3 سنين وأحمد أكبر واحد وهو أكبر من أكرم بسنتين .. وماما وبابا أنت عارفهم

تناولت رشفة من كوب العصير أمامها ونظرت لصديقتها مكلمة: بعد كدا بدأ يجي كل يوم
ونخرج سوا طبعا ف وجود أحمد أو أكرم معانا وبدأنا نجهز بيتنا .. كانت عندي شكوكي
ناحيته وقلقانه إنه ما يكونش الصدر الحنين بتاعي؛ لأن من بعد أول مره جه فيها عمره ما قالي
كلمة حلوة .. يعني كل كلامنا مقتصر على .. إزيك .. عامله إيه اخبار شغلك .. بتقضي
وقتك إزاي .. كدا.

لحد ما جه يوم بابا تعب فيه جدا بسبب مشكلة ف الشغل ودخل العناية المركزة، وقتها لاقيته
جنبي باستمرار ما بيسبنيش ولا لحظة .. قاعد ف المستشفى 24 ساعة .. فضل أسبوع كامل
ع الحال دا، يهزر معايا علشان أضحك .. يكلمني عشان ينسيني اللي أنا فيه .. يفضل ورايا
لحد ما أخلص أكلي عشان ما يحصلش حاجة .. كنت حاسه إن دا فعلا سندي

في الأسبوع دا قربت منه وحببته بجد أكثر ما حببته ف الأربع شهور اللي فاتوا بتوع الخطوبة، ولما خرج بابا من المستشفى بعدها بيومين جه وطلب نكتب الكتاب ويكون الفرح بعدها بأسبوعين .. بابا طبعا كان مستني الفرصة دي لإن بعد الأزمة اللي جاتله خاف يحصله حاجة قبل ما أتجوز .. فكان موافق جدا وماما كانت عايزة تخلص من هم الفرح .. عشان تنفرغ لبابا وصحته .. أكرم كان وقتها شغال ف الماجستير بتاعته وأحمد استلم شغل بابا لإن الدكتور منعه إنه يبذل أي مجهود .. فكانت الفترة دي ثقيله أوي على قلبي لإني مش عارفه أخرج مع آدم خالص عشان ما فيش محرم معانا.

المهم وافقت على كتب الكتاب وكنت هأطير م الفرح، كان الود ودي أتجوزه من دلوقتي .. بعد كتب الكتاب بقينا نخرج ونقعد براحتنا .. بقيت أسمع منه كلام ما تخيلتش إنه ممكن يقولهولي .. وبقيت اتكسف وأقوله خلاص ما تكملش .. مع إني كنت قبل كدا هأموت على كلمة واحدة منهم .. كانت بجد أسعد أيام حياتي من غير مبالغة .. وجه بقي يوم الفرح وكنت هأموت م الخوف وف نفس الوقت الفرحة مش سيعاني .. جه ياخدني من الأوضه في الفندق اللي فيه الفرح وأول ما شافني فضل يبصلي نظرة عمري ما هنساها .. كلها حب وحنية وشوق.

– بجد القمر دا خلاص هيبقى ليا أنا بس؟

خجلت ندى من كلماته فصمتت لكن عبرت وجنتيها وابتسامتها عن مدى سعادتها بأحرفه البسيطة.

آدم بحنان: طب يلا نروح للمعازيم اللي تحت دول؛ عشان أخذك ونطير على شهر العسل

أومأت ندى ذاهبة معه إلى أي مكان مادامت برفقته، انتهى العرس بكل ما فيه من رقص

وضجة وانطلق العروسان إلى المطار؛ مسافرين إلى باريس لقضاء شهر العسل الذي كان هدية من والديها فرحة بذلك الابن الذي أنضم إلى عائلتهم حديثا.

في الطائرة ظل آدم يلقي على مسامعها كلمات تذيب القلب ولها بالرغم من بساطتها، تخرج من قلبه فتصل إلى قلبها دون تردد إلى أن وصلوا إلى جناح العرائس في فندق ضخم يقع في أحد أشهر مدن العالم .. باريس.

كان جناحا جماله لم يخطر لهما على بال، قد أعده القائمون على المكان تحت إرشادات والدة العروس ليخرج أجمل ما يكون، تناثرت وريقات الزهور فوق الفراش ووزعت الشموع العطرة في الأركان كما تدلت الزينات من السقف لتحيط الفراش.

آدم مبتسما: تحبي تدخلني الحمام إنتي الأول ولا أنا ؟

أجابت ندى بسرعة: لا لا أنا هأدخل الأول

قهقهه: ما تخفيش المايه مش هتخلص

سحبت ملابسها من الحقيبة على عجل وهرولت إلى الحمام، وقف آدم يتابعها بنظراته مبتسما من خجلها ورفقتها الشديدة.

خرجت بعد دقائق مرتدية قميص نوم زهري يصل إلى ما بعد الركبة ظهره عبارة عن خيوط متشابكة، أرتدت فوقه مازرا من نفس القماش الحريري الناعم، نظر لها آدم من ثم سحب ملابسه ودخل إلى الحمام.

وقفت أمام النافذة تحاول أن تهدئ من روعها وتلهي نفسها بذلك المنظر البديع للمدينة التي لطالما عشقتها، كانت مستغرقة في تأملاتها فلم تشعر بخروج زوجها من الحمام مرتديا بنطال بيجامته و فقط، اتجه إليها وضمها من الخلف مما أدى إلى إرتعاشها لقربه منها ومن رائحته التي نفذت إلى أنفها مزكمة إياها.

استنشق عبيرها عاشقا: كان نفسي أشم ريحتك دي من زمان

جمع خصلات شعرها على أحد كتفيها واقترب من رقبتها ليشبع أنفه من رائحتها الزكية الفواحة، أغمضت ندى عينيها محاولة إعادة دقات قلبها المجنونة إلى الانتظام، كلماته فعلت بها الأعاجيب.

وشوش أذنها هائما في بحور عشقها: بحبك يا ندى قلبي

أدارها إليه ناظرا إليها بشغف وحب شديد، فتحت عينيها ببطء ترى تلك النظرات الولهانه في أباريق حبها، رأى نظراتها شديدة الغرام به فضمها إليه بقوة مستمعا إلى نغمات قلبها المجنونة، ابتسم بسعادة واقترب برأسه كما شفثيه وغابا في عناق طويل حتى حملها وسار بها متعلقة برقبته إلى السرير.

توقفت ندى عن الحديث بسبب دخولها في نوبة بكاء هستيري حسرة على تلك الأيام
واللحظات التي أشعرتها بحبه، منذ ذلك الوقت توقف كلامه المعسول عن الإنسكاب في
أذنانها.

حاولت فريدة التخفيف عنها: طيب براحه خدي نفسك .. مش كدا يا ندى
انهارت وزاد نحيبها: تعبانه يا فريدة!، واحشني آدم اللي حبيته، مش عايزه آدم اللي بيحتقروني
دا .. اللي لو إيده لمست إيدي بالصدفة يسحبها كأن لدغته عقربة

داعتها فريدة بخفة عليها تهذاً: ما هو تقريبا برج العقرب عامل شغله معاكي

ظهر شبح ابتسامة على وجهها: ما إنتي كمان برج العقرب ياختي ولا نسييتي

ضحكت: لا ما نستش ياختي، ماهو أهلك علموكي كدا أتريقي أتريقي .. بس الحمد لله إنك

مش برج الدلو كان زمانه دلوقتي غرقان مش ملدوغ

شاركتها الضحك تاركة بقايا دموعها تجف وحدها: تصدقي صح

حدقت بها بغيظ مصطنع: ومن إمتي أنا بأقول حاجه غلط يعني ؟ .. بس لأغلط فيكي

ابتسمت: طب خليني أكملك

فريدة بجدية: لو مش عايزه نكمل دلوقتي وترتاحي مافيش مشكله .. نكمل بعدين عادي يعني

ندى بجديه مماثلة: لا هاكمل دلوقتي، كدا كدا أفكرت كل حاجه وما فاضلش كثير أوي

هزت فريدة كتفيها منصاعة: اللي يريحك

أكملت ندى رواية قصتها فيما تحاول مغالبة الدموع التي كانت تريد الخروج من محجرها
وتعبر عما يعتمر بداخلها لكنها تعلم أن الدموع لن تفيدها في شئ بل ستسبب لها ألما آخر
فوق ألمها.

هبطت الطائرة في المدرج المخصص لها، أنهى إجراءاته متعجلا، لقد دب الإصرار أكثر في
قلبه وعقله، سينجح في مهمته مهما كانت النتيجة وسيتمها على أكمل وجه.
خرج ووجد سائق وسيارة حديثة في إنتظاره كي يقلوه إلى المكان الذي يرغب، سلم السائق
ورقة تحمل العنوان الذي يريد التوجه إليه.

أوماً السائق سريعا وفتح الباب الخلفي خافضا رأسه حتى ركب سيده ثم انطلق مهرولا يستقر
في مكانه خلف المقود ويدعس على البنزين بعد أن تم تحديد هدفه.

نهض آدم فجأة يتناول بنطاله ويرتديه فيما نظرة مرعبة قد تجسدت في عينيه، مفزوعة من
تلك النظرة سألته مترددة بينما تلملم أطراف الغطاء حول جسدها: في إيه يا آدم؟
رمقها بنظرة الشرار يتطاير منها ثم أشار لها على جزء من الفراش قائلا: إيه دا؟

حدقت حيث أشار لا تفهم مقصده: هو إيه اللي إيه دا؟ مش فاهمة حاجه؟ ومش شايفه حاجه

كز على أسنانه محاولا كظم غيظه: ما هو أنا بردو مش شايف حاجه عشان كذا بأسألك

فقدت السيطرة على أعصابها فهي لا تعلم عن ماذا يتحدث ولا تعجبها نبرة صوته، نظراته مملوءة باتهامات لا تعرفها ولا تدرك سببها، هتفت بعصبية بينما تنهض مرتدية رובהا: مش فاهمه حاجه!.. ما تفهمني

بهدوء ظاهري فقط: ما فيش دم ليه؟

تعجبت وقطبت جبينها: دم إيه؟ وليه؟

بدأ يفقد تحكمه في أعصابه: الدم اللي المفروض ينزل ع الملايه .. لو حضرتك فعلا أول مرة تتجوزي وكنتي بنت بنوت

صدمت من مغذى إتهامه: كنت إيه؟

قضت دقيقة كاملة تستوعب حديثه وما يقصده، أجابته بصوت هادر: نعم؟؟، قصدك إيه يا آدم .. أنت بتطعني ف شرفي

على صوته صائحا: والله اللي شايفه هو اللي يجاوبك يا ست هانم

لم تستطع ندى الإجابة فقد تركها وغادر الغرفة مسرعا بعدما أرتدى كامل ملبسه على عجل، جلست مستندة إلى مقدمة السرير، تبكي إتهاماته التي ليس لها أساسا من الصحة، لا تعلم ما

حدث .. كل ما تعرفه أنها لم تحب غيره ولم يمسك يدها سواه فكيف يتهمها في شئ كهذا ؟
.. في شرفها، كانت تظن أنه سيحميها ويصون عرضها تجده من يتهمها بإهداره؟؟

مرت عدة ساعات على ذهابه، استحمت وأدت فريضة الظهر فقد كانت تتابع الآذان عن طريق
تطبيق وضعته على هاتفها المحمول وذلك كان من ضمن استعدادها للسفر، عاد آدم ودخل
قائلا بدون مقدمات ودون النظر إلى وجهها: قومي إبسي عشان خارجين

أجابته دون النظر إليه هي الأخرى: مش عايزه أخرج

انفعل: أنا قولت هتخرجي يعني هتخرجي

نظرت له: على فين ؟

ردد بنبرة حادة حازمة: هنروح للدكتور عشان أفهم إيه اللي حصل

تعجبت من كلامها، سألته هامسة تُكذب ظنونها: وأروحله ليه ؟

أجابها مبعدا عينه عن الالتقاء بنظراتها الثاقبة: عشان أعرف دي حالة طبيعية من الحالات اللي
بتحصل عادي ولا فعلا خنتيني

اتكأت على مسند الأريكة فيما تنهض من فوقها، وجهت إليه نظرت كأنها قطعة من سجيل،
بغضب جم صرخت به: خنتك؟! ودكتور؟!، أنت من كل عقلك جاي تاخدني لدكتور يكشف
عليا ؟ مش مصدقني لما قولتلك إن أنت أول واحد ف حياتي ؟ إذا كنت حضرتك مش
مصدق ف دي مشكلتك وأنت حر فيها لكن أنا مش رايحه لدكاتره

أحس آدم ببعض الذنب فهو يشعر أنه يظلمها في حكمه، ثقته بها أكبر من ذلك لكن رجولته
ودمائه الصعيدية الجارية في عروقه تمنعه من فعل عكس ما ينويه الآن، أجابها بهدوء: ولو
حضرتك ما جتيش معايا دلوقتي عند الدكتور هاتأكد إنك خنتيني وخايفة تنكشفي

صمت قليلا تفكر في منطقية حديثه، إذا رفضت ستترسخ الظنون برأسه ويختلق حولها ما لد
وطاب من خيالات وسيناريوهات، وإذا قبلت أهانت نفسها وكسرت كبرياءها أكثر مما فعل
بشكه، أجابته أخيرا بهدوء ليس لتظهر أكثر ثقة بل لفقدانها القوة الكافية للإتيان برد فعل
أقوى: ماشي يا آدم، هأروح معاك

ارتاح آدم لقرارها فقد زاد شعوره ببراءتها أكثر، زفر مرتاحا، استدار كي يذهب لتبديل ملابسه
لكنه توقف عند سماعه كلماتها التالية التي كانت كخنجر مسنون غرس في صدره على حين
غفلة: بس لما الدكتور يقولك إن أنت أول واحد يا آدم هتطلقني وهترجعني لأهلي لأنني ما
اتشرفش بالعيشة مع واحد أتهمني ف شرفي وكمان .. ف ديني

انصرفت عنه ودخلت الحمام، اغلقت خلفها بابه لتفتح باب شلالات الدموع التي بدأت ولم
تتوقف حتى الآن.

ربتت فريدة على كتفها بيد ومدت لها محرمة باليد الأخرى: بس في أنواع من غشاء البكارة
بيكون من النوع المطاط يا ندى يعني مش بيتقطع ويفضل كدا، يعني الست تفضل متجوزة
سنين ومع ذلك كأنها بكر .. وفي ناس عشان ترتاح بتعمل عملية تفضيه بيها

زاد نحيب ندى مفسرة: ما هو المصيبة إن الدكتور قال له الغشاء بتاعي من النوع اللي بيتفض،
وإن فعلا كان ليا علاقة سابقة مع واحد

صعقت فريدة: إييه ! إزاي دا ؟

من وسط نحيبها وشهقاتها: مش عارفه .. مش عارفه .. أنا لحد دلوقتي مش عارفه حصل
إزاي وإمتى ومع مين .. أنا عمري ما شربت خمرة ولا مخدرات عشان مثلا أقول كنت مش ف
واعيي لما حصل دا .. ولا عمري خرجت مع حد مش مُحلل ليا .. حتى مصطفى أنتيم أكرم
عمري ما قعدت معاه لوحدنا كان بيبقى معانا حد
مدت لها كوبا من الماء: طب وحصل إيه بعد كدا ؟

عادت ندى بذكرتها بعد إعلان الطبيب دليل جُرمها وتأكيده أنها أقامت علاقة مع أحد قبلا،
كانت الصدمة متملكة من ندى؛ فلم تلاحظ خيبة الأمل التي شعر بها آدم ولا نظرته المنكسرة
التي حلت محلها أخرى غاضبة رمقها بها طوال طريق العودة إلى الفندق.

جلسوا في جناحهم صامتين كل منهما في أحد أقطاب الغرفة كأنهم إشارات متنافرة، لا ينبس
أيا منهما بكلمة واحدة، لم يحاول أحدهما قطع حاجز الصمت القائم؛ فماذا تقول ندى وهي
لا تستوعب ما قاله الطبيب، وماذا يقول آدم ليعبر عما يشعر به من غدر جاءه من الإنسانه
التي أحبها بشدة أكثر من أي شئ بهذا العالم، وكأن الهاتف لم يتحمل هذا الصمت أكثر
فكسره بصوته العالي معلنا عن وصل مكالمة لندی أفاقت ندى من شرودها ونظر آدم إليها

فيما تبحث عن هاتفها بين فتحات الحقيبة وتخرجه مجيبة، مسحت بعض العبرات التي نزلت رغما عنها، أجابت بهدوء: أيوه يا ماما

انتفضت من مكانها فزعة وهي تصرخ: إيه؟ إنتي بتقولي إيه؟! إزاي دا حصل؟ .. طيب طيب .. خلاص أنا جايه

أغلقت الخط فلم يستطع آدم منع نفسه عن سؤالها: في إيه؟

نظرت له والدموع تتجمع في مقلايتها: بابا جاتله أزمة تاني ونقلوه المستشفى .. لازم أسافر دلوقتي

لما يستطع منع نفسه فبرغم كل شئ مازالت ندى قلبه فاقرب منها وهو يضمها إلى صدره، شدت عليه أكثر متمسكة بقربه منها كأنها تخاف أن يختفي أو يذهب بعيدا: أكيد طبعا هننزل حالا .. بس أهدي

تركها ليحجز على أول طائرة إلى القاهرة ولحسن الحظ يوجد مقاعد فارغة على الطائرة المنطلقة بعد ثلاث ساعات، استعدوا وانطلقوا إلى القاهرة.

ما إن وصلوا حتى ركضت ندى مسرعة إلى والدتها تضمها في محاولة لتطمئنها وتطمئن في ذات الوقت.

خرج والدها من المستشفى وعاد إلى منزله بصحبة الجميع، أقنعت زوجته بضرورة الذهاب إلى غرفته كي يرتاح وصعدت معه تاركة أكرم وأحمد مع ندى وزوجها.

أحمد: ندى ياريت تقعدى إنتي وآدم هنا .. البيت كبير وهيكفينا كلنا

رفعت رأسها المنكس متعجبة: ليه؟

أوضح أكرم: علشان أبوكي وأمك .. مين هيخلي باله منهم؟

أحمد: أنا الشركة ورايا ومشغول فيها على طول

أكرم: وأنا خلاص بأنهي ف الماجستير ماينفعلش أقف دلوقتي دي مناقشتها كمان شهرين

تدخل آدم: خلاص ما تحملوش هم أنا وندى هنفضل هنا .. صح يا ندى؟

نظرت له مستغربة قراره لكنها أيدته: أه أه طبعاً

بعد أن أصبحوا تحت سقف غرفة واحدة، استدارت إليه: أنت ليه قوتل إنا قاعدين؟

أجابها آدم بهدوء بينما أتجه إلى حقيبته يرفعها فوق الفراش حتى يخرج ملابسه ويبدل ما

يرتديه إلى شيء أكثر راحة: عشان ما يصحش تسيبي أهلك ف الظروف دي

جلست على مقعد طاولة الزينة نظرها متعلق بجانب وجهه المواجه لها: طب ما أنا هأقعد

معاهم بردو بعد الطلاق .. ما طلقتنيش ليه وقعدت هنا معايا

أصابت جسده رعشة لكنه تمالك نفسه وحدثها ببرود أتقن ممارسته لسنوات عد لاحقة:

تطلقي بعد جوازك بأسبوعين؟ .. بابكي لو سمع أصلاً إن في بيني وبينك زعل الله أعلم

هيحصله إيه .. نسيتي كلام الدكتور إنه مش لازم يسمع خبر يضايقه؟

نظرت له بتمعن، ترغب في الوصول إلى ما يثلج قلبها: وأنت يهملك بابا أوي كدا؟

نظر لها آدم مستغربا سؤالها: أكيد طبعا .. بالرغم م اللي عملتيه فيا بس ف الآخر الراجل ما غلطش ف حقي ف حاجه

زفرت: بردو مُصر إني خنتك؟

ثارت أعصابه من جديد لتذكره تصريح الطبيب، نهرها غاضبا: مالوش لازمه الكلام، إحنا هنفضل عايشين سوا لحد ما أخوكي ياخذ الماجستير عشان ما نشغلوش بمشاكلنا .. وكمان لما باباكي يخف .. بعدها كل واحد يروح لحاله .. أنا تعبان وعايز أنا، أعتقد السرير واسع يقضييني أنا وإنتي وكل واحد ف جنب .. تصبحي على خير

تركها ونام على أحد جانبي الفراش مديرا ظهره إليها، نامت على الطرف الآخر تحاول أن تكتم دموعها وتستسلم للنوم.

استيقظ آدم من نومه الذي استغرق فيه كأنه لم ينام بهذه الراحة منذ أعوام وشعر برائحة زكية يعرفها تزكم أنفه فتح عينيه ليرى ندى نائمة بين ذراعيه ومطوقة إياه من خصره وقد اسندت رأسها إلى قفصه الصدري، تأمل وجهها .. كانت تشبه الملائكة لكنه تذكر خيانتها له، نهض بسرعة مكتشفا أنه من تسلل للطرف الخاص بها يبحث عن دفئها، استدار متجها إلى الحمام كي يضع رأسه أسفل صنوبر المياه عله يفيق من سُكر عشقها.

تمالكت فريدة نفسها: غيرة إيه إنتي الثانية؟؟

- ههههههه ع العموم يا ستي ولا حكاية ولا رواية .. كل الموضوع إن أنا كنت على طول مع أخته الصغيرة وكنا شبه بعض ف حاجات كتير .. ولما حصلت الحادثة اللي ماتت فيها أخته مع باباه ومامته اعتبرني تعويض عنها وبقي يشوفني زيها بالظبط

تفهمت الوضع بينهما: ااه .. بس، هو آدم يعرف الكلام دا؟

- آدم؟ .. آدم كل ما يسمع اسم مصطفى قدامه يتعصب ويفضل يزعق ولما أحاول أحكيه يادوب أقوله "أصل مصطفى ... " ومن قبل ما اكمل يقولي "يوووو مصطفى مصطفى ربنا يخليهولك" ويسبني ويمشي، وأنا ما بقتش أحط ف دماغي بقي

نصحتها: بس خلي بالك آدم بيغير عليك من مصطفى

أشارت إلى فؤادها بإبهامها: لو يدخل قلبي مش هيلاقى غيره .. قلبي بيدق باسمه على طول ومش حاسس .. عامل بينه وبينى حاجز .. كل لما أحاول أهده يرجع بينيه من تاني

اسندت قبضتها إلى وجنتيها: هياح .. فينك يا عم آدم تسمعلك الكلمتين الحلوين دول

- ههههههههههه المهم الدكتور جه وكشف عليا وطلعت ...

قاطعتها صارخة: حااامل

حدقت بها مندهشة: وإنتي عرفتي منين يا مصيبة؟

تراجعت في جلستها ووضعت ساقا فوق الأخرى منتشية: من الأفلام، مش بتدوخي وبترجعي
ونفسك مش راичه للخروف .. يبقى أكيد حامل .. أومال عندك زكام؟؟

أكملت ندى ضاحكة: ماشي يا فكیکه .. كان نفسي تشوفي صدمة آدم ولما الدكتور نقلني
المستشفى عشان يتأكد إن كله تمام وعرف إن عمر الطفل شهرين .. يعني حملت من ليلة
الدخلة فما يقدرش يقول إنه مش ابنه

ضربت كفا بكف: يا واد يا قوي، من أول ليلة؟ ما شاء الله دا إنتي ما صدقتي بقي ههههههه
ضربتها بقوة قبضتها على كتفها: ما تتلمي يا بت .. دا جوزي بردو
- ههههههه ماشي يا جوزك .. كملي

شردت متذكرة كيف كانت فرحته عند علمه بحملها من قبل أن يخبرهم الطبيب أن عمر
الجنين شهرين فقط، معنى ذلك أنه ليس لديه شك وأن شكه بها كان مجرد أمر طارئ خلال
لحظة عابرة ذهبت لحالها، قررت أن تبدأ معه من جديد هي وهو وطفلها فقط. حياة سعيدة
مكتملة في نظرها فيكفيها حبيبها وشريك عمرها، وأيضا هدية الله لهما (طفل) يقربهما أكثر
لبعضهما.

عندما عادوا إلى المنزل وانفردت مع زوجها في غرفتهما أخبرته عن أمانيتها لكن رد فعله
صدمها، قال آدم بحزم: ندى مافيش حاجة بينا هتتغير

بعدم فهم: يعني إيه .. مش فاهمة؟

تنهد: يعني علاقتي أنا وإنتي هتفضل زي ما هي .. الفرق إننا مش هنطلق

لوت فمها ساخرة: وجاي على نفسك أوي كدا ليه .. ما تطلقني وتخلص

نظر إليها آدم نظرة ثاقبة: لو هتديني ابني وهيفضل معايا وتتنازلي عن حضانتة؛ أنا ما عنديش

مانع أطلقك .. من دلوقتي حتى

نظرت له مصعوقة: وأنت فكرك إني ممكن أسيب ابني؟!، دا بعينك

أوما متفهما: عشان كدا بأقولك هنفضل زي ما إحنا وابننا، بينا أنا وإنتي وتحت نظرنا من غير

ما حد فينا يتحرم منه

حدقت به غير مصدقة، هل هذا من توقعت أنه سيحلق في أعالي السماوات من سعادته بقرارها

في العودة كما كانوا .. كرامتها أبت عليها أن تتحدث أو تذلل نفسها أكثر، قررت أنها لن

تحاول استعطافه أو إعادته إلى حبها؛ فإن كان يحبها حقا سيعود وحده وإن لم يكن فهذا قراره

وستتحمله ولو ... مجبرة.

ختمت الحديث: ومن ساعتها لحد دلوقتي وإحنا على الحال دا بس بعد ولادتي بكام شهر

جاله شغل ف أمريكا، سافرنا وماما وبابا جم وانا عشان أتعلقوا بسيف أوي .. وكدا كدا أكرم

وأحمد كل واحد مشغول بحياته

تعجبت فريدة: يعني عمر ما حصل بينكوا حاجه أو قريتوا من بعض من ساعتها خالص؟

زفرت بقوة: خالص بنام ف نفس الأوضة .. على نفس السرير وضهر كل واحد فينا للتاني .. بس آخر فترة حسيت أنه فاض بيا .. بقيت أدخل معاد النوم معاه الأوضة ينام وأنا أصلي وقرأ قرآن بعدين أروح أنام شويه جنب سيف ف أوضته .. دا لو جالي نوم يعني، وبعد ما أصلي الفجر مع سيف أرجع أنام أنا وهو جنب بعض

- هو سيف بيصلي؟ وكمان الفجر؟

ضحكت لدهشتها: أه يا ستي، ولو يوم صليت من غيره أو ما صحيش معايا يبقى يوم مش فإيت

هتفت بسعادة: أربع سنين وكدا؟، بجد ما شاء الله تربية ولا أحسن، ربنا هيكرمك ما تقلقيش بسبب سيف دا

- آمين يا رب العالمين

عادت للموضوع الأصلي: ولسه لحد دلوقتي مش عارفه إيه اللي حصل؟

فهمت مقصدها: والله أنا هتجنن يا فريدة، عقلي هيطير مني .. مش فاكرة أي حاجة توصلني للي حصل

قاطعهم صوت سيف وهو يركض بإتجاههم صارخا فيما مرام تتبعه على مهل: مامي مامي

هتفت مرام فيهما بحنق: بقى الواد مقطوع نفسه مامي مامي، وأنتوا قاعدين ترغوا هنا؟

فريدة: ححك على راسنا يا ست مرام

هزت مرام رأسها بتكبر مازح: تقبلته تقبلته

ضمت صغيرها: وحشتك أوي كدا يا سيف؟

سيف متشبثا بها: طبعاً يا مامي .. إنتي حبيبتي

تقدم منهم آدم بعد أن أنهى قراءة أحدث المقالات في المجال الطبي: يا سلام يا سلام الحب

ولع ف الدرا .. وأنا ماليش كلمة حلوة يا سي سيف ؟

نظرت ندى إليه متسائلة: أومال فين أكرم ؟

هز كتفيه جهلاً: مش عارف، أخده مصطفى وخرجوا ولما سألتهم قالوا وراهم مشوار .. قال

في حرامي عايزين يمسكوه باين

انتفضت فريدة بفرع: ربنا يستر ما يودوش نفسهم ف داهيه

أصاب مرام أيضاً الرعب كشقيقتها: ربنا يحفظهم

ندى بعدم فهم: هو في إيه ؟

نظرت إليها فريدة: هأحكليك بس الأول نروح ناكل لأحسن العشا خلاص قرب وأنا هفتانه

بعيد عنك

ابتسم آدم: القاعدة قدام البحر بتجوع

ابتسمت فريدة ناظرة إلى ندى: والقاعدة مع مراتك بتجوع أكثر .. يلا بينا

أمام مكتب الاستقبال داخل فندق قابلوا باريهان، كانت واقفة تنتظر مفتاح غرفتها لمحتهم

فتوجهت لندى بابتسامة منافقة: إزيك يا نادو عامله إيه ؟

كانت ندى تعلم حقيقة مشاعرها وأن لطفها المصطنع من أجل كسب شقيقها ليس حبا فيها:

الحمدلله يا باريهان إزيك إنتي؟

هزت باريهان رأسها ناشرة خصلاتها الناعمة في هالة جميلة حولها: نو نو، إحنا مش إتفنا

تقوليلي باري بس وأنا أقولك نادو؟

حدثت مرام نفسها سرا: يا شيخة إتلهي وإنتي عاملة زي الخلة اللي راشق فيها زتونة كدا

ندى بملل: معلش نسيت يا باري

غمزتها باريهان: أيوه كدا .. أومال فين أكرم ؟ ماشوفتوش

أجابتها: خرج مع مصطفى ف مشوار

نظرت لمرام نظرة جانبية حتى تتأكد من سماعها للحوار: أها، أصله قالي إنه هيخرجني بالليل

.. ع العموم أنا هأطلع أرتاح لحد ما يجي .. تشاوو

غادرت باريهان دون أن يرد سلامها أحد، صرح سيف مقطبا ببراءة: أنا مش بأحب دي يا

مامي

أشار بأصبعه الصغير إلى ظهر باريهان، سعدت مرام بقوله فانحنت إلى مستواه وأمسكت ذقنه ثم طبعت قبلة طويلة على خده الممتلئ: حبيبي أنت يا سيفو، أبقى قول لخالك الكلام دا بقى

لكزتها فريدة في ذراعها وعينيها ترسل إليها حمما تذكرها بما أتفقتا عليه، لاحظت ندى الحركات الجانبية مما جعلها تعلق: هههه إنتي بتحبيه ولا إيه يا مرومه ؟

خجلت مرام وتأتأت في الرد: أنا؟ أند... ا.. ا

ضحكت ندى من إرتباكها: خلاص خلاص، أنا فهمت أصلا من ا ا ا دي

جذب سيف طرف ثوب فريدة حتى تنتبه إليه: إنتي اسمك إيه؟

انخفضت إلى مستواه حتى تجيبه لكن سبقها صوت تعرفه جعل خفقات قلبها تزداد: فريدة

سيف مفكرا كأنه يتذوقه: حلو

نظر مصطفى إلى فريدة معلقا: أنا بأقول كدا بردو

تساءل أكرم: واقفين بتعملوا إيه هنا؟

أجابته شقيقته: كنا هندخل نتعشى دلوقتي

دمدمت مرام محدثة سيف: بأقولك يا سيف ما تشوفلنا اسم دلع لفريدة أحسن مش لاقينلها

حاجه خالص

وضع سيف أطراف أصابعه فوق ذقنه وذم شفثيه مفكرا: إمممم

داعب خصلات شعر صغيره قائلا بمزاح: بتقولك اسم دلع مش اخترع الذرة يا دكتور سيف

قطب سيف: ما أنا بأفكر أهو

مصطفى: طب فكر يا ابن الدكتور

آدم بمزاح: ماله ابن الدكتور يا ضغوف

عض مصطفى بطانة شفثيه: هي وصلتك أنت كمان؟ شكلي كدا هأتعشى بأكرم إنهارده

ضحك أكرم: وأنا مالي، أنت اللي وشك بيقول إنك ضغوف .. مش ذنبي

قاطعهم سيف صارخا بفرح: لاقيتها .. هأقولك يا ديدو

قهقه مصطفى: ديدو؟ .. ديدو على وزن حديدو

ظهر تعبير مشمئز على وجه ندى: تصدق إن دمك ثقيل أوي

آدم ناظرا لندى بانتصار: قولت كدا ماحدث صدقني

سيف غاضبا من مصطفى ورفع أصبعه أمامه: ما تتريش على اسم ديدو

أدعى مصطفى الجدية بينما يؤدي تعظيم الضباط قائلا: تمام يا فندم

ثم نظر إلى فريدة مكملا: أنت تأمر يا قمر

لاحظ أكرم نظرات فريدة النارية لمصطفى: أنا بأقول ندخل نتعشى، بدل ما في حد كدا عارف نفسه نلاقه سايح ف دمه

تحسست ندى معدتها: يلا أحسن أنا وفريدة هنموت من الجوع

سيف معدلا بحنق: ديده

ضحكت أمه: خلاص سمتها ديده؟ .. ديده ديده يا سيدي ولا تزعل

أنضمت هند إليهم على طاولة الطعام، انشغل كل فرد منهم في تناول وجبته، لقد كان يوما طويلا مجهدا على أغلبهم، سألت فريدة بقلق: لاقيتوه؟

لكت ندى لقمة صغيرة في فمها: أه صحيح عملتوا إيه؟

استغرب أكرم: وإنتي عرفتي مينين؟

ندى: فريدة حكلي الحكاية وإحنا جاين ع الفندق

توقف مصطفى عن تناول طعامه وهدق في فريدة يحاول أن يستشف سبب قلقها، هل كان عليه هو أم على ذاك المحتال؟

أجاب مصطفى بجدية مترقبا رد فعلها: مالاقينالوش أثر

زفرت بينما ارتخت كتفيها كأن حملا ثقيلًا قد سقط من فوقها: الحمدلله

لاحظها مصطفى، فهتف بغضب: شكلك تعرفي مكانه ومخبية علينا؛ عشان ما نمسكش

حبيب القلب

رفعت رأسها وأطلقت صوبه نظرات نارية: عن إذنكوا .. هأطلع أصلي العشا عشان ما يروحش

عليا

غادرتهم فريدة ولحقت بها هند متججة بنفس عذر شقيقتها، نقل سيف بصره بين وجههم على

التوالي قبل أن يستفسر ببراءة شديدة: هي ديده زعلت ليه؟

رفعه آدم فوق قدميه: ما زعلتش ولا حاجه هي بس راحت تصلي .. تيجي نروح نصلي إحنا

كمان؟

سيف بفرحة: يلا

انطلق آدم بصحبة سيف مبعدا إياه عن التوتر؛ لأنه حساس ولديه من التوتر الذي يراه بين

والديه ما يكفي ويفيض، وجهت ندى حديثها إلى مصطفى حالما تأكدت من إبتعاد زوجها

وطفلها: ماكانش له لازمه الكلام دا يا مصطفى

التفت إليها بعصبية زائدة: يعني ما شوفتيش فرحت إزاي لما عرفت إننا ما لاقنهوش؟؟

حاولت توضيح موقف فريدة: عشان خافت هي ومرام إنكوا تلاقوه تعملوا فيه حاجه وتروح

أنتوا ف داهيه .. يعني خافوا عليكوا أنتوا .. مش عليه

نظر أكرم إلى مرام يتأكد من صحة كلام شقيقتها: خوفتي عليا يا مرام؟

حاولت الثبات أمام نبرته الحانية: باريهان سألت عليك .. ياريت تبقى تشوف خطيبتك كانت عايزاك ف إيه

نهضت منصرفه وتركت نظرات أكرم تلاحقها، لقد أَلقت تلك الكلمات عمدا حتى تذكره بأنه ليس خالِ الوفاض كما يظن، هناك أخرى بحياته وطالما هي موجودة فلن تعبر عن مشاعرها أبداً.

ندى لأخيها: معاها حق يا أكرم، ياريت قبل ما تفكر ف مرام .. تقفل كل حاجه قديمة الأول - ماما وبابا فين؟ مش هيتعشوا؟

مستسلمة لتغيير دفة الحديث أجابته: لا اتعشوا ف أوضتهم؛ بابا مشي كثير إنهارده ع البحر لحد ما تعب وقرر يستريح .. وماما معاها طبعاً

عاد أكرم للتركيز على صحنه دون أن يعقل أي كلمة من إجابة شقيقته على سؤال، فقط ردد ببلاهة: طيب

شرد مصطفى في سعادته الخاصة لمعرفته بمدى خوف فريدة عليه، لقد كان غاضبا حين أتى على ذهنه أنها تحب هشام، لكنه تأكد الآن من حبها له وحده .. وبدأ يفكر في طريقة ملائمة لمراضتها دون أن يفسد الأمور معها أكثر من ذلك، فلقد تعب من كثرة الخلاف بينهما.

هاتف أحمد والديه يخبرهم عن موعد وصوله، طلب منهم أن يكون الجميع دون استثناء واقفين في بهو الفندق لاستقباله، تعجب والديه لهذا الطلب ولكن لم يملك أيا منهم حق الاعتراض.

وقف الجميع بانتظاره والحيرة على وجوههم، فإذا خص إخوته استقباله فما شأن أشقاء سكرتيرته، أتضح الأمر كاملا عندما وصل برفقة شخصين طال غيابهما.

هتفت إيمان حالما رأت بناتها الثلاث واقفات أمامها محاولة كبت شهقات دموعها: وحشتوني يا بنات

أسرعت الفتيات للإرتواء في حضن أمهن دون أي تردد أو لحظة تفكير، مجرد رؤيتهن لها أمامهن سالمة معافاة أنساهم إختفاءها عن محور أحداث حياتهم لثلاث سنوات، حتى مرام ركضت لأمها بسعادة، مشتاقة لحنانها وحضنها الدافئ؛ فبالرغم من حنان فريدة عليها لكنها في النهاية (أختها)، أما المرأة التي تبلغ من العمر ما يتعدى الخمسين عاما هي من ولدتها ولا يعوض عن حنانها مخلوق.

انخرط الجميع في البكاء، حتى ندى و صابرين بكوا لبكائهم، أشفق آدم على حال زوجته فمد يده يجذبها إلى صدره كما فعل ياسين مع زوجته، تمسكت به ندى بقوة مما جعله يزفر مرتاحا؛ فقد خشي أن تدفعه وتصدده.

ظل سيف ينقل بصره بين من حوله، ينتقل من وجه باكٍ إلى آخر على وشك البكاء وتجمعت
الدموع بحدقتيه: هو في إيه؟!

حملة أكرم بينما قال له مصطفى محاولاً إنهاء حالة التراجيديا التي ملأت المكان: في محشي
تأكل ولا تحشي؟

خرجت ضحكة من بين الأدمع، أخرج أحمد علبة قطيفة حمراء اللون، لمس الأرض بإحدى
ركبتيه فيما الأخرى تقف في مواجهة صدره، فتح العلبة أمام هند المصدومة من فعلته ولا تجدي
لها مبرراً يُعقل: تتجوزيني؟

فغر الجميع فمه دهشة، لقد قرر أحمد أخيراً الزواج لكن ليس بالطريقة التقليدية بل راعها
أمامها يترجى موافقتها أمام من يعرفونه ومن يجهلونه.

وضع عبدالرحمن كفه على كتف صهره المستقبلي: إحنا ما أتفقناش على كدا يا ابني

لم يحرك عينيه عنها: ما أنا عايز أعرف ردها عشان أتقدم لها بقلب جامد

ابتسمت إيمان بحنان، رُزقت ابنتها بزواج كأحمد: خلاص سيبه يا عبد الرحمن

ترجع الأب مستسلاً: طيب لما نشوف آخرتها

حثها أحمد على الإجابة: ها؟ ما رديش ليه؟ مش موافقة؟

تقدمت فريدة من شقيقتها تقف إلى جوارها تعطيها الدعم الكافي وتوقظها من أحلام يقظتها،
لكزتها في ذراعها قائلة بمرح: مش موافقة إزاي؟ دي هتموت من الفرحة ولا إيه يا عروسة؟

ضحكت ندى على رد فعل صديقة طفولتها: إنتي متنحة كدا ليه يا هند؟ أول مرة أشوف
عروسة بتنح كدا

ابتسمت صابرين: الصدمة بتعمل أكثر من كدا

وقفت مرام على الجانب الآخر من شقيقتها العروس: لا كدا كثير .. يا بت فوقي

اتسعت ابتسامة فريدة الماكرة: أنا هأفوقها دلوقتي

اتجهت إلى أحمد، قالت بوله مصطنع: أنا بأقول الخاتم دا عليا يبقى شكله أحلى .. ولا إيه؟

أفاقت من غيبوبتها صارخة: لا !

انفجر الجميع ضاحكا، تركت ندى جانب زوجها ووقفت خلف فريدة تمسك كتفيها محيية: أه

يا لئيمة عرفتي تفوقيا

استقامت في وقفها تعدل من وضع ربطة عنق وهمية: إحم إحم .. تربيتي بقي ههههه

عاد أحمد يُصر على سماع إجابتها: يا هند موافقة ولا إيه؟ .. أنا ركبي نملت

صاح به مصطفى: ما تجمد يا ض شويه

أضاف أكرم: عرتنا يا أخي

مرام: قصدك قتلت الرومانسية يا أخي

همست هند أخيرا بنجل وهمهمة بالكاد استطاع سماعها: موافقة

لم يصدق ما سمعته أذناه فحثها على تكرار موافقتها: إيه؟

اسندت فريدة خدها إلى قبضتها الصغير متتهدة: هياح بولوبيف

كان كل من مر بهم يتوقف كي يرى رد فعل العروس، تعالى التصفيق والصفير في المكان تحية للعريس ومباركة له على فوزه بحوريته.

جلسوا في استراحة وعقد الإتفاق على أن يتقدم أحمد لها فور وصلهم القاهرة على حسب العادات المتعارف عليها، تعجبت من عدم إتمامها العمل الذي أتت بسببه؛ فقد حجز لهم أحمد على أول طائرة متجهة إلى القاهرة وهي بعد عدة ساعات حتى يتموا الاستعدادات قبل وصوله مع أهله لطلبها رسميا.

ابتسم أحمد موضحا: أصلي جيت الصبح بدري وخلصت كل شغلي معاه ف بورسعيد، بعدين جيت على هنا مع أهلك بس فاضل حاجات بسيطة هأخلصها وبعدين أحصلكم تعجبت والدته من استعجاله الأمور: وليه السرعة دي يا ابني؟

أجابها معلقا نظره بهند الخجلى: أنا ضيعت وقت كثير ومش مستعد أضيع أكثر

خجلت أكثر من نظراته المدققة بها تلك النظرات الرمادية التي عشقها وعشقت صاحبها.

سألت مرام والدتها: بس يا ماما إنتي مش قولتي مش هتتعرفوا تنزلوا السنة دي كمان ؟

ربت عبدالرحمن علي كتف أحمد باسمنا بإمتنان: أحمد كتر خيره بعد ما أصر إني أنزل معاه
مصر قولتله على صاحب الشركة ومنعه عني الأجازات ونزول مصر وإلا هيطالبني بالشرط
الجزائي اللي ف العقد، بس الصدف إن أحمد يكون بينه وبين الشركة دي عقد والشرط
الجزائي فيها كبير، هددته لو ما سمحليش أنزل إنه هيلغي العقد ويخليه يدفع الشرط الجزائي
اللي أصلا أكبر بكثير من الشرط اللي حطتهولي

ضاقت نظرات ياسين فوق ابنه: بس المفروض كان أنت اللي تخاف يا أحمد؛ عشان أنت
اللي هتلغي ف يبقى أنت اللي هتدفع

ارتفع جانب أحد شفثيه بثقة: لا، ما هو الراجل علشان بيخسر فقبل بأي عقد وخلاص، وأنا
كنت حاطط فيه شرط لو أي حد فينا لغى العقد هو ف الحاليتين اللي هيدفع لإن الشركة
بتاعته كانت بتوقع وأنا خوفت على شغلي بردو

دعت صابرين بأسى: ربنا يفك زنقة كل محتاج

آمنت إيمان خلفها، التفت عبدالرحمن إلى والد أحمد مباركا له فيه: ربنا يحفظ لك ابنك ..
نعم التربية ونعم الرجولة

اتسعت ابتسامة ياسين فخرا بولده: ويخليك بناتك، نعم الأخلاق والدين والتربية

انسحبت الشقيقات ليجمعن أغراضهن قبل موعد إقلاع الطائرة فيما جلس البقية يديرون الحديث بينهم مستغلين الفرصة التي أتاحت أمامهم للتعرف على العائلة المقابلة التي سيرتبط اسمها باسم الأخرى.



الفصل الثالث عشر

كان سكان الحي الذي تقطنهن الفتيات الثلاث يعرفوهن جيداً، كانوا يهتمون بهم عن بعد ولا يسمحون لأحد أن يتحدث عنهن بالشر أبداً؛ فقد تربيهن على أيديهم ويتيقنون حسن أخلاقهم وزينة تربيتهم، فبالرغم من سفر الأب إلى الخارج ولاحق الأم به بعدها إلا أن الفتيات لم تصدر عن إحداهن أي عمل مشين أو تصرف غير لائق.

كن على العكس؛ يساعدن من يحتاج المساعدة .. كانت مرام تذهب لتلك السيدة المسنة (زنوبه)، القاطنة في أول الحي، تجلس معها وتسليها بمزاحها .. تقرأ لها الرسائل التي كانت تأتيها من ابنها المسافر لإكمال تعليمه ومن ثم تزوج واستقر هناك دون التفكير في الأم الوحيدة التي خلفها خلفه، رأت مرام حزن السيدة المكرومة على إنقطاع حتى الرسائل من ابنها المنشغل بحياته الجديدة، نسي التي حملت به تسعة أشهر وحملته وهنا على وهن وفصاله في عامين، قلقت الأم أن يكون أصاب ابنها مكروه، فكرت مرام في كنه المكروه الذي يُصيب شخص أكبر من العقوق الذي يعتبر ثانٍ الكبائر بعد الشرك بالله مباشرة، وجدت حلاً تخفف به عن زنوبه حزنها، فكانت تكتب الرسائل وترسلها لها على إنها من ولدها، لم تكن تعلم أن زنوبه تفهم حيلتها تلك فهي كانت تشم رائحة ابنها في الرسائل وتشعر بها بقلبه، هي أمية القراءة وليست أمية القلب، لم تخبر مرام بمعرفتها فقد كانت تستمتع بحب مرام لها وخوفها عليها وعلى حزنها، تداوم على حمد الله لأنه عوضها بتلك الفتاة بعد تخلي ولدها عنها.

هند، الفتاة التي تحب الأطفال والتعليم حبا جما، كانت تحلم أن تكون معلمة في صغرها ولكن ما إن شبت حتى تغيرت أحلامها مثل كثير من الفتيات فتحول حلمها أن تصبح سيدة أعمال مرموقة، ليس فقط لتثبت وجود المرأة ودورها في المجتمع لكن أيضا لتثبت أنها بالرغم من كونها متمسكة بدينها وملابسها المحتشمة ومعاملتها للجنس الآخر فقط في حدود العمل وما يسمح به ربها ستكون ناجحة بل وأكثر من أي امرأة أخرى؛ لأنها نالت نجاح الدنيا بعد نجاح الآخرة.

بدأت تحقق حلم طفولتها بتعليم أولئك الصغار الذين لا يملكون ما يكفيهم من أموال للذهاب إلى المدرسة، فكانت تجتمع بهم مرتين في الأسبوع في المنزل المهجور بنهاية الشارع الذي تقطنه مُعيدة له الحياة بفضل هؤلاء الأطفال الذين تفتتح عقولهم على يديها، كان ملك أحد الساكنين بالحي وتركه تعلم فيه الأطفال وكانت الفترة التي يتعلمون فيها لا تخلو من اللعب وخصوصا عند قدوم مرام، ولا من ذكر الله وحفظ آياته مع فريدة، فما لم ينكره أحد أن الحياة عادت للمنزل المهجور ليس فقط لوجود الأطفال ولكن لرضى الله عما يحدث داخله ولإن الملائكة تحيط المكان فرحة لفرحة الأطفال، أطفال راغبين في التعلم لكن لم يجدوا فرصة وما إن وجدوا أيدي مرام وفريدة وهند وصاحب المنزل تمتد لهم حتى تمسكوا بها كأنها طوق النجاة، نجاة من الجهل.

إنما هل يخلو أي عمل في هذه الحياة من المصاعب؟، لا، فالدنيا إذا خلت من المصاعب أصبحت نعيما وجنة، كيف لا يقف أمامهم مصاعب خصوصا أنه عمل خيري بحت .. فقد

حاولت الشرطة القبض على الفتيات وذلك الرجل الفاضل الذي وهبهم منزله، بحجة أنهم لا يملكون ترخيص لتعليم الأطفال وعليهم الذهاب معهم إلى قسم الشرطة للتحقيق.

وقف جميع السكان ضد الشرطي ومن معه مانعين إياه من أن يقوم بهذا الفعل الداني، فكيف يكون مقابل الخير .. الشر ومقابل الحسنة .. السيئة، ظلوا يوضحون له ما حدث حتى أقتنع برأيهم وتركهم بل أيضا ساعدهم في استخراج الرخصة المطلوبة، أجمع الحي فرحين فلقد أصبح لدى أبنائهم مدرسة يتعلمون فيها دون أن يقف بوجههم أحد، وكل من كان لديه طفل في سن دخول المدرسة ذهب لتلك المدرسة دليلا على مساندته لهم وتأييده لفكرتهم.

بدأت هند كل هذا وكانت صاحبة الفكرة الأساسية؛ فأصبح لها مكانة خاصة في قلوب كل من بالحي من صغيرهم إلى كبيرهم الذي تمنى أن يكون على زمنه من هم مثلها لعله وجد تلك الفرصة ليغير حياته بالعلم، تركت المدرسة لأنها وجدت نفسها لا تقارن بأولئك المتعلمين الذين يعرفون أنسب طريقة لمعاملة الأولاد فقد اعتبرت المدرسة مدرسة حكومية وبدأت الدولة ترسل إليها معلمين مختصين في جميع المجالات كما انشغلت بدراساتها وكليتها تبغى النجاح بها.

أما فريدة الفتاة التي لا تختلف عن شقيقتها بل بالعكس هي من علمتهم كيف يعطون دون مقابل؛ كانت تقول لهم دائما "طوبي للذين يعطون بدون التذكر .. يأخذوا دون أن ينسوا"، فعلى الرغم من أنها التحقت بكلية الطب البيطري إلا أنها لم تبخل بعلمها على الآخرين.

الفقير الذي يعيش على نقل الحمل بعربته "الكارو" يحتاج بشدة لحماره المتهالك، فكان كلما شعر أن حماره على وشك الهلاك يركض مسرعا إليها لتراه وتداويه من مالها الخاص وتهتم به، والمطلقة التي لديها خمسة أطفال تعتاش على تربية الطيور من حمام ودجاج وأوز وبط؛ لتجد ما يسد قوت صغارها بعد هجر زوجها لها ولهم فما إن تمرض واحدة من الطيور تطلب مساعدتها فبالنسبة لها طائر واحد يُحيي أطفالها جميعهم، وعندما تكون حالة الطائر ميئوس من شفائها .. تخبرها بوجوب بقاءه معها اليوم وستحضره في الغد، تحاول معه لكن شدة ضعفه أو مرضه يموت أحياناً، تسرع إلى البائع تحضر طائراً يشبهه وتذهب به إلى السيدة وتخبرها أنه أصبح بخير، تدعو لها السيدة بالصحة وان يعوضها بما يسعدها ويرزقها الجنة ... وغيرهم من حالات كانت تعلم قيمتها وأن علمها مفيد لهم فكان يكتفيها اعتراف هؤلاء بدورها والغبطة التي شعرت بها عندما سمعت أحد أطفال تلك المرأة عندما أخبرها أنه يريد أن يصبح طبيباً للحيوانات مثلها .. هنا تتيقن أنها انتصرت لمجالها.

هذه كانت إحدى أسباب حب أهل الحي للفتيات، وعندما علموا بأن هناك من يتقدم لطلب إحدىهن هللوا لها ودعوا لها بالخير وتمام الأمور، لما وصل العريس وأهله رأوا الأضواء تنير الحي، وخرج الرجال من دكاكينهم ليروا الشاب الذي سيخطف إحدى أجمل زهور الحي والتي كان يعتبرها كل منهم ابنته.

صعد العريس مع أهله وسط التهليل والزغاريط، جلسوا مع أهل العروس حتى تم الإتفاق على كافة الأمور المتعلقة بالزواج.

تم تحديد ميعاد عقد القران بعدها بأسبوع فهما يعرفان بعضهما جيدا بحكم العمل ولا حاجة إلى خطبة لزيادة التعارف، كذلك رغبة أحمد في وصول هند إلى منزله في أقرب وقت.

استدار أحمد إلى حميه: أنا بأقول يا عمي إن الدخلة تبقى بعد كتب الكتاب بشهر

انتفضت إيمان فرعة: شهر؟!؟

تساءل أحمد ببراءة: إيه؟ كثير؟

ضحك ياسين على جهل ابنه وصحح له: لا قليل يا ابني

استهجن: قليل؟! .. دا أنا كنت ناوي على كتب كتاب ودخلة بعد أسبوع على طول

غرقت مرام في نوبة من الضحك بصوت خفيض حاولت كتمها بينما تقف برفقة شقيقتها خلف

الستار يتابعون إجراءات الزواج وإتفاق الأهل: وجاي على نفسك كدا ليه

ضربتها فريدة على كتفها تحثها على الصمت حتى يستطيعون متابعة الحوار بينما سقط قلب

هند في قدميها تخشى أن يُلغي والدها كل شيء على حين غرة.

اتسعت ابتسامة ياسين: الواد مستعجل أوي ع الجواز ما شاء الله

زمت إيمان شفيتها: بس كدا مش همدحق نجهز حاجه

أسرع أحمد يُحل أزمتهم: انا مش عايزكوا تجهزوها .. لما نتجوز كل اللي نفسها فيه تجيبه

استنكر عبدالرحمن قوله بشدة فكأنه طعنه في مقدرته كأب في تلبية احتياجات بناته: ولو يا

ابني ما يصحش! الأصول أصول

نادت صابرين على العروس لتحضر وسألتها: هند إنتي موافقة على بعد شهر دا؟ .. ومالكيش

دعوة بابا وماما إحنا هنتصرف معاهم

نظرت هند أرضا بخجل: اللي تشوفوه

هتفت صابرين منتصرة: ههههه يبقى موافقة

توجه ياسين بحديثه إلى والدها: قولت إيه يا عبد الرحمن؟

لمح في عيون ابنته سعادة لم يرها قبلا مما جعله يرضخ سعيدا فما يهمله غير راحتها، عقد النية

داخله أن يُلبي احتياجاتها مهما كانت خلال الفترة المتاحة حتى تبقى معززة في منزل زوجها

وأمام أهله، أجاب باسمأ بهدوء: قولت على بركة الله

تعجلهم العريس: يبقى نقرا الفاتحة

جلست هند بجوار والدها ورفعت كفيها أمام وجهها فيما شفيتها تتحرك بهدوء مرددة السورة،

تعلقت نظراته بنظراتها عبر المسافات الفاصلة بين أصابعهم، تبسم بغبطة لم يذق لها طعما ألد

من هذه اللحظة فيما رمته هي ببسمة أطاحت بقلبه قبل أن تخفض بصرها أرضا.

أفاقا على صوت ياسين ووالدها يأمنون: آمين.

بدأت هند في تجهيز نفسها بمساعدة ندى وأختيها، ما كان عليها إلا شراء بعض الملابس بينما تكفل أحمد بالبيت حيث يملك شقة خاصة والآن يُعدها على ذوقه الخاص الذي سيعجب هند كما أخبرته من قبل مهما كان. اتفقوا على أن يقام كتب الكتاب في المنزل بينما العرس سيقام في شقة أهل العريس.

أتى العريس وأهله قبل الموعد المحدد للعقد بيومين، جلسوا جميعا يتناولون الطعام ويتبادلون الحديث معا، بعد الإنتهاء من إرتشاف الشاي والقهوة ترك الجمع أحمد وهند للإفراد سويا. جلست هند أمام زوجها خجلى وقد أصرت عيونه على عدم الترحيح من فوق ملامحها الفاتنة لها، ابتسامته التي صارت دائمة لا تفارقه اتسعت: هتفضلي مكسوفة مني كدا؟ .. دا أنا حتى هأبقى جوزك خلاص

أمالت رأسها بعيدا تخفي اتساع بسمتها، أردف: معلىش لو مش بأقدر أزورك وأطول بس عشان مشغول في الشقة وتخليصها

رفعت له رأسها متفهمة: ما تقلقش أنا ما عنديش مشكلة ربنا يعينك

رفع حاجبيه: يعني مش فارق معاكي زيارتي من عدمها؟

أسرعت تنفي تهمة: لا لا مش قصدي

ضحك على إرتباكها: مالك اتوترتي كدا ليه؟ أنا بأهزر معاكي

نظرت إليه حانقة وقبل أن تلسعه بسياط لسانها دلف والديهما معلنين إنتهاء جلستهما المنفردة، نهضت هند واتجهت إلى المطبخ طلبا لكأسٍ من الماء يطفئ نار غيظها.

لمحت شقيقتها تعد أطباقا من المسليات فتذكرت أمرا رغبت في محادثتها به: فريدة

رفعت فريدة بصرها باسمه ثم عادت تتابع ما تفعل: أيوه؟

– أنا حاسه إن علاقة ندى بآدم مش مطبوطة

ارتبكت فريدة واهتزت يدها الحاملة لإبريق الماء فليس من عاداتها التحدث عن أسرار غيرها، تفهمت أختها السبب فطمأنتها: ما تقلقيش أنا مش بأسأل عشان عايزة أعرف .. ومش مضايقه إن ندى قالتلك وماقالتليش لإن أنا نفسي كنت بأقولك حاجات هي ما تعرفهاش .. أنا بأسألك عشان لو تقدري تعمليلها حاجه ياريت تساعديها .. حتى عشان خاطر سيف

ربت فريدة على خدها مهدئة: ما تقلقيش إن شاء الله هألاقي حل وأساعدها

ضمت هند أختها: أيوهه .. دي ديدة اللي أعرفها

شردت فريدة تفكر في حل لمشكلة ندى ولكن كيف تجد الحل والمشكلة نفسها ليست مفقودة؟.

كانت باريهان تجلس في غرفتها تضع طلاء أظافر بلون حديث حين جاءها اتصال، نظرت إلى

هاتفها متأففة لتجد اسم المتصل

“Akram”

التقطت الهاتف بلهفة لكن بأطراف أصابعها حتى لا يضيع تعبها في الطلاء: هالو مونا مور

تنهد مجيباً: وعليكم السلام .. إنتي فين يا باربهان ؟

وضعت الهاتف فوق كتفها وعادت تتابع ما كانت تقوم به مجيبة بتأفف: ف الهوم

- طب انا جايلك

اغلق الخط دون أن ينتظر جوابها بينما القت الهاتف وزجاجة الطلاء جانبا ونهضت مسرعة تفتح باب غرفة ملابسها تبحث عن شئ مناسب ترتديه كي تستعد للخروج برفقته، ظنت أنه سيأتي ليصطحبها للسهر معا كالسابق.

صف سيارته أمام باب منزلها يحاول ترتيب الكلام الذي يريد أن يطلعها عليه قبل أن يترجل من السيارة، أخذ نفسا عميقا استعدادا لعصبيتها المعتادة كلما أخبرها أنه يريد التخلي عنها .. وصلت بها الأمور أن قامت في إحدى المرات بالإنحار أو هكذا أفهمته هي و أمها التي ساعدتها في تلك التمثيلية الرخيصة، لم يستطع أن يتحمل وزر موتها فأكمل معها.

هبطت باربهان الدرج بدلال مرقعة بكعبي حذاءها درجاته الرخامية، رحبت به: عاش مين

شافك يا كركر

بجديه: لازم نتكلم سوا

- طيب هتاخدني فين؟

نظر حوله ورد بنفس نبرته السابقة: هنا مناسب

انتابها القلق: مالك يا أكرم؟ واتس رونج؟

أخذ نفساً عميقاً: اسمعيني للأخر .. باريهان أنا مش هأقدر أكمل معاكي، لفترة فضلت فاكتر إن إنتي البنت اللي هتتفعني واللي أتمنتها بس لما قربت منك وعرفتك أكثر عرفت إن إنتي كنتي مجرد غلطة ف حياتي ومش إنتي الشخصية اللي أتمناها تكون مراتي .. وبصراحة أكثر أنا مش بأحبك وبأحب واحدة تانية

سألته بهدوء غير متوقع: مرام مش كدا؟

دُهِش: عرفتني منين؟

لوت شفيتها ساخرة: من لهفتك وغيرتك عليها م الولد اللي قبلته ف الغردقة .. ولما سبتني وروحلتها عشان تقعد معاها .. ومن نظراتك ليها

كأن عباً كبيراً سقط عن كاهله: طب كويس إنك عارفه .. أتمنالك حياة سعيدة مع إنسان تاني أحسن مني ويستاهلك

رسمت ابتسامة زائفة على شفيتها المصبوغتين: وأنا كمان بأتمنالك السعادة .. مع مرام

انصرف أكرم سعيدا أن الموضوع أنتهى بطريقة سلسلة، تنهد فقد كانت مهمته أسهل مما توقع، لكن لو أنتظر بضع لحظات أخرى لعلم ما تدبره له، خرجت والدتها من الغرفة المجاورة وقد استمعت لكل حرف: بقى هتسيبيه يروح من إيدك يا مجنونة؟

سألها باريهان شاردة: مين دا؟

صاحت بها والدتها غاضبة: أكرم .. هو في غيره؟

التفتت إليها: بقى كنتي بتتصنتي عليا يا مامي

زفرت والدتها بحدة: عشان خايفة عليكى

لوت شفتها متخابثة: ما تقلقيش على بنتك .. مش باري اللي واحد زي أكرم دا هو اللي

يسيبها كدا

انتبهت إلى لهجتها التي يشوبها الإنتقام: وهتعلمي إيه؟

باريهان: دونت وري مام ! .. أنا هأعرف اتصرف معاه كويس .. أنا اللي كل الولاد نفسهم بس

ف إشاره مني .. أكرم يسبني وعشان مين؟؛ عشان حتت بت مفعوصة أدوس عليها بصباع

رجلي الصغير؟ .. والله ما أنا رحماكي يا مرام وهأجيبك تترجاني عشان السنيورة بتاعتك يا

أكرم باشا .. يا أنا يا أنتوا.



الفصل الرابع عشر

عُلفت الزينات والمصاييح الملونة، بدأت الدفوف تدق وعازف المزمار يتلوى بمزماره أمام باب بناية العروس فيما تجمع الرجال في حلقة يتراقصون ويهللون، ينشرون المرح والبهجة وخبر تمام العقد وتحول لقب هند من آنسة إلى مدام، كان كل من العروسين في قمة غبطته فقد طال إنتظار هذا اليوم حتى عيل صبرهم، لم يتبق سوى القليل حتى تصبح ملكة متوجة في مملكتها، عدة أيام تفصلها عن زفتها إلى زوجها ليبدأ حياة هائلة سوياً.

همس أكرم بالقرب من مرام: عقبالك

التفتت إليه بحدة وعقبت: عقبالك أنت بقى، أنت اللي خاطب مش أنا

هم أن يقول شيئاً لكن قدوم سامر عرقله: عقبالك يا بطل

صافحه أكرم: عقبالك أنت كمان يا عم

نظر سامر إلى مرام الواقفة بجواره قائلاً: يمكن أقرب مما تتصور

لاحظ أكرم نظرات سامر لها فضغط على يده التي ما يزال يمسكها حتى تأوه وبدأ يسحبها

متذمراً: ما براحه شويه يا أخي .. مش كدا

ضربه أكرم على كتفه بقوة معتذراً: معلش يا سمورة من فرحتي يا أخي

وقف مصطفى يراقب فريدة وتنقلها بين المدعوين، ابتسم سرا متمنيا اللحظة التي يحل فيها مكان أحمد وتكون هي إلى جواره، لاحظ فريدة تقترب من آدم ثم تهمس له بشئ ما من ثم ينسحبان باتجاه المطبخ.

هم يلحق بهما لكن أوقفه عبدالرحمن طالبا بخجل: مصطفى يا ابني .. ممكن تنزل صناديق الحاجة الساعة تحت وتوزعها .. كان نفسي أنا اللي أعملها، بس أنت عارف السن له أحكامه

ابتسم له بينما عينيه لم تنزح من فوق الباب المؤدي للمطبخ: ربنا يديك الصحة وطولة العمر يا عمي

ربت على كفته: الله يخليك يا ابني ويرزقك بنت الحلال

تههد مصطفى متيما: آمين يا رب، أدعي بضمير أوي يا عم عبدالرحمن

قهقه عبدالرحمن لرد فعله: شكلك مستعجل أوي

غمزه مصطفى باسمًا: لو هتبقى زي بنتك كدا ما استعجلش ليه؟

حثة عبدالرحمن عائدا إلى ضيوفه: الله يكرمك .. يلا أنزل بقى زمان الناس ماتوا من العطش

هز رأسه وحمل الصناديق هابطا الدرج يفرقها على كل من يقابله، ويتلقى المباركات نيابة عن

العروسين ويستمع إلى الدعوات بأن يرزقه بعروس تليق به.

انتبهت لوقوفه بمفرده في أحد الأركان يتابع تحركات زوجته عبر أرجاء المنزل تعاونها مع مرام على خدمة الضيوف، قررت استغلال الفرصة المتاحة أمامها فقد لا تتكرر، اقتربت منه وطلبت الحديث إليه على إنفراد بعيدا عن ضجة الحفل.

وافقها ولحق بها متعجباً، ليس هناك أمر خاص بينه وبينها حتى تطلب منه الحديث والمنفرد أيضاً.

استفسر منها آدم بقلق: خير يا فريدة، في حاجة ؟

دخلت فريدة في صلب الموضوع مباشرة: ما دام ندى قالتلك إنها ما خانتكش يبقى فعلا ما خانتكش

توتر وارتبك في وقفته: هي إزاي تكلمك ف حاجة زي كدا ؟

عقدت ذراعيها وزمت شفيتها: فضلت خمس سنين ساكتة مش كفايه ؟ يعني تموت مظلومة وكمان مقهورة ؟

زفر بحدة وكز على نواجذه: طب عايزه إيه مني دلوقتي ؟

فريدة: أنا عارفه إن ماليش حق أدخل بس لما أشوفكوا أنتوا الإثنين بتحبوا بعض وبتبصوا لبعض كأنكوا بتسرقوا مش كأنكوا متجوزين مش هأقدر أسكت

بحزن: أدركي عرفتي الحكاية أنا ذنبي إيه؟

أسرعت مستغلة لينة: ذنبك إنك كدبت الإنسانية اللي قلبك حبها، إزاي متخيل واحدة زي ندى بأخلاقها ولبسها وتدينها ممكن تخونك؟ .. مش بس كدا، لا تعمل واحدة من الكبائر اللي هي الزنا، نسيت قول الله سبحانه وتعالى "إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم" .. عايز تبقى من الملعونين يا آدم؟ تساقطت دموعات من عينيه رغما عنه، لقد أشعرته كلمات فريدة بالذنب وفداحة خطأه في حق زوجته: طب إيه تفسيرك للي حصل؟

تبسمت: مش مهم التفسير .. التفسير هتعرفه لما ربك يأمر بكدا، بس مهما كان أنت ما عندكش دليل .. لا شوفتها مرة تجاوزت مع واحد ولا شوفتها وهي مع واحد تاني صح؟ ولا يكون في حد ف دماغك مثلا؟ يمكن مصطفى؟

هز رأسه بقوة مسرعاً: لا لا لا، أنا أه بأغير من مصطفى بس لأنه بيقدر يضحكها ويدخل على قلبها الفرحة أكثر مني .. ولأنه كان معاها ويعرفها من قبل ما أعرفها وأنا عارف إنه بيحبها زي أخته مش أكثر

تنهدت براحة: خلاص يبقى تفضها سيرة، أحرق القديم وابدأ سجل من أول وجديد .. يكون الأساس بينكوا الثقة والحب ودا يكفي كداية ليكوا، وصدقني مع الوقت هتنسى اللي حصل

.. وكفايه عليكوا يا سيدي سيف باشا إنه يكون سبب ف إنكوا تظبطوا حياتكم م الأول تاني

.. حرام دا طفل وبدأ يتعقد بسبب طريقتكوا مع بعض

اقتنع بكلامها: ماشي بس.. بس .. مش هأقدر ابدأ أنا

اتسعت بسمتها: مش مهم .. هي هتبدأ، المهم إنك ما تصدهاش

قال بسعادة أفتقدها منذ زمن: ماشي أوعدك

- هههه طب تمام، روح أنت بقى وأنا هأخرج الجاتو دا لأحسن الناس تقول علينا بخله ولا

حاجه .. يرضيك؟

قهقهه: لا ما يرضيش .. تحبي أساعدك؟

هزت رأسها بقوة: لا لا، مش صعبة للدرجة دي .. روح شوف مراتك وابنك أهم

تركها آدم تجهز الأطباق وتضع بها قطع الحلوى كي تقدمها للضيوف، دخل عليها مصطفى

وقد امتلأت عيونه بنظرة غريبة لم ترها في عينيه قبلاً.

تعجبت: بتبصلي كدا ليه؟

- إنتي إزاي كدا؟

قطبت جبينها لكنها استمرت فيما تفعله متسائلة: كدا إزاي يعني؟

- بتصلحي بينه وبين مراته وإنتي ما تعرفهوش .. وندى يادوب من كام يوم بس رجعتي تشوفها

حملت إحدى الصواني وهمت تغادر المطبخ لكن عند أعتاب بابه التفت إليه باسمه بهدوء يشوبه الجدية: مش شرط تعرف حد عشان تساعده .. كفايه إن ف إيدك تساعده عشان ما تتأخرش

هذه الفتاة هي التي تمناها وانتظرها عمره بأكمله، حلم به في نومه ويقظته، تكون ذات عقل راجح وقلب صافٍ، قلب ينافس القطن في بياضه والذهب في بريقه، تجذبه من قيعان المستنقعات إلى قمة السمو ليتمتعاً سوياً بقرب الله ورضاه.

استأذن أحمد من والد هند بأن يخطفها ساعتين بعيداً احتفالاً بعقد زواجهم، وافق عبدالرحمن على طلبه لكن على وعد بعدم التأخر وطول الغياب.

دخلت هند إلى غرفتها تبحث عن شال ملائم يقيها لسعة برد الليل بالأخص وقت العودة، كانت الأرض لا تكاد تحملها من شدة سرورها، تتمنى لو أنها حلقت في طبقات السماء السبع.

دنت باريهان من ندى وعيونها مليئة بالكره والمكر، لقد دعاها أحمد دون علمه بأن شقيقه قد أنهى أي رابط بينهما وعليها استغلال الفرصة: هي الأوضة اللي دخلتها دي أوضتها ؟ تتبع ندى نظراتها التي لاحقت هند ثم عادت تنظر إليها متعجبة: أيوه بس بتسألني ليه؟ هزت كتفيها بلا مبالاة وعادت تسأل: عادي مجرد سؤال .. واللي جنبها دي أوضة مين ؟

استدارت إليها بالكامل تحاول أن تستشف ما تخطط له: في إيه يا باريهان ؟ إيه الأسئلة
الغريبة دي ؟

- عادي يا نادو .. بأعرف ع البيت وأتسلى مش أكثر فيها إيه؟

ضربت كفا على كف متحسرة على عقلها الذي فقدته في مكان ما قبل الحضور، انصرفت
وتركتها مقررّة عدم إعارتها اهتماما أكثر من ذلك، اتجهت باريهان إلى الغرفة المجاورة لغرفة
هند.

فتحت الباب ودخلت تتلفت حولها عليها تجد غرضا يدل على هوية صاحبة الغرفة من
الشقيقتين المتبقيتين، دخلت عليها مرام متفاجئة وجودها بحجرتها: إنتي بتعملي إيه ف أوضتي
؟

أخفت لمعة النصر التي برقت بعينيها والتفتت إلى مرام بهدوء: كنت عايزه أظبط الميك آب
بتاعي

أشارت لها على باب يقع بين الغرفة ومجاورتها: عندك الحمام روحي ظبطي فيه براحتك
ارتدت رداء البراءة متسائلة: وإنتي أضايقتي كدا ليه يا مرام .. ليكون في سبب تاني ضايقتك
مني غير دا وأنا ما أعرفش

عقدت مرام ذراعيها أمام صدرها وقد أخرجت غيظها في عضضة بطانة خدها: هيكون إيه
السبب يعني ؟

حاولت استفزازها قدر المستطاع: مثلاً .. إن أكرم خطبني أنا وهيتجوزني أنا وإنتي قاعدة
تتفرجي علينا من غير ما تقدرني عملي حاجه

شدت قبضتها وقالت من بين أسنانها: والله دي حياتكوا وأنتوا أحرار فيها، دا شئ ما
يخصنيش

سعدت باريهان حالما أدركت جهل مرام بإنفصال أكرم عنها، قررت استغلال الفرصة وإثارها
أكثر: هارد لاك ليكي يا بيبي .. أدي أخرت اللي تتحدى باري

حرك سبابتها عليها صعوداً وهبوطاً: إنها تقعد ف صفوف المتفرجين مش أكثر
لوت شفتيها ساخرة: هههه ليه هو ماتش كورة؟

- لا جواز يا روعي جواز .. ويكون ف علمك أكرم عمره ما هيصلك، طول ما أنا قدام
عينيه .. شوفي الفرق اللي بيني وبينك يا حلوة وإنتي تعرفي أنا فين وإنتي فين

تركتها باريهان تكاد تميز من الغيظ، كان الغضب يملأ خلاياها، تساقطت عدة دمعات رغماً
عنها تبعها المزيد من الأنهار التي شقت طريقها عبر وجنتيها.

انهارت فوق طرف الفراش تخفي وجهها خلف كفيها، لامت نفسها فلو استمعت لنصيحة
شقيقتها وابتعدت عن طريق أكرم نهائياً وأخفت مشاعرها عن الأعين المتربصة بمهارة؛ ما
كانت باريهان لتصيد لها لحظة تهبط فيها بسياط سمومها فوق ظهرها، تجلدها بمشاعرها
وعشقها لمن كُتب لغيرها.

لحقت فريدة بندى التي دخلت إلى غرفة هند بعد خروجها مع أحمد حتى تصلح لابنها
ملاسه، اصطدم سيف ركضا إلى الخارج بساقي فريدة، تمت اعتذارا لم تتبين حرفه فاكتفت
بالابتسام له.

أمسك بذراع ندى تستبقها وأغلقت الباب خلفها، نظرت لها ندى متسائلة عن السبب،
اقتربت تهمس لها: عايزاكي بقى يا وزه لما تروحي البيت، تسبقي جوزك على أوضتكوا ..
تلبسيلك كدا حاجه شفتشي وتحطي شويه م الأحمر على شوية م الأبيض .. وبرفان من اللي
هو وتجهزي الأوضة لقدم شهريار الملك الهمام

انفجرت ندى ضاحكة لطريقة حديثها: يخرب ... يا مصيبة، إيه كل دا ؟

فريدة: لزوم الليلة يا جميل .. إنتي نسيتي؟، إنهارده الخميس .. ليلة اللعب والتهيبس

رفعت حاجيها مصدومة: أومال لو كنتي متجوزة كنتي قولتي إيه ؟

لوت جانب شفتيها مستنكرة: كنت عملت، هو أنا هأقضيها لوكلوك لوكلوك قبل الجواز وبعد

الجواز؟! .. دي خيبه إيه دي

غمزتها: شكلك أصلا بؤ ومش هتعملي حاجه

- بؤ ولا ودن .. سيبك مني وركزي في نفسك ياختي، أعملي اللي قولتلك عليه

شاب ملامحها الشجن: أفرضي بقى رفضني زي كل مرة، وقتها مش عارفه أنا ممكن أعمل إيه ..
مش بعيد أحده بفازة ولا حاجه

طمأنتها باسمه بمكر: لا ما تقلقش مش هيرفضك

ضيق ندى زوايا عيونها: ليه؟ إنتي كلمتيه ف حاجه؟

لكزتها في كتفها مغتاظة: يا بت خليك واثقة ف نفسك.. كل الحكاية إنه لما شاف الحلوة
والجمال دا كله قدامه ماقدرش يقاوم، وفضل يرمي نظرات بس البعيدة جيلة ومش حاسه،
والحلو فاضله تاكه ويسلم ويقول حرمت يا بيه حرمت يا باشا

قهقهت: يا خرابي عليك، بس فكرك كدا؟

- جربي وأهي محاولة يا رب تصيب

تنهدت بقوة: ياريت يا فريدة .. يا ريت، لأحسن وحشني حضنه

اسندت ذقنها إلى قبضتها المتكورة ثم بدأت تحرك رموشها بطريقة سريعة مضحكة، تنهدت:

هيح الحب ولع في الزعل يا فخري

تناولت ندى وسادة من فوق السرير وقذفتها ضاحكة: أنا هأقتلك إنتي وفخري بتاعك دا يا

حبة عيني

فتحت والدة فريدة على حين غرة ووجدتهم يتقاذفون الوسائد، رفعت حاجبيها مصدومة من التصرفات الطفولية التي توقف سيف عن فعلها غالباً، وجهت حديثها إلى ندى: ندى جوزك داىخ بيدور عليكى برا عشان تروحووا، وانتي هنا قاعدة تلعبى بالمخدرات؟؟

وقفت أمام المرآة تعدل وضعية هندامها: معلىش يا طنط أصل بنتك دي بتخرج الواحد عن شعوره

دفعتها إلى الباب تحثها على الذهاب: روجى بيتكوا وانتي هتلاقى كل الشعور هناك تنهدت متيمة: يا ريت يا ديدة

وقفت فريدة خلفها وقد وضعت يديها فوق خصرها: مش من شويه كنت هتقتليني أنا وفخري دلوقتي بقيت ديدة؟

اقترب يحمل سيف بين ذراعيه وقد ارتخت رأسه فوق كتف والده، رافقه مصطفى يبحث عن ندى معه، استمعا إلى نهاية الحديث بين الفتاتين، رفع مصطفى حاجبيه حانقاً: فخري مين دا إن شاء الله؟ .. هو أنا أخلص من هشام .. يطلعلى فريد .. ودلوقتي فخري

استفزته فريدة: أنت مالك أصلاً؟ .. تخلص منهم بصفتك إيه؟

حك مؤخرة رأسه متنحنحاً: إحم إحم .. مش يلا بقى يا جماعة

ضحكت ندى على حرجه: تستاهل، عشان تبقى تقول كلام مش قده

دفع مرفق آدم جهة زوجته: آدم، ما تاخذ مراتك دي وتطرقونا من هنا، عايزين نرش مايه

فريدة: قصدك ترش سم .. يا سم

أخرجت ندى لسانها إليه متشفية: وكبستك وكبستك

رفع سبابته مهدداً: والله كلمة تاني يا ندى وأحدفك م البلكونة

فريدة: أنت بؤ أصلاً ولا تقدر، ما تقول حاجه يا عم آدم

تناول كف ندى في قبضته وسحبها مبتعداً: لا أقول ولا أعيد، أنا واخذ مراتي وماشي من هنا،

كفايه كتفي اللي مش حاسس بيه من القلقسايه بتاعت سيف بيه

ضربته ندى على كتفه مغتاظة: ما تقولش على راس ابني قلقسايه

هز كتفيه لا مبالياً: ولا تزعلي أنا اللي راسي قلقسايه

قهقهت ندى: أبوه كدا

رفع آدم حاجبيه استهجاناً: بقى كدا؟!، والله لأوريكي اصبري عليا بس

تباعتهم نظرات فريدة ومصطفى حتى غابا معا عن مرمى بصرهما، التفتت فريدة إليه متسائلة:

وأنت لسه واقف هنا بتعمل إيه؟

ابتسم سماجة: وإنتي مالك؟

- مش بيتنا ؟

ضرب جانب جبينه: أه، تصدقي صح

- هههه كويس إنك عرفت

المطبخ يقع أمام الغرفة مباشرة، استدار مصطفى لخلف فلاحظ صناديق تم ملأها بزجاجات الصودا الفارغة، تناول إحداها متحججا البقاء: هاخذ الصناديق بتاعت الحاجة الساقعة أنزلها أوقفته: لا ما تتعبش نفسك، بكره الصبح هيجي بليه ينزلهم

هز يده حاملا الصندوق صعودا وهبوطاً، ارتجت الزجاجات وقرقعت سوياً، هتف مغتاضاً: يادي النيلة واللييلة اللي مش فايته، مين سي بليه دا كمان؟

- صبي البقال

تنهد ملئ صدره ولهاناً: أخرتي على إيدك على فكرة

تناولت إحدى الزجاجات من الصندوق الذي يحمله، قلبتها وأمسكتها بقوة بينما تعض على شفيتها حتى تعطيه إيحاءاً بصدقها: صح، عشان لو ما مشتش دلوقتي هاكسر الإزازة دي على دماغك

أسند الصندوق إلى صدره بيد واحدة فيما رفع الأخرى يتحسس رأسه كأنه يتخيل ما سيحدث إن نفذت تهديدها: أه يا مفترية، ويهون عليك نص الجنيه الرهن ؟

انزلت ذراعها وأعادت الزجاجاة مكانها ضاحكة رغما عنها: مصطفى

اسبل جفونه بطريقة مبالغ بها: يا عيون مصطفى

استقامت في وقفها وأشارت بحاجبيها إلى صالة المنزل: أمشي من هنا

– ليه كدا بس ما إحنا كنا ماشيين كويس

تخطته إلى المطبخ قائلة بإيحاء لغضبها الكامن: أنا ما نستش كلامك ليا لما كنا ف الغردقة،

وتلميحائك يا أستاذ مصطفى

انتاب مصطفى الخجل، يتهمها ويهاجمها ثم يأتي معتقدا أنه تم الصفح والغفران دون أسف،

انصرف عنها يفكر في حل لعلاقته بها، كلما خطى إليها خطوة رجع عشرا بغباءه وتسرعه.

لمح أكرم يوشك على الانفجار غضباً، دنى منه متحيراً لحال صديقه الذي يزداد سوءاً: مالك

؟ في إيه ؟

ردد دون أن ينظر إليه مغتاضاً: سامر

– ماله اللذيذ دا ؟

– هو لذيد بعقل .. راح طلب إيد مرام من باباها وأنا واقف معاه وقال إيه أكرم يشهدلك على

أخلاقي

رفع حاجبيه مندهشاً ثم انفجر ضاحكاً: ألبس

دفع ذراع صديقه من حول كتفه يهم بالإصراف: مش فايقلك يا مصطفى

أسرع يجذبه من ذراعه يمنعه من الهرب: مش المهم الكلام دا، المهم رأيها هي كان إيه ؟

بحزن: ماهو دا اللي هيجنني، كنت حاسس إنها بتحبني وكله تمام؛ حتى إنهارده قبل ما أجي

على هنا روحت فركشت كل حاجه مع باربهان .. بس يظهر إني حسبتها غلط وطلعت ما

بتحبنيش

- إمامم يعني وافقت على اللذيد ؟

تنهد بحرقه: أه يا سيدي وافقت على اللذيد

- خلاص يا أكرم يبقى مالكش نصيب فيها، أنساها

نظر إليه بقله حيلة: بأحبها هأنساها إزاي ؟

- والفتاة المجهولة ؟ .. مش بتحبها؟

- فكرت كثير، لاقيت إني ما أعرفش عنها غير اللي بتكتبهولي؛ يعني اللي هي عايزاني أعرفه،

حببت الغموض اللي حواليتها واني اعرف مين هي مش أكثر، لكن مرام .. مرام دخلت قلبي

على طول من غير سؤال .. ومش عارف هأعمل إيه من غيرها ... أنا أصلا إمبارح بالليل

حرقت كل الرسائل بتاعت الفتاة المجهولة

حلل محتوى كلامه: يعني حرقت الرسائل واديت زنبه لباري وف الأخر هتتجوز غيرك

أمال رأسه للأسفل: بالظبط

شد على كفته: بس أنت اللي غلطان، أنت سبتهم عشان أنت بتحب مرام ولا سبتهم عشان
ضامن مرام؟ .. في فرق يا صاحبي .. لو عشان الأولى يبقى أنت ممكن تكون خسرت مرام
لكن كسبت نفسك .. لكن لو الثانية يبقى خسرت الإثنين .. نفسك ومرام

حذق به قليلاً: لا سيبتهم عشان بأحبها ومش بأحب غيرها

ابتسم: يبقى أنت كذا ف السليم .. واللي كان قادر يخليك تفتكر أنك بتحب باريهان والفتاة
المجهولة ويظهر مرام ف حياتك عشان تمسحهم بأستيكة .. قادر يظهرلك اللي تنسيك مرام
بردو

ضغط عينيه بشدة: مش عارف

عاد لمزاحه ضاحكاً: يا ابني بنات العيلة دي حلفين يطلعوا عيننا ويورونا النجوم ف عز الضهر
.. لولا أخوك ابن الإيه لحق نفسه وحطها قدام الأمر الواقع ما كانش طالها وكان هيجي تالت
جنبنا

ضحك أكرم: ليه؟ هي فريدة عملت فيك إيه؟

– قول ما عملتش فيا إيه، ع الأقل أنت قدامك لذيذ واحد، إنما أنا كل شويه يطلعلي لذيذ
من تحت الأرض .. حاجه تقرف

غمزه مقهقهاً: يا لذيذ يا رايق

أصر الطفل: ماليش دعوة !، أنت اللي هتحكيلي يعني أنت

استسلم لولده: طيب .. أتفضل قدامي يا سيف باشا

أخذ آدم سيف يروي له الحكاية ويطمئن أنه ذهب في سباتٍ عميق بينما ابتسمت ندى بمكر
وذهبت تكمل باقٍ خطتها بذهنٍ صافٍ.

دخل آدم حجرته وهو يزفر فقد نام سيف بعدما جعله يروي ثلاث قصص؛ فلقد أوصته أمه
جيداً، تفاجئ آدم ونسي تبعه عندما وجد الغرفة على هذا الشكل المبهر، صُفت الشموع في
كل مكان وتناثر الورد في الأرجاء، سمع نغمة هادئة تساعد على الاسترخاء، بحث بعينه عن
ندى وعندما لم يجدها ناداها: ندى

أجابته ندى بعدما خرجت من الحمام خلفه: نعم ؟

التفت إليها وقد اعتلت ملامحه الدهشة، كانت كانت تردي فستانا باللون الذي يعشقه ..
اللون الذهبي، كان قصيرا لا يصل إلى حدود ركبتها، تركت شعرها منسدلا ووضعت ميكاجا
خفيفا يناسب ثوبها ويبرز جمال عينيها، هتف اسمها بصوت أجش من الرغبة والعاطفة: ندى
اقتربت منه ندى تنظر في عينيه بشدة هامة: عيون ندى

لم يستطع السيطرة على نفسه أكثر من ذلك؛ جذبها إليه هامسا في أذنها: بحبك

ابتسمت بسعادة ووقفت على أطراف أصابعها، فرغم ارتدائها حذاء عالٍ الكعبين فإنها مازالت
قصيرة تناسبها مع طوله الفارع، دنت من أذنه تهمس بها: وأنا بأعشقتك

هدت أحر حصون مقاومته بكلمتها الأخيرة فغابا معا في عالم أحر، يبدأون فيه بتأسيس حياة جديدة وسليمة مع جبهما وطفلهما النائم في حجرته بأحر الرواق.



الفصل الخامس عشر

صاح الديك مرددا خلف الآذان، يوقظ النيام ويفيق السرحان، ينبه المستيقظ إلى وقت فريضة المتعالى وأزوف صلاة الفجر، الأختبار الیومی لكل مؤمن بالله.

دلفت فريدة إلى داخل حجرة مرام توقظها: مرام يلا عشان تصلي الفجر

رددت فيما تمسح أثار دموعها: حاضر جايه أهو

صلت كلا الفتاتين صلاة الفجر من ثم جلستا قليلا تتسامران سويا بعد أن تلت كلتاها أذكار الصباح، أفضت إليها فريدة متحسرة: تعرفي يا مرام إن من الفروض المتروكة هي صلاة الفجر .. مع إن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها" ويقصد

ركعتين السنة مش الفرض كمان

- أنا قریت مرة جملة فكرت فيها كثير، كانت بتقول "لم يغب الفجر عن الأمة إلا عندما غبنا نحن عن صلاة الفجر .. حتى نعيد الفجر لأمتنا دعونا نصلي الفجر"

- أكيد طبعا؛ لأنك بمجرد إنك تقومي تتوضي لصلاة الفجر بيعد عنك الشيطان والكسل .. وبعد صلاة الفجر الواحد بيحس نشاط غير طبيعي زي ما يكون عنده قوة تخليه يبني عمارة لوحده

- ربنا يهدي الجميع يا ديدة

- آمين .. بس إنتي مالك؟ حاسه إن فيكي حاجة؟

- ما نمتش طول الليل بسبب اللي عملته

سألته بهدوء قلق: ليه؟، عملتي إيه؟

تنهدت مخفضة رأسها: إمبراح سامر .. دكتور زميل أكرم ف الكلية .. أتقدملي وأنا وافقت؛

عشان كنت مضايقه من كلام باريهان ليا وندمانه على قراري دا .. وسامر فاتح بابا ف

الموضوع

- دا مستعجل أوي .. وبعدين مالك ومال باريهان؟

- يوه يا فريدة، خرينا ف المشكلة بتاعت سامر دي .. أنا أصلا مش بأطيقه أتجوزه إزاي؟!

- كان حد ضربك على إيدك يعني يا مرام؟!، ماهو كله بكيفك

نهضت منزعجة من صراحة شقيقتها: خلاص حقك عليا يا ستي، أنا غلطانه إني بأحكيلك

وبأخذ رأيك

هتفت خلفها بصوت عالٍ: طب صلي صلاة استخاره وبعدين نبقي نتكلم .. وسيبي هند ما

ترخميش عليها هي صلت ونامت

- أيوه .. ماهو ناس بتتجوز على هواها وناس بتتجوز على قفاها

لحقت بها: هو فقير لدرجه إنه يعيشكوا على قفاكي؟؟ .. هي الشقق خلصت من البلد

خلاص؟

يوم زفاف أحمد على هند كان في منزل والديه كما تم الإتفاق مسبقاً، كانت الفرحة تُشع من الوجوه ما عدا وجه باريهان الحاقد؛ تذكرت محاولاتها في لفت إنتباه أحمد إليها والتي بائت بالفشل، حتى إنه لم يلاحظ تلك المحاولات بالمرّة؛ لذلك التفتت إلى أكرم حيث كان أسهل من أخيه، فتعلق بها بشدة في البداية عندما أظهرت له ما كان يتمناه في فتاة أحلامه لكنها ملت ذلك الإدعاء وعادت لطبيعتها بعد تيقنها من وقوعه في هواها، فلم تتخيل أن يخبرها أنه لم يعد يرغب بها، فأدعت محاولتها الإنتحار، تعلم مدى رقة قلبه وكانت تسير خطتها على هدى مستقيم حتى ظهرت مرام.

حدثت باريهان نفسها وهي متوجهة إلى أكرم: دي آخر فرصة ليك يا أكرم وإلا وديني لأحرق قلبك على مرام هانم

قالت بغنج زائد: وحشتني يا أكرم

تنحج محرراً: تسلمي

حاولت الاقتراب منه أكثر: وأنا ما وحشتكش؟

دفعها بعيداً عنه بهدوء لكن حازم، قائلاً: ما أنا قولتلك اللي فيها يا باريهان

- يعني ما غيرتش رأيك؟

رفعت رأسها تنظر إلى السماء: آمين يا رب .. آدم اقترح نساfer شهر عسل مع أحمد

وهند ف هأسيب سيف مع بابا وماما

تعجبت: وتسيبيه معاهم ليه؟ .. هاتيه عندنا

هللت ندى بسعادة: بجد يا ديدة؟

- هههههه شكلك أما صدقتي، طبعا بجد .. هو أنا أطول أخذ معايا الشخص الوحيد اللي

عرف يلاقبلي اسم دلع

- أه ههههههههههه أصلا كنت خايفه أسيبه مع ماما وبابا .. ما إنتي عارفه بابا تعبان وماما يادوب

تخلي بالها من نفسها ومن بابا

- يا ستي ولا يهملك، أديكى شايفه بابا وماما مسافرين معاكوا

- إيه دا؟ .. هيروحوا شهر عسل هما كمان؟

لكزتها في ذراعها: شهر عسل إيه إنتي كمان .. شهر شهر فلقتييني .. دول كلهم ست أيام،

مش مكملين أسبوع واحد عسل

- هههههههههههه، هيسافروا ليه بجد؟

- الراجل صاحب الشغل طلب من بابا يرجع بعد الفرح؛ عايزه على مكتبه ثاني يوم الصبح ..

خصوصا إنه أداله أجازة بقالها شهر ونص بحالهم تخيلي .. ههههه

- طب ما قالش لأحمد ليه؟ .. كان كلمه زي أول مرة

- لا اوعي تجيبي سيرة لأحمد بحاجه .. بابا ما بيحبش يطلب من حد حاجه، وأحمد مشغول بالفرح وعروسته وبابا مش عايز يدوشه بمشاكله

- وليه كدا؟ ما احنا دلوقتي عيلة واحدة .. إخص عليكوا

- سيبك إنتي؛ بابا ادرا بمصلحته .. واحنا كدا كدا متعودين نقعد لوحدنا ومسيره يرجع عشان شغله .. المهم سيف هيجي يملى الفراغ بتاع الست هند بعد ما تسافر وهنبقى ثلاثة ف الشقة بردو

- هههههههه ماشي ياختي

- ماشي يا نادو

تقدم سامر حتى يقف إلى جانب مرام متمتماً: مبروك

- الله يبارك فيك

- عقبالك

- شكرا

- إنتي مالك مستغلساني كدا ليه؟

ألقت عليه نظرة من زاوية عينها وردت بملل: يعني مش عارف؟

حاول استرضاءها: خلاص المسامح كريم

- الله أكرم

- طب هتحددي معاد مع والدك إمتي؟

- بابا مسافر بعد الفرح على طول

صُدم: وإحنا!؟

أخذت نفسا عميقا واستدارت إليه مقررّة إنهاء الموضوع بشكل تام: مافيش، بح خلاص ..
بص يا دكتور سامر أنا وافقت عليك بالغلط ممكن تسميه تسرع لكن لما قعدت مع نفسي
وفكرت لاقيت أن أنا ما أنفعكش ولا حضرتك تنفعني .. كفايه أنت بتحب تغلس وأنا بأحب
أغلس .. فغلس على غلس ما يرولش .. عن إذنك لما أشوف الضيوف

تركته يجر أذيال الخيبة قبل أن يغادر؛ فلم يعد لوجوده معنى. سارت تزن طريقة كلامها معه
وكم كانت قاسية حادة اللهجة لكنها عادت تقول إن هذا هو أسلوبها وطريقتها ولن تغيرها،
أوقفها فجأة سؤال يحمل الغضب في مكمته: كان بيقولك إيه؟

ردت بلا مبالاة: شئ ما يخصكش

- إنتي قولتيله إيه؟

تابعت سلوكها المستفز معه: بردو ما يخصكش

وقف أكرم أمامها بعصبية: ما يخصكش ما يخصكش، إنتي مافيش على لسانك غير الكلمة دي ولا إيه؟؟

أمالت رأسها ببرود: أه وإن كان عاجبك بقي

بنفس أسلوبها: وإن ما عجبنيش؟

أشارت إلى أحد جدران المنزل: شايف الحيطه اللي هناك دي .. روح أخبط راسك فيها

هتف بها بعصبية ملحوظة: ما تعصبينيش يا مرام .. قالك إيه؟

هادئة حد البرود: بيسألني يتقدم لبابا إمتي .. ارتحت دلوقت؟ عن إذنك

أمسكها من ذراعها بقوة وسألها بنبرة يشوبها الإنكسار ولكنها لم تلحظها: وإنتي رديتي عليه بإيه؟

نقلت نظراتها بين يده التي تقبض على ذراعها بشدة وبين عينيه، قالت بقوة: سيب إيدي

تركها مكرراً: رديتي عليه بإيه؟

وقفت تدلك أثر قبضته: وأنت مالك؟

سخر: مش لازم أعرف الفرح إمتي عشان أشوف هأجيب مساعدة ليا بدالك إمتي؟

لم يكن الجواب الذي انتظرتة وساءتها سخريته فأجابته متحدية بعناد: دور عليها من دلوقتي

سألها فيما الشرار يتصاعد من عينيه: قصدك إيه؟

ردت مرام بهدوء: قصدي إني مستقيله يا دوك

غادرته مرام ذاهبة إلى حيث يقف والديها وتسمع حديثهما مصادفة، قالت إيمان وبكاءها

يزداد: خلاص أتجوزت ومش هأشوفها تاني

عبدالرحمن مهدئاً: ليه بس الكلام دا يا إيمان، دي أتجوزت ما ماتتش بعد الشر يعني

تابعت بكاءها: بردو، دي داخله حياة جديدة وهتنشغل بيها عننا ومش هأشوفها زي الأول

سخرت مرام: دا على أساس إننا كنا صاحيين نايمين ف حضنك مثلاً؟

نهر الأب مرام: مرام، ما تتكلميش مع أمك كدا

أكملت بنفس النبرة: خلاص خليها تبطل تمثيل دور الأم الحنون؛ لأنه بصراحه مش لايق

عليها وشكلها فيه أوفر أوي

والدها بصوت عالٍ: مرام

كاد والدها أن يصفعها علها تفيق وتدرك من تتحدث إليهم بهذه الطريقة، تدخلت فريدة تمنعه

وأمسكت يده قائلة: معلش يا بابا حقك عليا أنا.. وإنتي يا ماما سامحيها مش قصدها

التفتت إلى مرام متابعة: مش عارفه حد قالها إيه فأضيققت .. وطلع فيكوا بالغلط، مش صح يا مرام؟

زاد إنفعال مرام لصدق تفسير أختها: والله ما حدش قالك إني محتاجه محامي .. أنا عارفه كل كلمة قولتها وإنتي عارفه كويس أوي إن كلامي صح

أصرت فريدة: لا مش صح .. ربنا -عز وجل- قال "ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً"، ولا إيه يا ست مرام؟؟

أشاحت بيدها منصرفه عنهم بينما تقول متأففة: والله ما نقصاكي إنتي كمان يا ست الشيخة

وضعت إيمان يدها فوق كتف فريدة: سيبها .. هي معاها حق بقالي سنين سيباكوها وجايه

دلوقتي أعيط على فراق بنتي اللي أنا أصلاً بقالي سنين مفارقاها .. صدقيني مش زعلانة منها

ولا غضبانة عليها .. أصلاً أنا مش أمها أد ما إنتي أمها؛ إنتي من ساعة ما أتولدت وواخده

بالك منها .. شلتي عن كتفي حملها لما كنت تعبانة بعد ولادتها ولما سفرت إنتي اللي كنتي

معاها، إنتي اللي أمها .. فياريت ما ترعليش منها يا بنتي وصدقيني أنا سبتكوها غضب عني والله

عادت إيمان تستسلم لموجة البكاء لكن بمشاركة فريدة هذه المرة، ضمتها: كلنا يا ماما مش

زعلانين منكوا ما تقلقش

تألأت عيون عبدالرحمن بالدموع: كان على عيني يا بنتي إني أفضل بس ظروفنا .. وف

الأخر بنقول الحمد لله

أضاف أمرا زوجته: أقعدي مع البنات .. وأنا هأسافر لوحدي

كفكفت الزوجة دموعها فيما تشهق مستهجنة: أسيبك إزاي؟ نسيت كلام الدكتور؟ .. والأزمة ممكن تجيلك ف أي وقت ولو ما لحقتكش ع المستشفى ممكن تروح فيها بعد الشر

اندهشت فريدة: أزمة إيه؟! .. أنا مش فاهمة بتتكلّموا عن إيه

زفر عبدالرحمن مقررا الحديث والبوح بما كان يخفيه: أنا هأقولك يا بنتي

روى لها عن الأزمة الصحية التي أصابته فجأة في السكن ولولا المرأة التي تأتي لكي تنظف المنزل كل صباح لكان تُرِكَ على هذه الحالة دون أن يعلم عنه أحد، ومنذ ذلك الوقت سافرت إليه زوجته ولم تفارقه لحظة وظل شغلها الشاغل الإعتناء به وتنظيم غذائه ومواعيد أدويته حتى لا تصيبه إنتكاسة.

همهت بحزن: معقولة كل دا حصل وماحدث منكوا قالنا .. سبتونا نخبط أحماس ف أسداس ونخمن، ليه ما قولتوش السبب .. كنا هنساعدكوا، ع الأقل ما نظنش ظنون .. ولا كانت مرام حقدت عليكموا كدا

أجابتها والدتها بندم: معاكي حق كان لازم نقولكوا وتشاركونا المشاكل زي ما بتشاركونا الفرحة .. لإننا عيلة واحدة ومالناش غير بعض

أخفض الأب رأسه: أنا اللي قوت لأمكوا إنها ما تقولكوش؛ عشان ما تخافوش عليا .. قوت مادام عارفين إني بصحتي حتى لو بعيد .. هتبقوا حاسين بالقوة لكن لو عرفتوا إني مريض هتحسوا بالضعف والوحدة

سألته بمرارة: يعني ف رأيك إنا ما كناش حاسين بالضعف والوحدة لما كنا فاكرين إن أهلنا سابونا؟، ولا أنت فاكِر إن الأفكار دي ف دماغ مرام بس؟ .. لا دي ف دماغي كمان وف دماغ هند بس كنا بنداريها عشان ما نزودش حقدها وكرهها ناحيتكوا

عقت عندما رأت الندم والألم يرتسم على وجهيهما: ع العموم خلاص اللي فات مات، إحنا ولاد إنهارده .. وما تعلقوش أنا هأكلم مرام، أوضحلها كل حاجه وهند لما ترجع بالسلامة هأفهمها بردو .. المهم سافري إنتي مع بابا عشان ما نقلقش عليه .. وأنا عارفه إنك مش هترتاحي لو بعدتي عنه، أكيد يعني مش بعد 26 سنة مع بعض مش هترتاحوا ف الفراق حاول عبدالرحمن الاعتراض: بس يا بنتي ...

منعته: مابسش .. تروحوا وترجعوا بالسلامة

قالت إيمان: كان نفسي نسيب هناك ونرجع هنا على طول بس الشرط المنيل اللي ف العقد و2 مليون كتير على أبوكي أوي

- ما تعلقيش هي فترة وتلاقي مرام حصلت هند .. وأجي أنا بقى أقعد على قلبكوا

رفعت إيمان حاجبها محدقة بابنتها غير مصدقة: لا ما إنتي هتحصلي أخواتك ولا إنتي ناويه
تعنسي جنبي؟

ضحكت فريدة ومازحتها: أيوه قولي كدا عايزة تستفردى بابا .. عصافير الحب صح؟

ضحكت إيمان خجلى: يوه جاتك إيه يا مضروبه

كتم الأب ضحكته: يا بت اتلمي دا أنا أبوكي مش عيل من سنك

غمزتهما فريدة: أيوه .. داروا وخبوا .. بس على مين

غادر العروسان برفقة آدم وندى كذلك والذي هند، توجه الوالدان إلى الدولة التي يعمل بها
الأب بينما البقية حلّقوا إلى إيطاليا؛ كان حلم هند زيارة تلك البلاد التي أجدت لغتها بل
وعشقتها أيضا وزاد حبها لها أكثر لأنها ستمضي بها شهر العسل وأولى أيام زواجها بالإضافة
إلى أن أول زيارة لها مع من أحبت.

وصت ندى كلا فريدة ومرام على ابنها، تتمسك بكل لحظة حتى تبقى برفقته ولا تسافر فهذه
أول مرة تتركه دون أن يرافقها، استفسر أكرم مستغرباً: هو سيف مش هيقعد معانا ولا إيه ؟

أجابه سيف: لا هأروح أقعد عند ديدة ومرمر

سخر مصطفى كعادته: ههههه ديدة و مرمر على وزن ظاظا وجرير .. ليكون كرتون جديد ولا
حاجه

آدم لاكزا مصطفى: خف شوبه يا عم مش كدا

أخرج لسانه لمصطفى: سيبه يا بابي .. دا غيران مني عشان هأنام ف حضن ديدة وهو لا
هههههه

هتف مصطفى بحق ناظرا إلى الصغير بغل: شايف يا آدم ابنك بيغطني إزاي

دنى منه آدم هامسا بصوت لا يسمعه سواه: ما أنت لو كنت روح أتجوزتها زي ما أحمد
عمل مع هند لا سيف ولا غيره كان قدر يغيظك وكان زمانك معانا دلوقتي

مصطفى: يا شيخ أتلهي .. أنت رايح شهر غسل نامبر توو وجاي تدينا نصايح؟؟ .. روح
أجري إلحق مراتك روح ..!

قهقهه آدم وضربه على كتفه منصرفاً: ماشي يا ضغوف .. سلام

أجلت فريدة الحديث مع مرام حتى الصباح حتى تكون متأكدة من هدوءها؛ فتم المحادثة
بصورة حاضرة، فلا تتفوه بكلمات جارحة، تحبها كثيرا وتفهمها وأدرى الناس بأسلوبها لكن
مهما كان هي إنسانة بنهاية المطاف، تملك أحاسيسا، ومشاعر سهلة الخدش، وعلى الرغم
منها قد تجرحها بالتبادل كذلك.

قرر سيف أن ينام مع فريدة فيما توجهت مرام إلى غرفتها دون أن تلقي التحية قبل النوم، اندست فريدة في مضجعها وانضم إليها سيف، حدثته: تيجي نقرأ قرآن قبل ما ننام يا سيفو؟
أوماً بسعادة: ماشي يا ديدة

امسكت بالمصحف؛ فمن عاداتها قراءة ولو سورة من القرآن قبل النوم، اختارت سورة صغيرة إلى حد ما حتى لا يمل الطفل، كانت سورة عبس: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ..

"عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ
اسْتَعْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ
عَنْهُ تَلْهَى "

قاطعها مقطباً: يعني إيه؟ .. أنا مش فاهم حاجه

ضحكت: بس كدا؟ .. حاضر يا سيدي، هأشرحلك

-ماشي

-زمان كان جه واحد أعمى مش بيشوف -وكان فقير وغلبان- للرسول عليه الصلاة والسلام .. وقتها الرسول كان قاعد مع واحد غني أوي بيكلمه عن الدين يمكن يقتنع بيه ويدخل ف الإسلام فلما دخل عليه الفقير دا .. الرسول راح عبس ف وشه

أشارت إلى عبوسه: زيك كدا دلوقتي .. كشر و دور جسمه ناحيه الغني وساب الفقير دا

استفهم: بس كدا مش ينفع .. المفروض ما يعملش كدا

-صح يا سيفو، عشان كدا ربنا حب يعاتب الرسول براحه؛ بسبب غلطته دي .. فنزلت السورة دي وقاله أنت تعرف مين يمكن الأعمى الفقير اللي أنت أديته ضهرك دا لو كلمته يبعد عن حاجات وحشه كان بيعملها ويبقى إنسان كويس أو تقوله على خير يعمله ويعمله فعلا، لكن بقى الغني اللي أنت بتحاول تقنعه بالدين دا واحد أصلا مش فارق معاه .. أنت واقف ف صفه ومعاه ليه ؟ أنت أصلا مش المفروض تعمل حاجه غير إنك تقول الخير فين وتتكلم عن الدين وهو حر .. لكن الشخص اللي جاي خايف من عذابي وعقابي ليه أنت بتبعد عنه بتلتهي بالغني

حركت نظرها إلى سيف فوجدته قد غط في النوم، ابتسمت ثم تشاءبت تشعر بالنعاس الشديد، وضعت المصحف جانبا ومدت يدها إلى مفتاح الإضاءة لتغرق الغرفة في ظلمة الليل.



الفصل السادس عشر

حطت الطائرة في أرض إيطاليا، سادس دولة في أوروبا من حيث عدد السكان لذلك من غير المستغرب رؤية الزحام في الطرقات، لمحت ندى المنازل والأنام السائرين في شوارعها النظيفة البراقة: ياه شكل عيشتهم حلوة

ابتسمت هند الجالسة إلى جوارها وأوضحت: إيطاليا دي عاشر دولة على مستوى العالم ف الرفاهية وجودة الحياة .. مستوى المعيشة هنا عالي أوي

حدق بها أحمد مازحا: دا إنتي خبرة بقى

رفعت رأسها بعنفوان: إيطاليا أحب بلد على قلبي أكيد لازم أعرف كل تفاصيلها

أشار آدم لهما بالصمت ووجه حديثه إلى هند: كلمينا طيب عن أهل البلد

جمعت أفكارها وبدأت تحدثهم بما لديها باستفاضة: الإيطاليين معروفين بحبهم للأسرة

والروابط العائلية .. عشان كدا لازم العيلة كلها تبقى متجمعة على الأكل وعاملينها قاعدة

أساسية في آداب الطعام عندهم .. يحبوا الرحلات والترفيه .. بيعشقوا حاجه اسمها عربيات

عشان كدا هتلاحظ الزحمة في الشوارع بالعربيات جدا ..

استمرت في الرواية حتى توقفت سيارة الأجرة أمام بوابة الفندق الأمامية، هبط آدم من مقعده

بجوار السائق وفتح لزوجته ينتظر نزولها فيما ترجل أحمد من الباب الآخر يعاون زوجته على

الخروج من السيارة.

استلم كل ثنائي مفتاحا خاصا بحجرته، صعدوا وانفصلوا في الممر الواصل بين جميع الغرف،
دلفت هند ومن خلفها بعلها، اقترب منها يضمها من الخلف هامسا: أخيرا بقيتي مراتي ..
بتاعتي .. حبيبي

همسته الحنون جعلتها تصرح بمشاعره دون تروي: بحبك

ابتعد عنها: لا لا أنا كدا مش حملك .. واحدة واحدة عليا لأحسن يغمى عليا

فزعت: لا لا لا

غمزها: خايفة عليا؟

أدارت وجهها بعيدا وهمهمت خجلى: وإن ما خوفتش عليك هأخاف على مين؟

- أيوه يا أبو حميد، والله أمك دعيالك

قهقهت: مش للدرجه دي

-للدرجة دي وأكثر كمان.. كفايه عليا الضحكة دي .. بحبك

نظرت إليه متساءلة: أنت حبتني إمتى؟ أنا ما لاحظتش عليك حاجه

أرجع رأسه للخلف ضاحكا: ما أنا باعرف أخبي كويس

أصرت: لا بجد .. حبتني إمتى؟

بجدية: وتصدقيني؟

أومأت: أكيد

داعب أنفها بأنفه باسمها: من أول مرة شوفتك فيها .. تقدرني تقولي من أول زعيقه

انفجرت ضاحكة؛ فقد كان هذا أعجب رد توقعته أن تسمعه: ودا من إيه بقى؟

- أول مرة حد يقولي اللي بتعمله دا غلط ويكلمني بالطريقة دي

- على كدا بقى أنت بتحب الزعيق .. خلاص، أبقى فكرني أصبحك بزعيقه وأمسك بزعيقه

اقترب منها بمكر: أنا بقى هاأصبحك بـ "حبيبي" وأمسكي بـ "عمري"

تهربت، رفعت تنورة ثوبها واتجهت إلى الحمام: هاروح أغير هدومي

- إيه مش هتصلي يعني؟

ارتبكت: اه اه

- متوضيه؟

- أيوه

- طب يلا بينا

أدت الصلاة خلفه لأول مرة، أصبح إمامها وراعيها، زوجها وحميها، ابتسمت وقد أخذتها الأفكار بعيدا لكنها أفاقت على اقتراب أحمد منها، لاحظت نبرته المختلفة: إيه؟ مش هتغيري؟

ارتبكت، أوامات: أه هاغير وأجي

أوقفها ممسكا بذراعها، نظرت له بفرع: الفستان

ازدردت ريقها بصعوبة نتيجة قربه الشديد منها: ماله؟

- فيه سوسته من ورا

تساءلت بغباء: وإيه يعني؟

ابتسم: هتخلعي الفستان ازاي من غير ما تفتحيها؟

تنحنت بحرج: هاتصرف

رفع أحد حاجبيه: إزاي يعني؟

فكرت بإجابة تُعفيها من حرج الموقف فلم تجد، أضاف: وعلينا من دا كله بإيه؟ تعالي

افتحها لك أنا

ادارها ليفتح لها سحاب ثوب عرسها الذي كان يليق بها ويظهر جمالها الهادئ وكان الثوب

قطعه واحده باكامام للمحجبات

هند بتوتر: بتعمل إيه؟

أجابها ببساطة متابعا ما يفعله: بأفك الطرحه

- ليه؟

- عشان الطرحه نازله ع السوسته ومدارياها

نزع الطرحه عن رأسها بعد اكتشافه أنها لا تنفصل عن حجابها نفسه، فور نزعها لها انهمر شعرها كشلال حريري براق، اقترب منه أحمد يستنشق عبيره ويملاً رثيه من رائحته العطرة، وبعد دقائق ...

ضربت الأرض بقدمها ممتعضة: مش يلا بقى؟

أخرجته من حالة النشوة التي سيطرت على جلّ حواسه: يلا إيه؟

هتفت حانقة: افتحلي السوسته

تذكر: أه أه .. السوسته، طيب

استطاع جذب السحاب حتى توقف في النهاية عند خصرها، لمست يده عن غير قصد جلدتها فاقشعر واغمضت عينيها وانتهز أحمد فرصته في استسلامها لمشاعرها.

تعالَت تكات الساعة في ردهة المنزل معلنة تمام الثالثة فجرا، المنزل يعمه الظلام ولا ينيره سوى شعاع ضوء القمر الذي قد تسرب عبر النوافذ والشرفات ينير القليل مظهرا ظلا يتحرك متسللا إلى داخل إحدى الغرف حتى توقف بجوار سرير تنام عليه فتاة بعمق؛ لكن ما إن اقترب منها الظل متمهلا حتى سمع صوت هاتف يرن في الغرفة المجاورة ثم توقف بعدها بلحظات لتصدر حركة في الجوار، ارتبك؛ نتيجة حدوث شئ ليس بالحسبان ومن شدة توتره لم يلاحظ كأس الماء الذي اصطدمت به يده وأوقعته محدثا ضجيجا رج هدوء المنزل.

فتحت الفتاة عينيها على ذلك الصوت ونظرت بفرع صارخة بأعلى صوتها، لكنه استدرك نفسه ووضع يده على فمها يُخرسها.

فُتح الباب فجأة يتبعه ضوء المصباح لينير الغرفة؛ كانت قد شرعت في صلاتها عندما سمعت صوت انكسار الكأس فلم تهتم وتابعت صلاتها لكن بمجرد إنتهاءها سمعت صرخة مرام، ركضت إليها وهي ما تزال في إسدال الصلاة؛ لتجد ذلك الرجل المثلث يقف فوق رأسها ويضع يده على فمها يكتم صراخاتها، اخرج خنجرا من جيبه وأشار إلى فريدة ومرام: اللي هتنطق فيكوا هأدبحها

ظهر سيف خلف فريدة بعد لحظات يمسح عينيها؛ فقد أفاق على خلو السرير بجواره وخوفه من النوم بمفرده كذلك الضوضاء أدت دورها، رأى السلاح في يد الغريب فبدأ يبكي صاح بها المثلث: سكتيه

انحنت تضم سيف إليها ونظراتها معلقة بالملثم: سيف حبيبي اهدى شويه، ممكن؟ ما تخافش
أنا معاك ومش هيحصل حاجه

حاولت مرام النهوض لكنه دفعها مرة أخرى، كررت المحاولة ثانية فظل يدفعها مما أفقده
يقظته ولم ينتبه لفريضة التي أتت من خلفه حتى تهوي بالمزهريه على رأسه، وضع كفه الضخم
فوق الجرح ثم سقط أرضاً.

اقتربت فريضة من مرام تسحبها للنهوض تدفعها مع سيف للخروج من الغرفة وتلحق هي بهم
في المؤخرة، لكن مرام كانت مصدومه وتسير بقوة دفع فريضة لها مما جعل تحركهم بطيئاً
وكافياً حتى يتدارك الملثم نفسه وينهض، لحق بهم ممسكاً بأخر السائرين فيهم مهدداً إياها
بالمطواة.

قال بغل: عاملاي نفسك شجعية السيما وبتضربيني بالفازة!؟

حاولت فريضة دفعه ومقاومته، نهرها فيما يقاوم حركتها: اهدى بدل ما أغزك وتلاقي نفسك
غرقانه ف دمك

لم تهتم بكلامه؛ كانت تخاف أن يمس مرام أو سيف الذي تركته والدته لديهم أمانة، أثناء
ذلك أمرت مرام الطفل أن يذهب إلى الغرفة المجاورة ويحادث أكرم كي يأتي بسرعة، أطاعها.
انتهزت مرام الفرصة لكي تساعد أختها التي مازالت تقاوم هذا المتهجم، أمسكت بذراعه
التي تحمل الخنجر وظلت تجذبها وفريضة تضربه بيديها وقدميها حتى استطاعت أن تستدير

وتضربه أسفل الحزام، دفع بمرام بقوة فاصطدمت بالحائط ودفع بفريدة أيضا فوقعت أرضا لكنها لم تيأسا فقد اقتربتا منه حتى يسحبا منه السلاح الذي يهددهم به، تشبث به بقوة حتى تمالك نفسه وأتجه إلى مرام التي ألقتهما دفعته الأخيرة بعيدا وكانت عيناه تحملان معنى الشر الحقيقي.

حاول ان يطعنها ولكن فريدة اندفعت تتعلق بيده محاولة إنزالها بعيدا عن شقيقتها، أوشكت على الوصول إليها .. وأخيرا استسلمت يده تحت الضغط، سقطت، لكن غارزة الخنجر في خصر فريدة، صرخت بقوة قائلة لمرام من بين أنفاسها المتقطعة: قومي خدي سيف وسيبوا الشقة بسرعة !!

تحركت مرام متعثرة دون وعي منها، تنظر للدماء التي تتدفق غزيرة من جسد أختها، أفاقتهما صرخة فريدة الهادرة منهية ما تبقى لها من قوة على الصمود: قولتلك أمشي !!

ركضت إلى خارج الغرفة، قابلت سيف فحملته، هربت من المنزل بملابسها البيتية؛ بدون حذاء وشعرها يتطاير مع حركات الهواء بينما نظر الملثم إلى باب الشقة الذي ترك مفتوحا على مصرعيه بعد خروج الشابة مع الطفل، همّ أن يلحق بها.

سلخت فريدة القناع عن وجهه الإجرامي، رأت ملامحه ثم سقطت فاقدة الوعي عما حولها.

غرفة مطابقة لغرفة أحمد وهند، تمتد نائمة بين ذراعي آدم، ضمها بيد ويده الأخرى تداعب
خصلات شعرها السوداء، يبثها حبه وأشواقها التي تم كتبها لسنوات: بحبك

- وأنا بحبك

رفع وجهها إليه مقطب الجبين: بتقولها كدا ليه؟ .. زهقتي مني؟

وضعت سبابتها فوق شفثيه؛ تمنع المزيد من الكلمات عن الخروج: أوعى اسمع منك الكلمة
دي .. أنت حبيب عمري .. اللي عمري ما هأقدر أعيش من غيره

عاد لهدوءه: أومال مالك؟

تنهدت: قلقانه

- من إيه؟

شردت: على سيف .. حاسه إن في حاجه حصلت

حاول طمئنيتها: هههههه لا ما تقلقش، تلاقيكي بس قلقانه عشان أول مرة تبعدني عنه .. مش
أكثر

اعترفت ندى بمنطقية كلامه، لكنها انتفضت فجأة من بين ذراعيه، جذبت هاتفها من فوق
المنضدة المجاورة للفراش.

اعتدل جالسا: هتعملي إيه؟

أجابته دون أن تحرك ناظريه عن شاشة المحمول، تفتش عن رقم هاتف فريدة: هأكلم فريدة

رفع حاجبيه مستنكرا قلقها الزائد: يا بنتي الناس زمانها نايمة .. الصباح رباح

وضعت الهاتف على أذنها: مش مطمئن يا آدم وبعدين الفجر دلوقتي هياذن هناك .. فأكيد

هتصحي قبله .. تصلي أو ع الأقل تصلي الفجر نفسه

بعد فترة صمت سألتها: إيه؟

اغلقت الهاتف وحدثت به شاردة: ماحدث رد

- يبقى لسه نايمة

- هاحاول تاني

أجابها صوت سيف الباكي، فقد دخل الحجرة وأمسك بالهاتف؛ لكنه مازال لا يعرف القراءة

.. فكيف يجد اسم أكرم ليهاطفه؟، عندها سمع رنين الهاتف فأجاب ليحدها أمه: السلام

عليكم

صرخ ببكاء: مامي

فزعت : في إيه يا سيف؟ بتعيط ليه؟

-أصل في حرامي دخل البيت وكان ماسك مرام ودوقتي ماسك ديدته

فزعتها إزداد: حرامي؟!؟

انتفض آدم بجوارها يستفسر عما حدث: في إيه يا ندى؟؟

- مرام قالتلي كلم خالو .. بس أنا مش عارف رقمه يا مامي

أشارت لزوجها كي يصمت ثم تابعت حديثها مع ابنها: طيب يا سيف ما تخفش .. أنا هأكلم
أكرم دلوقتي وابعتهولكوا

تعالى صوت صراخ فريدة بشكل مفاجئ: أمشي

تلاه صوت باب يرتطم بالحائط؛ نتيجة دخول مرام، رفعت سيف بين ذراعيها مسرعة، مما
جعل يسقط الهاتف عن غير عمد، تاركا الخط مفتوح.

- آلو .. آلو .. سيف

أغلقت الخط عندما لم تسمع جوابا، أمسكها آدم بقوة من ذراعيه وهزها: في إيه يا ندى؟

- حرامي دخل عليهم .. لازم أكلم أكرم يروحلهم حالا

بالفعل اتصلت بأكرم، كان يغط في نوم عميق، أجابها بصوته النائم: أيوه

صرخت به: حضرتك نايم وفي حرامي دخل على بيت فريدة يا بيه

نهض أكرم: حرامي؟ .. حرامي إيه؟

- أنت لسه هتسأل؟! .. أجري روحلهم

- حاضر حاضر

أغلق الخنط وركض إلى غرفة مصطفى يوقظه حتى يرافقه؛ فقد يحتاجه: مصطفى مصطفى

تمتم مصطفى بدون وعي وهو ما يزال نائما: مش عايز أكل

أكرم بعصبية: أكل إيه دلوقتي أنت الثاني .. فز قوم

التقط كوب الماء الموجود بجواره ثم سكب على وجه مصطفى لكي يستيقظ، انتفض مصطفى

بفزع قائلا: غريق

- يا اخي فز بقى

جلس يمسح عينيه من الماء: في إيه ؟

- حرامي دخل بيت فريدة ومرام .. لازم نروح نلحقهم قبل ما يحصلهم حاجة

بمجرد سماع اسم فريدة؛ هب مصطفى مسرعا: طب يلا بينا بسرعة

أمسك أكرم بذراعه يوقفه وقد شعر بالحنق: يلا إيه .. بالبيجاما ؟ روح غير وحصلني على

تحت

أتجه كل منهما إلى خزانته يرتدي ملبسه ثم تقابلا عند الباب وانطلقوا بالسيارة ناهيين الطريق

بأقصى سرعة، وكل منهما يفكر في أمر ذلك اللص الغبي .. فكيف يفكر لص في دخول ذلك

الحي الفقير وهو أغنى ما فيه هو قلوب أولئك الناس القاطنين به، وأغلى ما في بيت
عبدالرحمن الجوهر الداخلي لبناته.



الفصل السابع عشر

بيت وشك على الهلاك، لا يدعى بيتا بل إنه مجرد أنقاض، تحيطه المقابر فقط .. لا تسمع فيه سوى صوت ذئاب الجبل؛ تعوي وصوت صارصور الليل وهو يأن .. تنظر بداخل الحطام فتجد جسد ضئيل متكوم، مكثف اليدين والقدمين، عندما تقترب منه تجد عينيه مغمضتين، ومعالم الألم الصامت ترسم على ذلك الوجه النائم بينما يقف شخص على الباب يتحدث في هاتفه بصوته الغليظ: قولتك أخذتها هي ليه .. ولعاشر مرة بأقولك شافت وشي؛ لو سبتها كانت أول ما تفوق هتعرفني .. إنتي نسيتي إن ليا سوابق ولا إيه ؟

- ما كنت قتلتها

- ههههههه بكل سهولة كدا ؟ هو أنا ناقص قواضي .. كفايه اللي عليا

انفعلت: طب أنا ماكنتش عايزة الزفتة اللي عندك دي .. كنت عايزة أختها الثانية

- أعملك إيه يعني؟ نصيبنا وقع في دي .. نطلب بدلها فدية وخلص .. وكدا كدا اللي كان

هيدفع ف الثانية هيدفع ف دي

- أنا اخترتك لأن حد ثقة بالنسبة لي رشحك .. يا سعد

- يا هانم أنا سداد، بس الظروف جت كدا أعمل إيه ؟

بعد تفكير: خلاص خلاص .. المهم تطلب الفدية اللي اتفقنا عليها .. وخلي بالك م الزفتة

اللي عندك دي

- يا باربهان هانم، ما تقلقيش كله تحت السيطرة

أغلق سعد الخط وأتجه إلى فريدة، يمسك بزجاجة مياه؛ سكبها على وجهها، بدأت في الإفاقة، لا ترى شيئاً في البداية فتحاول إغماض عينها وفتحها من جديد: أنا فين؟ وأنت مين؟

قهقهه: اسألتك كثير يا حلوة .. ودي مش بشرة كويسه

اقترب منها سعد يحاول أن يزيح عنها إسدالها الذي مازال يغطيها، حاولت إبعاد نفسها عن يديه على قدر المستطاع، هتفت به: عايز إيه؟

رمش ببراءة: عايز أشوف الجرح بتاعك عشان أربطه

رفضت بحزم: لا مش عايزة .. سيبي وأبعد عني

- يا بنت الحلال أنا عايز مصلحتك؛ لو سبتك هتفضلي تنزفي لحد ما تتصفي وتموتي

- عندي أموت ولا واحد زيك يشوف حتة من جسمي ولا حتى يلمسني

- وليه الغلط دا بقي؟ دا جزاتي يعني؟ .. طب بصي هأربطلك القماشة دي ع الجرح عشان

النزيف يقل شويه

- أنا هأربطها لنفسي

- ما ينفعش أفكك يا بطة ... أنا اللي هأربطه

صممت: يا أنا اللي أربطه .. يا مش هتقربلي

تعب من مجادلتها؛ فقد أنهكته منذ رآها في منزلها، يشعر بالصداع من أثر ضربتها ويعلم جيدا أنها لن تستطيع الذهاب إلى أي مكان وهي على هذا الحال؛ ألقى إليها قطعة القماش: هاخرج برا عشر دقائق وهأدخل كدا حلو؟

غادر سعد بعدما فك قيدها، وتركها لترى جرحها؛ فحاولت تبين عمقه لكن ضوء النهار لم يتصاعد بعد، لكنه على وشك فاستسلمت لفكرة ربطه فقط، فهي لا ترى شيئاً على أية حال.

أقفل آدم الحقائق بعدما جهزتها ندى، كان لسان حالها لا يتوقف عن ترديد الاستغفار؛ هي تعرف أنه مفتاح الكروب، سألته باكية: حجزت ع الطيارة الجايه؟

أوماً فيما ألقى نظرة على ساعته الفضية: أيوه هتطلع كمان ساعتين

استقامت في وقفها: أنا لازم أقول لهند

نصحها: ما بلاش .. كفايه إحنا، دول لسه ف شهر العسل

غمغمت من بين دموعها: لو خبيت على هند .. لما تعرف مش هتسامحني، وأنا لو كنت

مكانها كنت هأضايق لو حد خبي عليا

خرجت من غرفتها واتجهت إلى غرفة هند بينما آدم يلحق بها، دقت الباب بقوة من توترها دون أن تلاحظ ذلك.

قبض على يدها محذرا: براحه مش كدا، هيقوموا مفزوعين

استيقظوا على طرقات الباب، نهض أحمد يرتدي ملابسه وأسرعت هند تخفي جسدها أسفل مأزرها، فتح أحمد الباب وأختفت خلفه هند متوجسين.

أحمد: ندى .. آدم .. خير؟

آدم: خير إن شاء الله

هند: في إيه يا ندى؟

زاد بكاء ندى: حرامي .. حرامي هجم ع البيت بتاع إخوانك

شهقت هند مصعوقة: إيه؟!؟!!

ركضت تحمل الطفل بين ذراعيه وظلت على هذا الحال حتى وجدت نفسها تقف أمام بيت

بأول الحي وتدق بابه، فتحت لها السيدة زنوبه بعدما فرغت من صلاة الفجر: مرام؟!!

فرغت زنوبه من حالتها، تنظر حولها بتوتر فائق، تضم الصغير إلى صدرها كأنها تهاب فقدته،

اسندتها كي تدخل.

سقط نظرها إلى الموضع فوق السجادة حيث تعلقت أعينهم، رأت الدماء فبدأت بالصراخ
كأي من بنات حواء؛ أجمع الجميع وأتصل أحد الجيران بالشرطة، بقي مصطفى وأكرم كل
في صدمته لاحتمال فقدة المرأة التي يحب، ونسي كل منهما أمر .. سيف.



الفصل الثامن عشر

وقفت السيدة العجوز تمسك بقايا قماش تدلى من فوق النافذة كان فيما مضى بمثابة ستارة، حدقت في الطريق ثم أطلقت سراح القماش المهترئ واتجهت تجلس إلى جوار مرام قائلة: دي عربيات بوليس .. أنا بأقول تروحي توريهم نفسك عشان يعرفوا إنك بخير

بجسد لا يقوى على التحرك، حتى الزفير والشهيق يرهقها نظرت إلى الجسد الصغير الممدد على الأريكة المجاورة: مش قادرة اتحرك، وسيف نايم لو صحي ومالاقنيش جنبه هيتخض قطعت حديثها لتصب بعض الدموع التي ترقرت من جديد بين جفنيها ثم أضافت بألم: دا غير إني لو سمعت حاجه وحشه عن فريدة .. ممكن أموت فيها

جذبت زنوبه بأطراف أصابعها الملابس بعيدا عن صدرها وبدأت تبخ بعضا من رذاذ ريقها بين القماش وجلدها، نهزت مرام: تفي من بؤك، بعد الشر، الشر برا وبعيد .. إن شاء الله هتكون بألف صحة وخير

- يا ريت

تناولت حجابها الأسود الخفيف من فوق ذراع أحد المقاعد، فتحت الباب بينما تصلح وضعه فوق رأسها، خاطبت مرام بحزم قبل أن تغادر وتقفل الباب خلفها بهدوء: هأروح أقولهم إنك عندي؛ ليجي حد من عيلتك يا بنتي ولا فريدة تكون قلقانه عليك

سارت في الشارع بأسرع ما تستطيع فعله قدماها، لقد أضافت الجملة الأخيرة فقط كي تبث
الطمأنينة في قلب مرام بينما قلبها لا يبشرها بأخبار سارة، نفضت الأفكار المتشائمة عن
رأسها ودعت أن تكون فريدة بخير وألا يصيبها مكروه.

صعدت البناية والبسملة لا تترك لسانها، حاولت العبور من أمام العسكري لتدخل الشقة لكنه
منعها: ممنوع يا ست

- بس أنا عايزه أشوف الضابط ولا حد م اللي هنا .. أصل مرام والواد الصغير موجودين عندي
يا ابني

وقف الضابط عاقدا كفيه خلف ظهره، يتابع تحركات أفراد الامن عبر الشقة، جلس على مقعد
قريب منه أكرم في حالة أشبه بانهيار أما مصطفى فقد كان يتبادل بضعة كلمات مع الضابط
كلما خطر له خاطر ما محاولا تمالك أعصابه؛ علّه يتوصل إلى شئ يفسر ما جرى .. حينها
سمعوا تصريح تلك السيدة فأسرع إليها مصطفى وتبعه الضابط وبالنهاية أتى أكرم: إنتي عارفه
مكانهم فعلا؟

- أيوه يا ابني هما عندي ف البيت دلوقتي

وقف أكرم أمامها بلهفة: يعني مرام عندك؟؟

أومأت بالإيجاب: أه .. هي والواد الصغير اسمه .. اسمه ...

حث الضابط ذاكرتها المتأكلة: سيف؟

ضربت كفيها مؤكدة: أيووه، اسم الله عليك .. سيف

سألها مصطفى بتردد: أومال ما جبتيش سيرة فريدة ليه؟ هي مش معاهم؟

قرعت زنوبه صدرها بكفيها فيما صرخت مرتاعة: لهو فريدة مش هنا؟

الضابط: لا إحنا جينا ماكنش في حد ف البيت

أكرم: يعني هي مش عندك؟

- مرام جاتلي وهي شايله الواد، كانت بتتنفض يا حبة عيني وعماله تبص وراها .. لما هديت

وحكيتلي اللي حصل، قالتلي إن المزغود إلهي يجحمه مطرح ما راح بعد ما ضرب فريدة

بالسكينة ولا المطواة .. أنا عارفه الأشكال دي بتمسك إيه!

صرخ مصطفى: مطواة؟! .. يعني الدم اللي جوا دا بتاع فريدة؟

أمسكه الضابط من ساعده يهدئه حتى يسمع بقية الرواية من المرأة: استنى بس يا أستاذ

مصطفى خلينا نسمع للآخر .. كملني يا حاجة

أكملت: لما ضربها .. زعقتلها فريدة وقالتلها تاخذ الواد وتجري بعيد .. قامت مرام خدته

وجاتلي البيت .. لكن أنا ما شوفتش فريدة

أكرم: وانتي بيتك فين؟

- هنا يا ابني، ف أول الحتة .. مش بعيد

أكرم: طب ممكن تاخذينا عندك لو سمحتي؟

رحبت بهم: البيت بيتك يا ابني .. تنور وتأنس

ابتسم لها أكرم بتعب: تسلمي يا حاجة

تبعها الضابط وبعض العساكر خلفه، أمسك أكرم ذراع مصطفى الذي فقد الاحساس بما يدور حوله؛ فقد كان جلّ تفكيره ينصب على فريدة .. يتذكر بقع الدم الخاصة بها والتي سرت في أوردتها وعبر شرايينها قبل أن تراق أرضا، بدأت الدموع تتقطر من عينيه في صمت، نظرت له زنوبه وقد لاحظت دموعه: بتحبها يا ابني أوي كدا؟

أجاب دون النظر إليها: أكثر من نفسي

طرقت على كتفه: إن شاء الله تكون بخير وربك يعطرك فيها

- آمين .. أدعيها يا حاجة

- مش محتاج تقولي يا ابني دي زي بنتي، ربنا يحرسها وبخليها لشبابها ويرجعها لنا بالسلامة

بعد دقيقة كانوا قد وصلوا إلى منزل زنوبه، فتحت الباب تحثهم على اللحاق بها: اتفضلوا

اتفضلوا .. دا البيت نور

تقدمهم أكرم فوجد فتاة تلبس عباءة واسعة جدا عليها، تضع حجابا، بدى من الملابس أنها

تنتمي للسيدة العجوز، ملامحها شاحبة، أحمرت عينيهما من كثرة البكاء لكن رغم اختلاف

شكلها عما أعتاده .. عرف هويتها؛ عن طريق قلبه الذي ما إن رآها حتى علت دقاته مرة أخرى
معبرة عن فرحته برؤيتها سالمة آمنة.

الضابط: حضرتك الأنسة مرام عبدالرحمن؟

وقفت تهمس بالرد: أيوه

الضابط: ممكن تحكيلنا كل اللي حصل لو سمحتي؟

عادت للنحيب من جديد بينما تروي ما حدث للمرة الثانية، تستعيد ذكرى الفزع والخوف
الذين شعرت بهما، رؤية الدماء تنفر من جسد شقيقتها، سقوط فريدة أرضا تتوسلها الهروب
بعيدا قبل أن تطالها يدي ذلك المهاجم، أنهت حديثها: بس مش عارفه حصل إيه لفريدة ..
هي كويسه؟

رد عليها أكرم بأسف عندما مرت دقيقة صمت: مش عارفين

ركزت نظرها فوقه وسألته بدهشة: إزاي؟

أوضح: ماكانتش ف البيت لما وصلنا

صرخت به: إزاي .. يعني هيكون الحيوان دا عمل فيها إيه؟؟

الضابط: إهدي يا آنسة مش كدا

توجه أكرم بسؤاله للضابط: ممكن ناخذها ونمشي؟

هز رأسه صعودا وهبوطا بإذن واضح: أكيد .. إحنا خلصنا كلامنا

أضاف ينظر إليها: بس لو افتكرتي حاجة تاني يا ريت تتصلي وتبلغينا

أشار الضابط للعساكر حتى يلحقوا به، غادر عائدا إلى المنزل يتابع ما تبقى من إجراءات، وقف أكرم يشكر زنوبه حسن ضيافتها لهم ولمرام وسيف، رفع سيف فوق كتفه، أسند الصغير وجنته الوردية فوق كتفه متابعا سباته، هم بالمغادرة عندما لاحظ مصطفى جالسا بلا نية في الذهاب، ناداه: مصطفى .. يلا يا ابني

نهض مصطفى بلا حول ولا قوة، أوقفته زنوبه بابتسامة صغيرة، شجعتة مطمئنة: صلي .. صلي يا ابني وأدعيها كتير ربنا ينجيها؛ هو وحده العالم بحالها دلوقتي .. وهو القادر على كل شئ غادر من عندها وكلماته تطن في أذنيه، ومشاهد نسجها خياله لما حدث في الشقة وما يحدث معها الآن، أغمض عينيه بقوة، اعتصرهما، زفر بحدة وبكى حتى جفت عيناه.

أسدل قطعة كبيرة من الكرتون على الباب وسد فتحات المكان ببعض الخردة؛ فحجب أشعة الشمس عن الدلوف لكنه لم يمنع بعض أشعتها من التسرب إلى الداخل فأنارته إنارة بسيطة، ترك الضوء الضئيل كما هو مُسهلا حركته بالداخل كذلك لا يجذب الأنظار.

—أخبار الجرح إيه؟

سخرت: يهملك أوي؟

- طبعا .. ما هو لو جرائك حاجه أنا اللي هاروح في داهيه

تجاهلته حديثه: أنت عايز مني إيه؟

ضحك ملئ شذقيه: كل خير .. فدية صغيرة مش أكثر.. شوفتي بسيطة إزاي؟

قطبت: ومين اللي قالك عندي فلوس أو عند أهلي؟

ضحك متخابثا: يمكن مش عندك ولا عند أهلك، بس عند حبيب قلب أختك أو جوز أختك

التانية .. مش فارقه .. المهم الفلوس توصل

همهت بشرود: أكرم؟

- اسم الله عليكى ما إنتي طلعتي فايقة أهو

بعد صمت دام دقائق مرت كأعوام صاحت به على قدر طاقتها: عايزة أصلي

ترك إبريق الشاي من يده ونظر لها كأنها فقدت عقلها: نعم ياختي؟

كررت بوهن: عايزه أصلي

سعد ضاحكا: لأكون خاطف الخضرة الشريفة .. وأنا ما أعرفش

- خضرة ولا مش خضرة .. أنا عايزه أصلي

- مافيش مصليه هنا

أصرت: مش مهم .. قولي القبلة فين وهاتلي شويه مايه أتوضا بيهم

تنهد ثم نهض من مكانه متثاقلا، وضع أمامها زجاجة مياه مشيرا إلى اتجاه القبلة: كدا .. على ما أظن يعني .. شوفتهم لما بيصلوا ع الميت يوقفوا كدا

سألته: هو الضهر أذن؟

حرك يديه في الهواء: هوهوووو .. دا العصر خلاص قرب

لم تنتظر سماع المزيد لتتأخر أكثر من ذلك، أعطته ظهرها كي تتم وضوءها، شعر سعد ببعض الجرح فتركها محدثا نفسه: كدا كدا مش هتعرف تهرب بحالتها دي ولو حاولت هأحصلها دي مافيهاش نفس

ضغطت على نفسها حتى تستطيع النهوض لكن ما إن أنهت أول أربع ركعات الخاصة بالسنة السابقة للظهر، لم تستطع الاستمرار في الوقوف وبدأت تترنح .. وأثناء ركوعها ضغطت على الجرح وتحاملت عليه بأكثر مما يستطيع فعاد النزيف يزداد مرة أخرى.

كان يقف على الباب ينظر للخارج ويلتفت إليها بين الحين والآخر، رآها تترنح فأسرع إليها يسندها حتى تجلس بجوار الحائط، ودت في تلك اللحظة أن تدفعه بعيدا وتمنعه من لمسها لكن لم تكن تتمالك نفسها من كثرة الألم فقد ترك الجرح دون خياطة أو حتى تطهير لعدة ساعات طويلة.

—مش خلاص صليتي ؟ .. كفايه بقى، ارتاحي شويه

- لا لسه ما خلصتتش

استدارت جهة القبلة بجالسة لا تقدر قدميها على حملها، لحسن حظها اتجاه القبلة ملائماً لوضعية جلوسها؛ حتى تستطيع الاتكاء بظهرها على الحائط، استغرقت في صلاتها، تركها يتعجب من أمرها؛ كيف تصلي وهي على هذا الحال؟، فيما هو كلما شعر فقط ببوادر تعب أو بشكل أصح تكاسل، ترك الصلاة ويجعلها تتراكم عليه حتى يعجز عن تأديتها لكثرتها، هذا عندما كان يصلي منذ أمد؛ فقد هجر صلاته منذ توفيت والدته وأصبح وحيدا حيث شعر أن الرب الذي يحرمه من أهم شخص في حياته لا يستحق العبادة.

لم يتمعن في قول الله تعالى "ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين".

بعد انتهاءها من صلاة الظهر وما يليها من سنة، أصبحت تصلي دون توقف حتى سلمت من إحدى صلواتها التي لا تعلم ما عددها فيما صلت؛ كانت تشعر أن روحها قد تقبض في أية لحظة، رغبت أن تقبض وهي عابدة مصلية.

سمعت آذان العصر، رددت معه، قالت الدعاء، سنة عن رسول الله حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم "من قال حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته .. حلت له شفاعتي يوم القيام" كذلك قال "من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام ديننا، غفر له ذنبه"

في إنتظار إقامة الصلاة بدأت تدعو الله أن يرحمها وينجيها ويبعد عنها من يريد الضرر بها أو
ياخوتها وبالمسلمين جميعا ثم ختمت بسؤال الله حسن الخاتمة وشفاعة النبي لها وأن يرزقها
فسيح جناته، استمرت في دعائها عملا بحديث الرسول القائل فيه "لا يرد الدعاء بين الآذن
والإقامة"، سمعت الإقامة فقامت بتأدية صلاتها، ما إن انتهت حتى غامت الدنيا أمامها وفقدت
إتزانها مما أدى إلى سقوط رأسها على الأرض جانبا.

- ما خلاص يا إيمان إهدي شوية .. إن شاء الله البنات بخير

صاحت بصوت عالٍ: خير؟!، وهيجي منين الخير وأنا حاسه بقلبي واكلني عليهم

تنهد: ما إنتي كل مرة بتسافري وتسيبيهم بتقلقي إيه الجديد؟

إيمان وهي تنظر إلى الـ لا مكان: الجديد؟ .. الجديد إنها أول مرة أحس بنار والعه ف قلبي

كأن فيه واحدة منهم جرالها حاجه ... يا خوفي

- طب هدي نفسك كدا وأقري المعوذتين .. وإن شاء الله خير

- بردو بتقولي خير .. أنا هاتصل بيهم أطمئن لأحسن أكثر من كدا هأتجنن

رفع رايته البيضاء مستسلما: طيب، بس كلميهم بهدوء بلاش تخضبيهم ع الفاضي

وافقته وذهبت لتها تفهم لكن استمر الرنين دون مجيب، رفعت نظرها إليه بقلق أكبر: لا دا

كدا مش طبيعي .. يبقى فعلا في حاجه

تسرب إليه بعض من قلقها: إيه؟ .. في إيه؟

- لا تليفون البيت بيرد ولا موبايلات كمان

- إنتي هتقلقيني ليه؟ .. يمكن بيصلوا العصر ولا حاجه

- لا أنا مش هأستنى أكثر من كدا .. هاتصل بأم جلال يمكن تكون عارفه عنهم حاجه

دقت أزرار هاتفها تقلب الاسماء بسرعة وتوتر تتلمس أول إشارة إلى اسم أم جلال المقيد

بهاتفها: السلام عليكم

- وعليكم السلام يا إيمان .. قلبي معاكي يا حبيتي

اعتصر قلبها خوفا: ليه؟ .. هو حصل إيه يا أم جلال؟

شهقت: لهو إنتي ماتعرفيش اللي جرا؟

صاحت بها: إيه اللي جرا؟

سردت ما حدث وما تعلمه؛ سماعها صراخ بالشقة المجاورة، نداء أكرم ومصطفى على

الأختين، آثار الدماء التي رأتها حتى أنتهت بوصول الشرطة التي حضرت ثم انصرفت تاركة

عسكري على باب الشقة واختفاء الفتاتان ومعهما الصغير.

قلب الأم لم يستطع إكمال معرفة تفاصيل أكثر أو استيعاب كلمات المواساة من جارتها وقريبة زوجها، كأن عقلها تنبأ بسماع خبر إصابة إحدى فلذات كبدها بمكروه أشد وطأة فأتجه إلى الهروب من الواقع المرير عبر إرسالها في رحلة مدفوعة التكاليف إلى عالم اللاوعي.

سقطت من يدها السماعة ليتردد صوت أم جلال على الناحية الأخرى من الخط مجلجلا: آلو



الفصل التاسع عشر

كان القلق هو الشعور السائد في فيلا السويفي، اجتمع الجميع في صالة المنزل، أسدلت الستائر فغمر البيت الظلام قبل أوانه، ضمت هند شقيقتها كي تخفف عنها فيما تذرّف دمعها في صمت، في حين جلست صابرين بجوار مرام من الجهة الأخرى تحاول تخفيف وطأة أصعب لحظات حياتها.

وقف أحمد بعيدا عن أصوات النواح؛ يقوم بمحاولات مختلفة مع أشخاص ذوي نفوذ، للوصول إلى مكان فريدة أو معرفة هوية خاطفها، فأحدهم شرطي وآخر يعمل لصالح المخابرات.

احتل آدم وأكرم إحدى الأرائك يتوسطهم مصطفى الذي وضع رأسه بين قبضتيه ناظرا للأرضية أسفل قدميه، الدموع تهطل منه دون توقف؛ تبدل حاله مع أكرم، عندما أطمئن الثاني لسلامة مرام عادت سيطرته على ذات، أما الأول فقد طارت أعصابه مع الريح منذ علم أنها صاحبة تلك الدماء التي رآها ولا يعلم ماذا حل بها .. "حببته الضائعة".

دخلت ندى كاسرة حاجز الصمت القائم في المكان: أخيرا سيف نام .. فضل يعيط ويقول ديدة لحد ما تعب ونام

تنهدت وجلست على مقعد جانبي، زفرت صابرين: إن شاء الله ترجع بالسلامة

دق جرس الفيلا يعلن قدوم زائر مفاجئ دون سابق ميعاد، أتجه ياسين يفتح الباب ويرى من الطارق؛ صدمه رؤية إيمان وعبدالرحمن بالإضافة إلى شحوب وجهيهما كالموتى؛ لقد ذهبا إلى أم جلال وأخبرتهم أنها لا تعلم مما قالت، لكن أتت زنوبه لترى إذا كانت هناك أخبار جديدة والتقتهم وأخبرتهم بأن الشابين أخذوا مرام معهما، مما جعلهم يسرعوا فوراً إلى منزل السويفي.

رحب بهما ياسين: أهلاً أهلاً .. اتفضلوا

بمجرد رؤية مرام لوالدتها؛ ركضت ترتدي بين أحضانها كما اتجهت هند إلى والدها، يتلمس كل منهما الراحة فوق صدر الآخر، كذلك الشعور بالاطمئنان والتخفيف من حدة غياب فريدة.

بعدها جلس الجميع وهدأت الأشواق، صرحت مرام باكياً، تخفي وجهها خلف كفيها: أنا السبب .. أنا السبب

ربتت الأم على كتفها دون أن تمنع سيلان الدموع التي خبطت أحاديدها فوق وجنتيها: ما تقوليش كدا يا بنتي

انفجرت: ما أقولش كدا إزاي بس .. الراجل كان هيضربني أنا بالسكينة بس هي فادتني ودافعت عني مع إني ما استاهلش .. كنت لسه مزعقه لها ومتريقه عليها، وحتى ما قولتلهاش تصبحي على خير .. سبتها ودخلت أوضتي .. كمان رزعت الباب ف وشها عشان ما تفكرش

تكلمني .. كل دا ومش عايزاني أقول كدا؟! .. عمرها ما غلظت ف حقي وكانت بتعاملني
كأم أكثر منها أختي الكبيرة ..

تشدقت: عمرها ما غصبت عليا حاجه؛ حتى الحجاب .. كانت بتدعيلي ربنا يهديني
وتنصحنني، بس كنت بأركب دماغي .. ولما روحت قولتلها أنا هاتحجب فرحت لي أكثر من
نفسي .. وف الآخر يحصلها دا كله بسببي

تدخل ياسين بعقلانية حتى يهدأها: دا حرامي .. بس نصيبه دخل أوضتك إنتي يا بنتي
اقترب منهم أحمد، توجه بحديثه لوالده قبل البقية، قال بجد: لا يا بابا .. دا كان قاصد مرام
نفسها؛ الطابط قالي إن أوضة فريدة هي الأسهل ف دخولها .. عشان جنبها مواسير كبيرة
يقدر يطلع منها ع أوضة فريدة على طول، لكن أوضة مرام أبعد .. غير كدا البيت ما أتسرقش
منه حاجه

فغر عبدالرحمن فمه مذهولاً: يعني هيكون عايز مننا إيه ؟ .. ومن مرام بالذات؟

فكرت ندى بصوت مرتفع: يمكن عشان يطلبوا فديه

حدقت بها إيمان بتعجب: بس إحنا معناش فلوس للدرجة دي ولا شكلنا يقول إن معانا وإنما
مستعدين لدفع أي فدية

تساءلت صابرين: وبعدين ما اتصلوش ليه لحد دلوقتي مادام الموضوع كله فديه؟

شرد أحمد قبل أن يقول بعقل: أكيد بيدونا وقت عشان أعصابنا تتعب وبمجرد ما يتصلوا
نوافق على أي مبلغ .. بأي شروط

انتفض مصطفى من مجلسه منفجرا: بس بقي، بس .. أنتوا قاعدين تتكلموا وتضربوا أحماس
ف أسداس، وإحنا أصلا مش عارفين هي حيه ولا ميتة .. مش عارفين الحيوان دا حطها فين
.. ولا جرحها عامل إزاي .. عالجهها ولا سايبها تموت!؟

عاد البكاء يزداد مرة أخرى بعد كلمات مصطفى التي قلبت الأوجاع وألهبت الجروح
المفتوحة، تلتقط ما يعيد وجعها من جديد، أتجه إليه آدم مهدئا: أهدى مش كدا .. يعني
بإيدنا إيه ما عملنهوش؟

صاح مصطفى بغضب من نفسه أكثر من غيره: ماهو دا اللي هيجنني .. إحنا قاعدين متكتفين
.. ف المستشفيات مالهاش أثر يعني سيبها كدا تنزف عادي .. قلقان عليها وخايف بس مش
عارف أعمالها إيه .. حاسس إني متربط

دنى منه أحمد ووضع يده بقوة فوق أكتافه: أدعي ربنا يفرجها

ألجمته الجملة الأخيرة، جمع شتات نفسه وأنصرف خارجا، حاول أكرم اللحاق به لكنه لم
يدركه؛ فقد أخذ سيارته منطلقا بها كأنه قد تذكر شيئا غاب عن باله أو أتاه خبر ما.

استغرقت في الصلاة والدعاء، تطلب من الله المغفرة والعفو عن أي ذنب اقترفته في حياتها قد يهلكها في آخرتها، فلا يعلم المرء بأي عمل يدخل الجنة وبأيها تأكله النار، رأت الباب يفتح عقب سلامها، ظل يتجه إليها ويمد يده كي تتمسك بها ثم يساعدها على النهوض، نظرت لوجه الغريب وتمعنت به حتى اتضحت معالمه أمامها، مصطفى يتسم لها متشبثا بكفها، يحثها قائلاً: يلا قومي معايا

نظرت إليه مصعوقة: أنت جيت هنا إزاي؟ وعرفت مكاني منين؟

محافظا على ابتسامته أجابها: قلبي ... قلبي دلني على مكانك

أحمرت وجنتيها: ومال قلبك ومالي؟

غمزها متبسما: يعني مش عارفه؟

استفسرت متهربة: يعني هتاخدني على فين؟

طمأنها: على مكان أحلى من هنا

أصرت بعدما سحبت يدها من كفه: أيوه .. يعني على فين؟

مد يده أكثر نحوها: تعالي وانتي تعرفي

همت بإمساك يده لكن حال دون ذلك ظهور شبح أسود طويل خلف مصطفى، أفرعها

فصرخت به محذرة: حاسب

شعرت بيد تهزها: إنتي مش عايزه تقومي تصلي المغرب ولا إيه؟

فتحت عينيها بفرع ونظرت حولها، مازالت سجينة، سألته بينما تفرك جبينها لتفيق: هو أذن؟

- أيوه، ولما ما صحتيش لوحك قوتل أصحكي مع إني كنت هأسبيك

- لا كتر خيرك

ناولها زجاجة مياه أخرى غير التي أنهتها: خدي أتوضي، وأنا هاخرج برا شويه وجاي

تركها تتأهب لتأدية فرضها، أفاقها ليس لتصلي فقط بل ليطمئن أنها ماتزال على قيد الحياة؛

فمنذ أغمي عليها بعد صلاة العصر وهي راقدة دون حركة سوى سماع بعض الهمهمات التي

لم يفهم منها شيئاً.

اخرج هاتفه وضغط عددا من مفاتيحه مرددا بصوته الغليظ: آلو

صوت أنثوي ناعس: آلو

ضحك متخابثا: تصدقي صوتك حلو وإنتي لسه صاحيه من النوم؟

- عايز إيه؟ اخلص

- ما براحه يا جميل، مايقاش قلبك حامي كدا

تأفتت باربهان: يووه .. ما تخلص يا زفت

- زفت زفت مادام منك يا جميل .. ع العموم أنا كنت عايز اعرف إحنا هنتصل بيهم إمتى؟

- مش دلوقتي .. سيهم على نار شوية

- يا قاسي أنت يا أبو قلب جامد ... وليه دا كله؟

بغل: أنت أه ما عرفتش تجيلي البت اللي كنت عايزاها بس جبت أختها فأكيد دلوقتي هي عماله تاكل ف نفسها ومقطعة نفسها من العياط على أختها حببتها .. والبيه تلاقية مضايق على حبيبة القلب، خليه يبقى يشبع بيها ويتحرق دمه ودمها أكثر

ضحك بغلظة: مش قولت قاسي

- المهم ع الفجر كدا أبقى اتصل بيهم .. أكيد مش هيجلهم نوم من غير ما يطمنوا على

السنيرة اللي مرميه عندك .. بس أهو حتى ولو ناموا يقوموا مفزوعين

- شكلك مغلولة منهم أوي

صرحت: أكثر مما تتخيل

- طب سلام بقى لما ادخل أشوفها

- روح .. خلي عينك عليها

اغلق سعد الخط، كاد يدلف إلى الداخل عندما ارتفع رنين هاتفه من جديد قبل أن يغلقه، ردد

متأففا: أيوه

- إيه يا ابني، فينك مختفي كدا؟ .. يومين لا حس ولا خبر؟

- ورايا شغل يا هشام .. عايز حاجه؟

هشام بقلق: شغل إيه دا؟ .. ما قولتليش يعني إن أنت لاقيت شغل

تأفف بملل وضيق: هو أنت كنت أمة .. ما تحل عن دماغى شوية

- أكيد حاجه مشبوهة تاني .. يا ابني أنت حالف لتودي نفسك ف داهيه؟؟

- أروح ف داهيه .. أروح النار حتى .. مش شغلك

- طيب خلاص براحتك، أنت فين دلوقتي؟

- ليه؟

- عايز أشوفك يا أخي

- طيب طيب، هأجيلك بكره الصبح

سأله بشك: وليه مش دلوقتي؟

- يووه، أنا هأقفل أحسن

أغلق الهاتف نهائيا؛ حتى لا يسمع إلحاح صديقه، دلف إليها، وجدها تصلي؛ فقد سمع آذان

العشاء قبل اتصال هشام به، تركها تصلي وجلس بعيدا مخرجا سيجارة ملفوفة يدويا، حجمها

كبير كأنها قرطاس لها رائحة غريبة لا يطيقها سوى من أعتاد عليها، بدأ يشربها ويتلذذ بزفرها
في الهواء بينما يضحك بسعادة، فدائماً المنحدرات تجلب السعادة إلى قلبه ولو بشكل
مؤقت.

ظل يقود السيارة بأقصى سرعة؛ كأنه يسابق الريح، أوقفها فجأة على أحد أجانب الطريق، طرق
عقله كلام السيدة المسنة.

"صلي، صلي يا ابني وأدعيلها كثير ربنا ينجيها، هو وحده اللي عالم بحالها دلوقتي وهو القادر
على كل شئ".

يليه كلمات أحمد " ادعي ربنا يفرجها".

أتجه إلى مسجد كان على بعد خطوات منه، توضأ وصلى كثيراً واستغرق في الدعاء .. يا الله
كم نسيتك وكم عصيتك لقد ألهاني حزني عنك عوضاً عن تقريبي إليك، سامحني يا الله ..
وأقبل توبتي يا رب؛ فأنت ارحم الراحمين .. أرجوك لا تحرمني منها؛ هي أُملي في الحياة ..
أمل حصولي على السعادة الحقيقية، أعدك يا ربي أن أطيعك منذ الآن، لن أفعل ما يغضبك
وسوف اتقرب إليك وأفعل ما ترغبه وما يجعلك ترضى عني .. فإن كانت حبيبتي تحبك
وتطيعك، فكيف لي ألا أفعل .. أنت من بيدك وحدك أن تعيدها إليّ؛ فأعدها يا الله سالمة
معافاة.

صمم في عقله أنه بمجرد أن يجدها سيتزوجها، بعد رضا الله عنه، كفكف دموعه بينما يهم بالخروج، سمع شخصا من خلفه يناديه: يا ابني .. استنى

أشار إلى نفسه مستغربا: أنا؟

رجل ذو لحية بيضاء وعباءة بيضاء حتى سبحته كانت تبرق من البياض، لم يكن هناك غيره بالمسجد ولم يره مصطفى عند دخوله، قد يكون بسبب شروده أو إنهماكه في صلاته ودعاءه كذلك أفكاره التي تدور حولها وحدها.

ابتسم ابتسامة أضاءت وجهه : أيوه أنت .. تعالى

توجه إليه كأنه لا يستطيع الرفض وجلس بجانبه: خير يا حاج

محافظة على نفس بسمته: أنت كنت ماشي؟

أوماً بالإيجاب: أيوه

- مش هتستنى تصلي الفجر؟

دُهش: الفجر؟

- أيوه .. دا خلاص، كلها عشر دقائق وبآذن

رد بعفوية: بس أنا ما بأصليش الفجر

اتسعت ابتسامة الرجل: بتحب الحكايات؟

رفع حاجبيه عجباً ولكنه هذبهما احتراماً للرجل الذي أمامه: ومين مش بيحبها؟

- طيب اسمع الحكاية دي مني

عشان أصلي الصبح جماعة ظببت المنبه قبل ما أنام
وقبل الفجر ما يجي بساعة ضرب الساعة أربعة تمام
أتخضيت من صوته خضة قعدت بعدها متضايق
غلبت الشيطان وقومت اتوضه لاقيت نفسي بعدها رايق
إتوضيت والوضوء عبادة.....وقوام فردت السجاده
وصليت الوتر بعد القيام وحمدت ربي على الإسلام
وطلبت طلبات كثير ما هو أنا ف التلت الأخير
مش كده بس لأ وكان.....قعدت شوية أقرأ قرآن
بأحكامه كلها ومنها الغنة وفجأة سمعت صوت الأذان
أنزل الجامع أصلي السنة؟ ولا ف البيت هي كان؟
هي ثوابها ف البيت أكبر بس بصراحة خوفت اتأخر
صحيت اللي عندي ف البيت وقوم ع الباب جريت
فتحت الباب جالي أكتتاب ماشي لوحدي والسلم ضلمه

قوموا صلوا ي اناس يا ظلمه
أول ما خرجت م العمارة قابلني واحد بسجارة
بصلي من فوق لتحت وقالني: لو سمحت!
عايز منك كبريت قولت: بأسيه ف البيت
قالني: طب هات ولاعة قولت له: بص في الساعه
ده معاد الصلاة تعالى صلي الجامع قريب هنا قدام
سمعني بقول له صلي قال لي: عليه الصلاة والسلام
وكان هيمشي قلت: استنى وكلمته عن النار والجنة
الراجل خاف م العذاب وحب الجنة؛ فاستجاب
حسيت بنشاطي اتجدد وخذته من إيده ع المسجد
لاقيت واحد صحبي ف بلكوته شكله اتضايق لما شوفته
هو ساكن فوق الجامع لزق قلت له: انزل، قال: لأ
قولت لصاحبنا اللي اهتدى: إنهارده عمرك ابتدى
ولو سمحت سيبننا لوحدنا واسبقني أنت واتوضه
ومتناساش تقول لربنا وعجلت إليك ربي لترضى

استجاب وراح ف ثواني فبصيت لصاحبنا الثاني
قولت له: الشيطان بيغويك قال: صلي ع اللي هيشفع فيك
ومن الآخر ما تضايقتيش لسه ربنا مهدائيش
قولت له: ربنا يهديك بس أنت حاول تتوب
قال لي: ربنا يديك ويصلح بيك القلوب
ومتوجعش دماغي ودماغك وابقى خدني على جناحك
وأنا هأبقى أصلي بعد ساعة قلت: لأ لازم ف جماعة
قعد يعيد لي ويزيد لي ومبرراته أي كلام
مرة يقوللي كاللوا ف رجلي ومرة تعويره ف الأبهام
وقال لي: طب إيه يضر ... لو صليت قبل الظهر
قولت له: لأ هنا بقى وحاسب صلاة الجماعة شئ واجب
ومينفعش بعد شروق الشمس فأنزل بقى وبطل هلس
قال لي: من الآخر أنا حر والصبح معاده لحد الظهر
قولت له: طب فين أخوك قال بيصلي بعد الشروق
مشيت وأنا بأضرب كف على كف الناس خلاص عقلها خف

كنت من البرد هتجمد وأنا واقف بأتكلم معاه
المهم دخلت المسجد وعلى طول أقيمت الصلاة
يووووه ففتني السنه ما إحنا قبل كده قولنا
نصلي على طول ف البيت بس برضه وقتها حسيت
إن أنا بردو كسبان ربنا هدى بيا لإنسان
صليت وجنبي إثنين ثلاثة بس، ورا الأمام
صلى بينا ركعتين وحصل مشكلة بعد الختام
أنا بعد ما بعدت بعيد واستغفرت ربنا على ذنبي
راح صاحبنا الجديد يسلم ع اللي صلى جنبي
قال له: أتق الله يا مبتدع ياللي بسلام بعد الصلاة منخدع
قال له: هو السلام بقى ذنب ؟ قال له: أيوه ومرض ف القلب
رحت له وقلت له: براحه الراجل مايعرفش ده لسه جديد
قال: من الآخر كدا وبصراحه أنت باين عليك مبتدع أكيد
بتشجعه على الفسق والفجور ؟ كلامه خلى دي يفور
ومسكت نفسي بقدر إمكاني وصاحبنا قال: مش جاي هنا تاني

وأخينا الثاني ده مطنشه مع إن هو اللي طفشه
فكلمت أخينا بكل هدوء وسألته عن حكم ف الضوء
فجأه لقيته سكت ومبلم أنا قلت يا سلام سلم
بقي عامل فيها علامة وأنت مش عارف تتوضه
قال لي: أخرج من هنا بالسلامة طردني شر طرده
قلت: أنا قاعد للشروق قال لي: أخرج من هنا بالذوق
عملت نفسي مش سامع فجأة لاقيت أخوه بيندهله
أتاري العجارة اللي فيها الجامع بتاعت حد من أهله
خرجت وأنا بأهرش ف دماغي وحاسس إني مش متفائل
منهج الوسطية بقي لاغي ده متشدد وده متساهل
بقي ينفع نحرق دمننا وكل يوم نسأل بعضنا
البركة ليه راحت مننا؟؟ ده إحنا بنفوت ف كل فرض
يا جماعة من رحمة ربنا إنه ما خسفش بينا الأرض!*

بمجرد إنتهاء الرجل من سرد قصته حتى رفع الآذان، وضع يده على فخذ مصطفى يشجعه
بابتسامته البشوشة: يلا نستعد لصلاة الفجر

رفع رأسه لذلك الرجل الذي يشع وجهه نورا غريبا، وجد نفسه يشعر براحة كبيرة تتسلل داخله
ودب النشاط في جسده، نهش بابتسامة مشرقة تزين وجهه الوسيم ليتوضأ من جديد وقد أتخذ
عهدا على نفسه بصلاة الفجر في وقتها ... في المسجد.



الفصل العشرون

هجر النوم أعين الجميع، مفسحا المجال أمام القلق ليؤدي وظيفته على أكمل وجه وبأحسن صورة، جلس ياسين مسندا رأسه بيده ومع ذلك كانت رأسه تسقط ليستيقظ من غفوته ويعتدل في جلسته ويعود إلى ذات الوضعية.

حثة عبدالرحمن: اتفضل أنت يا ياسين، ارتاح .. كفايه متقلين عليكوا وقاعدين ف بيتكوا مش معقول هنقلق راحتكوا كمان

علق أكرم مسرعا حتى يزيح عن الآخر أي حرج: البيت بيتك يا عم عبدالرحمن، ما تقولش كدا

عابه ياسين بنظراته: دا إن ما شالتكوش الأرض نشلكوا ف عينينا

أضافت صابرين تساند زوجها: أكيد يا ياسين، هو بيقول كدا بس عشان يعرف غلاوتهم عندنا

شكرت إيمان حماة ابنتها: الله يكرم أصلك .. أنتوا اللي ولاد أصول

نهضت صابرين تحاول إقناع زوجها: يلا يا ياسين؛ عشان ترتاح وتنام شويه

ياسين رافضا: لا لا أنا مش نعسان، دا الدوا هو السبب

عبدالرحمن: اطلع واسمع كلام مراتك

استسلم في النهاية وانصاع: طيب بس لو عرفتوا حاجه قولولي

وجهه وأغلب ملامحه في ظلالها، سار في الشارع الخالي إلا من كلب ضال وعمود إنارة
وحيدة في الطريق المهجور، كأنه بلا نهاية.

سمع طرقا على الباب، أتجه إليه حتى يرى الطارق، فتحه مصدوما؛ لقد غاب عنه فترة طويلة
لم يفكر أنه سيقطعها قبل أشهر فتلك عادته: سعد؟

أجاب بينما يدخل المنزل: مالك مستغرب ليه؟ ما أنا قايلك إني جاي؟

أغلق الباب: ما أنت قفلت ف وشي فجأة؛ فقولت زعلت مني ومش هتيجي

ارتمي فوق أريكة كانت فيما سبق مذهبة الأطراف: لا وأنا أقدر بردو

- تشرب شاي؟

- ياريت، أحسن دماغى بتودي وتجيب

وقف يعد الشاي في المطبخ الذي لا يبعد سوى خطوتين عن مجلس ضيفه: خير في حاجه؟

- أبدا الشغل مش أكثر

- ما قولتليش .. شغل نوع إيه؟

- مش مهم نوعه .. المهم مكسبه

- لا المهم نوعه .. أنت شايف إن اللي أنت بتعمله صح؟

شخر ساخرا: حوش حوش .. لتكون فاكر نفسك أحسن مني يابا، لا اصحى وشوف أنت عايش وبتصرف من فلوس مين

واقفه نادما: عارف وتوبت وياريت أنت كمان تتوب

تراجع في جلسته ضاحكا: توبة .. يا ابني أنا ما تنفعنيش الكلمة دي خلاص

أسرع يحاول تغيير رأي صديقه حتى يعود للدرب الصحيح: ليه بتقول كدا؟ دا ربنا كبير

تنهد بينما يحدق في السجادة يُحصي ثقبوها: أنت لو شوفت البت اللي خاطفها وإزاي بتصلي وتدعي لحد ما تتعب ويغمى عليها وتصحى تصلي وتدعي .. هتعرف إننا مهما عملنا لربنا عمره ما هيجي جنبها حاجه

أدار ظهره بحذر؛ حتى لا يكتشف زلة لسانه عن غير قصد: بس اللي بيغلط ويتوب ثوابه كبير، حتى يمكن أكبر من اللي ما غلطش كمان

- دا كلام بنصبر بيه نفسنا

- وهتخلص الشغلانه دي إمتي؟

ارتشف من كوبه بعضا من الشاي، هز كتفيه: على حسب ما اللي أمرتني تقول

- هي واحدة كمان؟

اكتشف تهوره فنهض: أنا هأمشي؛ عشان ورايا مشاوير لازم اعملها .. عايز حاجه يا صاحبي

- سلمتك يا صاحبي

تأكد من تقدمه مسافة كافية، تناول مفاتيحه وغادر المنزل لاحقاً به؛ مهما حدث فهو صديقه ولن يستطيع أن يتركه يهوى من فوق الحافة إلى أعماق الخطيئة وقيعان الذنوب دون أن يحاول مساعدته ولو على الأقل محاولة فاشلة، حتى ولو على حساب نفسه.

الوقت يتجاوز منتصف الليل بساعة، لم يأتهم أي خبر أو اتصال من ذلك الرجل مرة أخرى، جهزوا الأموال المطلوبة وجلسوا يذوقون مرارة الانتظار، ترقباً لأمره كي ينطلقوا إليه فيتم تحرير فريدة من بين يديه القذرتين، لكن الانتظار طال والترقب فاق الاحتمال وليس هناك أخبار. كان التوتر يسود الأجواء لما دخل عليهم سيف بابتسامته الطفولية متجهاً إلى مجلس مرام؛ كفكف دموعها التي ما إن تتوقف حتى تعاود الهطول بغزارة أكبر: مش تعيطي يا مرمر

ضمته إلى صدرها: إزاي بس؟

تساءل ببراءة: وإنتي بتعيطي ليه أصلاً؟

تجذبه ندى بقربها: تعالي يا سيف وسيب مرام ف حالها

كرر بإصرار: طب هي بتعيط ليه؟

آدم مغيرا الحديث: وأنت مالك بقيت مبسوط كدا فجأة .. ما تفرحنا معاك

هتف بفرح: عشان شوفت ديدته

صدمة حطت فوق رؤوسهم، قيدت تفكيرهم وأطلقت صراح تساؤلاتهم، تهيئات وهلاوس أصابت الصغير من شوقه إليها أم حقيقية، وإن كان واقعا فكيف رآها قبلهم، لم يتزحزح من غرفته إلا للجلوس معهم .. فكيف حدث؟

أفاقوا عند إنطلاق مصطفى إليه، حمله ووضعته فوق ركبتيه: شوفتها فين يا سيف؟

- ف الحلم

تنهد مصطفى بخيبة أمل: حلم؟

نظرت له ندى بأسف ثم سألت ابنها: وشوفت إيه ف الحلم يا سيف؟

- كانت نايمه وفيه حواليتها دم كثير أوي .. بس بعدين جه واحد كدا أنا ما أعرفوش وشالها

وجابها هنا

دارت العيون، كل واحدة تحديق في نظيرتها، تتلمس الإنقباض الذي أحسته في عيون الغير،

تشارك الجميع مزيجا عجيبا من المشاعر، الأول هو الحزن وزيادة الخوف على حالها أما

الثاني فهو الفرحة والغبطة بعودتها القريبة، تقاسموا الحيرة متمنين تحقق الحلم وعودتها إليهم.

حاول مجدداً، مرارا وتكرارا أن يجعلها تستيقظ وتفيق، حتى من أجل الصلاة، أن تشرب، لكن لا حياة لمن تنادي.

وجد حرارتها شديدة الارتفاع، النار تتأجج بجسدها، لقد مضى على نزيها وجرحها وقتا طويلا دون علاج أو مداوة، أوشكت جسدها على الدخول في صدمة دون مجيب، تلهث الجفاف الذي أصاب بدنهما، وتتعرق ذنبا لم تقترفه فقط لدفاعها عن شقيقتها وطفل صغير السن، حاول الإنصات ليجدها تهذي بكلمات غير مفهومة، فكر كثيرا: أكيد الجرح، ربنا يستر وما يحصلهاش أكثر من اللي هي في دا

خلفها وراءه، ترتعش من الحمى فيما العرق يتصبب من كل أنحاء جسدها، زاد العرق في انتفاضة عبر خلايا جسدها، صنبور ماء تُرك يُفرغ ما بداخله دون أن يعبا بإغلاقه أحد.

اتصل سعد بمن وضعته في هذا الموقف يلتمس المساعدة: الحقيني

صاحت بفرع: في إيه؟! هبيت إيه المرة دي؟

– البت بتتنفضم السخونية، أنا خايف لتموت بسبب الجرح

تنهدت تأخذ أنفاسها المسحوبة منها: خضتني .. ما تموت ولا تتحرق بجاز .. المهم الفلوس

– أه ماهو إنتي بتقولي كدا؛ عشان إنتي بعيد .. لكن أنا اللي هأروح فيها

– والله أنا قولتلك أخطف بس، لكن أنت اللي طولت إيدك بالسلاح

- على العموم لو اتمسكت هأجيبك معايا مش هأرحمك .. أه ماهو يا نعيش إحنا الكل يا نموت إحنا الكل

- عليا وعلى أعدائي يعني؟

- الله ينور عليكى .. فساعدينى أحسنلك

- خلاص خلاص .. تعالى لي البيت ماما مش هنا وهنعرف نتكلم براحتنا

- كدا تعجبيني .. مسافة السكة وتلاقيني قدامك يا حلاوة

أغلق الخط، نظر إلى الجسد الذي استنزفت دماؤه ويطرد سوائله، وجدده على نفس الحال، فغادر متجها إلى منزل باربهان؛ حتى يجد حلا لتلك المعضلة وفكاكا من هذه الجريمة.

لم يلاحظ أثناء اسرعه بالمغادرة تلك العيون المختبئة تراقبه، انتهز المتلصص فرصة خروجه من المكان واتجه بخطوات سريعة إلى الصبية الملقاة أرضا، تهذي من الحمى، ركع بقربها يساعدها على النهوض: أبوس إيدك قومي معايا بسرعة قبل ما يرجع لو عايزه تفضلي عايشه وترجعي لأهلك

حاولت فتح عينيها المطبقة لترى المتحدث، لكنها لا ترى بوضوح، فقط شخص، حال الضباب أمام حدقتها من رؤية معالم وجهه، لكنها تعلم صاحب الصوت، نعم تعرفه، دقت أكثر في وجهه مجبرة عيونها على تمييز خلجاته ثم همست تتساءل عن صحت من رأت:

هشام؟

تعجب من معرفتها به، دقق هو الآخر بها؛ فلم يكن مهتما بمعرفة شخصية المرأة التي خطفها صديقه، كما أن الدماء وحالتها الجسدية البالية لم تجعل من السهل معرفة هويتها، صرخ: إنتي؟! .. فريدة

لم يتلقَ الرد؛ فقد غابت عن الوعي، حملها راكضا إلى الطريق العام، بعد ما يقرب من ربع الساعة مرت سيارة، أخبر سائقها أن زوجته جاءت لزيارة قبر أحد والديها وفجأه سقطت مغشيا عليها، رأى الرجل بقع الدم على ملابسه، كذلك ما كان يتقطر من جسد فريدة، لمعت عيونه بشك.

فهم هشام ما يدور برأس الرجل فسارع يتابع كذباته: أصلها كانت حامل

هدأ روع الرجل وبدأ يتفهم الظرف الطارئ، قبل مساعدتهم فقد أشفق على حاله حيث بدت المعاناة جلية عليها، حملهم إلى قلب المدينة، تساءل: تحب أوديكونا المستشفى؟

أسرع يرفض عرضه الشهم: لا لا أمشي وأنا هاوصفلك الطريق

هاجمه الرجل رافة بها: بس دي شكلها تعبان أوي

ارتبك هشام، يترجى عقله أن يؤلف كذبة أخيرة تبرر مطلبه: أه .. أصل البيت اللي هاأخذها عليه فيه دكتورة قريبتنا .. أصل أنا ما بأخليس راجل يكشف على مراتي، وأكيد ما فيش دكاتره ستات دلوقتي ف المستشفىات

دعى أن يتقبل الرجل عذره، تقبل الله دعائه، فلقد كان الكثير من معارفه يمتلكون ذات العقلية ونفس الطابع، أضطر إلى الصمت أمام محاضرة طويلة يفضها الرجل الكبير في أذنيه عن ضرورة التخلي عن العقليات المتخلفة ومواكبة التحضر، زفر حينما أوقف سيارة النقل أمام المنزل المقصود، قرأ الرجل على اللوحة المثبتة فوق الجدار الصخري المحاوط للمنزل بصعوبة "فيلا السويفي".

هبط هشام وحمل فريدة من المقعد الخلفي، أشار للرجل أن ينتظره متحججا باحتمالية حاجة زوجته إلى بعض الأغراض من المشفى، أطاعه؛ فقد منحه مبلغا من المال ليس بالقليل. أتجه إلى باب المنزل حاملا فريدة بين ذراعيه، همس في أذنها: كان نفسي أعملك أكثر من كذا، بس مش بإيدي سامحيني

بسط جسدها البالي من كثرة التخبط والإنهاك، هبط السلالم بعيدا عن الباب الداخلي للمنزل بعدما دق جرس الباب، نظر إليها بألم للحظة ثم أنطلق يعدو إلى السائق المنتظر، الذي ما إن رآه حتى أدار المفتاح بالسيارة وسار به حالما ركب إلى البعيد.



الفصل الحادي والعشرون

منزل يشبه الخاص بآل السويفي، لكن هناك عدة اختلافات أخرى، حيث الشبه الوحيد بينهما هو الموقع الراقي والنائي عن الضوضاء بالإضافة إلى الحجم الهائل لهيكل المنزل البنائي، حديثة تشكو الخراب وتنعى زمنا كانت فيه شديدة البهاء، أهملت الحديقة حتى بدت مزرية، تضر النظر ولا تسره، فقد تم الاستغناء عن البستاني؛ بسبب عدم توفر المال الكافي لدفع أجرته.

اقترب سعد من باريهان والرغبة تتصاعد من عينيه، ظلت تتراجع حتى اصطدمت بالجدار خلفها فهوى عليها سعد بجثته الضخم مقارنة بجسدها الضئيل، تلمس جسدها بيديه الخشتين القدرتين فيما تحاول دفعه بعيدا عنها، تدفع ذقنه بيد حتى لا تشتم رائحة أنفاسه المليئة بالمخدرات، وبالأخرى تدفع يده التي تلمسها، صرخت به: أبعده عني يا حيوان كان مغيبا بما تناوله من مذهبات للعقل، لم يهتم قيد أنملة بما تقول؛ فقد انشغل بملامستها ومحاولة التقرب إليها، كافحت في مقاومته ودرأه بعيدا عن جسدها، لوحت بيدها في الهواء حتى وقعت على سكين صغير، تستخدم في فتح الرسائل .. كانت قد تركتها والدتها بعد فتحها رسائل الدائنين المستمرة وتركتها على الطاولة، قبضت عليها بقوة، رأتها وسيلة نجاتها الوحيدة، انهلت بها على جسده تمزق أنسجته وتقطع جلده السميك.

ظلت تطعنه وقد فقدت السيطرة على عقلها وتصرفاتها؛ مصابة بهستيرية، سقط على الأرض يشرب دما من كل بدنه، كل فتحة خلفتها السكين بجسده نبضت دماؤه خارجها، تأوه بصوت

أبح، ليس به طاقة وقد توقفت أحباله الصوتية عن تأدية وظيفتها، رغم ذلك استمرت في طعنه، لا رؤية الدماء ولا سقوطه أسفل قدميها شفعا له عندها، على صوتها بالسب واللعن فيه وفيما حاول فعله بها حتى سقطت على ركبتيها تنظر إلى ما أرتكبه يداها باكية بقهر وحرقة خوفا مما هو قادم وعواقب فعلتها.

دق جرس الباب بينما هم منتظرين تعليمات الخاطف لكي ينال المبلغ المتفق عليه في مقابل فريضة، اتجهت ندى تفتح الباب، لم تجد أحدا، همت بإغلاقه حين لمحت شيئا غريبا ملقى أرضا، نزلت بنظرها تدريجيا لترى جسد غارق في الدماء أمام ناظريها، ركعت بجوارها تشهق صارخة: فريضة

انطلق الجميع إلى حيث تجلس ندى تنتحب ما حدث لصديقتها وما تراه عيناها من منظر ترق له ألقى القلوب، دفع مصطفى الجميع يسبقهم وما إن رأى الدماء التي تغرق بها حبيبته حتى حملها وركض بها إلى سيارته، لم ينتظر لحظة قد تضيع في التفكير قبل الاتصال بسيارة الإسعاف أو فترة أخرى لا يعلم مدتها إلا الله في إنتظار وصول السيارة.

لحقوا به بعدما وضعها في المقعد الخلفي، ركب في مقعد السائق، اندفعت مرام ترح جسدها الصغير بجوار أختها، وأكرم صعد بجانب مصطفى في الكرسي الأمامي قبل أن ينطلق الأخير بسرعه القصوى، خلفهم باق العائلة.

كلما وقعت عيونه على شكل جسدها الدامي في المرأة، يشعر كأن دقات قلبه توشك على التوقف وتركه كذلك، دعس على دواسة البنزين بأقصى قوته؛ فهو لا يستطيع الاستغناء عنها بعد الآن.

حاول أكرم جعله يقلل من سرعته لكن مرام صرخت به بحدة وكره: سييه يسوق بسرعة، أنت مش شايف غرقانة ف دمها إزاي ؟ .. دي بقالها يومين بتنزف

وصلوا المستشفى سالمين ومصطفى يحمل فريدة، أت عدة ممرضات يقودن سرير المشفى المتحرك المخصص لاستقبال الحالات في غرفة الطوارئ، وضع مصطفى جسدها فوقه، وابتعد مكرها، أتى الطبيب راكضا بينما يلقي تعليماته يمينا ويسارا إلى الممرضات، وضع السماعه فوق قلبها ثم صرخ بصوت عالٍ: دخلوها ع الأوضة بسرعة

وقف خارج الغرفة يستمع إلى آخر كلمات الطبيب وتعليماته قبل إنغلاق الباب خلفه مع ما تبقى من حبه وحياتها التي أوشكت على الإنتهاء: قيسيلي الضغط .. وإنتي شوفيلي فصيلة دمها إيه

جرت دموعه تحفر أخاديدا فوق وجنتيه بعد ساعات من الجفاف، شاركه البقية حالة مشابهة في انتظار الأبناء من الطبيب. خرج الطبيب، فتوجهوا إليه مترجين إياه بأعين صامتة أخبار مفرحة تعوض عما مروا به.

كانت إيمان أول من تحدث، سألت الطبيب: فيها إيه بنتي يا دكتور؟

أجابها بهدوء الأطباء وجمودهم: هندخلها العمليات دلوقتى

ضربت بيدها فوق صدرها وأصدرت شهقة مرتاعة: عمليات؟!

- أيوه .. نزت كمية دم كبيرة .. والجرح ملتهب

أوضحت هند: أيوه دا بقاله يومين ع الحال دا يا دكتور

قطب الطبيب حاجبيه: يومين؟ .. جرح بالمنظر اللي شوفته ما يخليهاش تعيش أكثر من كام

ساعة بس .. يظهر إن ربنا واقف معاها ومديها عمر، أدعولها .. وياريت حد يتبرعلها بدمه

ضروري هي دمها

A+

أسرع مصطفى: وأنا بردو

نظر الطبيب إلى الممرضة التي خرجت لتوها من غرفة المريضة، وجه تعليماته إليها قائلاً:

خديه وانقليلي دم فوراً

انصرف الطبيب حتى يستعد للعملية، ومصطفى ذهب برفقة الممرضة يتبرع بجزء من دمائه.

ماتزال الممرضة تحول دمه عبر الأنبوب الرفيع إلى أكياس خاصة حتى يتم نقلها إلى المريضة

في غرفة العمليات، تعلق نظره بسريران الدم عبر الأنبوب، كان يتوسله داخليا أن يسرع حتى

تعود له من عشقها فؤاده في أقرب وقت، غامت عيناه وصار يفتحها بصعوبة شديدة، دلف
أكرم إليه حاملا حقيبة بلاستيكية مليئة بعلب العصير المعلبة: عشت وشوفتك عندك دم يا
درش

ابتسم مصطفى باعيا رغما عنه: عشان لما أقولك على حاجه بعد كدا .. تصدقني

ابتسمت الممرضة من مزاحهم: لا عنده دم ما تقلقش، دا متبرع لحد دلقتي ب3 أكياس دم ودا
الرابع

أطلق أكرم صغيرا وقد رفع حاجبيه مندهشا: ما شاء الله .. أنا جيت ف وقتي بقي

أخرج إحدى زجاجات العصير، مدها لمصطفى: اتفضل يا وحش

سأله غير قادرا على الرؤية بوضوح لتبين ما لوح به أمام ناظره: إيه دا؟

- سلامة الشوف .. دا عصير

- لا ماليش نفس .. المهم فريدة عامله إيه؟

- لسه ف العمليات

- ربنا يخرجها لي بالسلامه

قهقهه أكرم: ياعم ياعم، الناس بتتصفي دمها ومع ذلك فيها نفس تحب

جاره ضاحكا على قدر طاقته: أهو نقك دا اللي جابنا ورا

- هههههه لا نق ولا قر .. خد اشرب العصير

- قولتلك مش عايز، صحوية إيه دي

تدخلت الممرضة تنصح مريضها: لو بتحبها فعلا اشرب العصير زي ما صاحبك بيقولك؛
عشان تعوض الدم اللي اتبرعت بيه .. عشان لما تخرج من العمليات بالسلامة، يبقى فيك
حيل تروح تشوفها .. ولا ناوي تحصلها ع العمليات ونشوفلك أنت كمان حد ينقلك دم؟

تأفف ولكنه اقتنع، مد ذراعه لصديقه: هات يا عم

أبعد الزجاجاة عن متناول يديه، وناوش صديقه قليلا حتى قذفه بوسادة لم تتحرك سوى
مليمترات قليلة؛ لضعف قوته وضمور عضلاته لقلة الطاقة المخزنة بها.

قهقهه أكرم معقبا على حال صديقه اللعوب: صحيح، الحب ذلال الرجال

جلس الجميع بحجرة فريدة بعدما طمأنهم الطبيب على حالتها وسمح لها باستخدام غرفة
عادية، تساقطت التهنئات فوق رأسها وتكررت كلمات الحمد وآهات الشكر على مسامعها،
تقبلت كل ذلك دون تزمير أو تأفف، ابتسامة هادئة محبة تضيئ وجهها الباهت؛ فما مرت به
ليس بالهين، نظراتها تتقافز فوق وجههم، تطبعها في ذهنها، سعيدة بوجودها بينهم.

انتفض مصطفى واقفا فجأة في منتصف الغرفة وقد تركزت عيونه على وجه عبدالرحمن: بص يا

عم عبدالرحمن .. أنا بنتك العيانة، اللي مرمية ع السرير دي .. طلعت عيني، آي والله

عقدت ذراعيها ونظرت إليه مشيرة إلى عينيه على التوالي: أومال إيه اللي ف وشك دي؟

تنح: دي عين سلف .. مالكيش دعوة، أنا بأكلم عمي مش إنتي يا حشرية

رفع والدها كفه يمنعها من الرد والدخول في دائرة لن تنتهي، يستمر كل منهما في قذف الآخر دون نهاية، أوما لمصطفى حتى يتابع حديثه، يستعجل الوصول إلى غرضه: طب كمل يا ابني أكمل بجدية وقد قطب ما بين حاجبيه حيناً وغامت عيونه في شرود أحياناً أخرى: أنا خوفت عليها لما اتخطفت، خوف عمري ما دوقته في حياتي .. ومش عايز أدوقه تاني أبدا .. كان هاين عليا أموت ولا حد يمس شعرة واحدة من راسها .. بس عذري الوحيد إنها كانت بعيدة عني، لكن من دلوقتي هاخليها تحت عيني على طول .. لا وتشاركني حياتي كمان، ف بعد إذنك يا عمي أنا طالب القرب منك ف بنتك فريدة .. قولت إيه؟

أخفى والدها قطرات الماء المختلطة بالملح التي لمعت بين جفنيه، لطالما فكر في عدم تزويج بكره؛ ظنا منه عدم وجود الشخص الصالح لها، من يحبها ويحترمها، يأتمنه عليها ويرتاح في وجوده برفقته، شجاعة مصطفى في التعبير عن مشاعره بهذا الوضوح أمام الجميع وأمام أهلها قبلها أكدت حسن نيته وجمال عريكته، تذكر حاله أثناء إختفاء ابنته، كل موقف وكل ذكرى في صفه، أكتفى بقول: الرأي رأيها .. هي اللي هتتجاوز

التفت إلى عروسه: رأيك إيه ؟

بالكاد استطاعت أخذ كفايتها من الهواء لثبتي رثيتها على عملهما، خليط من الغبطة والحياء تنافسوا بداخلها، عبث بطرف الغطاء فوق بطنها ونظرها يحدق في الرسمة فوقه دون إدراك لحقيقة شكلها، ازدردت ريقها بصعوبة قبل أن تهمس بخفوت خجل: اللي تشوفوه

انطلقت الزغاريط من صابرين وإيمان، وعادت المباركات والتهاني تتساقط فوق رأسها لكن هذه المرة ليست وحدها بل مع شريكها منذ الآن وإلى الأبد، لم تنظر له طوال الدقائق التالية سوى مرة واحدة أرادت أن تستشف عبرها حقيقة شعوره، كأنه شعر بنظرتها تخرج ظهره فاستدار نصف استداره، تلاقى الأعين وتوقف الزمان، غمزها متبسما ثم عاد يوليها عرض أكتافه، لمعت عيونها وزادت بهجتها وتقبلت التهاني بسعادة أكبر.

خاطب عبدالرحمن زوج ابنته المستقبلي محذرا: بس الكلام دا ما ينفعش، لازم رسمي ..
وتيجي البيت من بابه

هتف مصطفى: فوريره .. أنت هتروح تلاقيني بأفتحلكوا الباب

ضحكوا جميعا فرحين بعودته إلى طبيعته المرححة، فقد اكتتب كثيرا ونسى الضحك كأنه لم يعرف له طريقا من قبل.

تشبث الأب بيدي ابنتيه فريدة ومرام: وأنا مش هأسيبكوا بعد كدا أبدا، هتسافروا معايا ومع أمكوا

تدخل مصطفى صارخا فيما يحرق بيد فريدة المعلقة في قبضته القوية: جراه يا حاج .. إيش
حال لسه بأقولك هأتجوزها، هأتجوزها والله العظيم .. هأتجوزها———١١١ .. يا عالم ياهووو
هأتجوزها———

عضت على باطن خدها تمنع ضحكها من الإنفلات: بس يا مجنون فضحتنا

نظر لها بهيام: مجنون بيكي

كاد ينقلب فوق وجهه إثر الضربة التي تلقاها من عبدالرحمن، التفت إليه: ما تلم نفسك يا
واد، أنا مش مالي عينك ولا إيه؟

أحمر وجهه عندما أدرك فعلته اللاشعورية: إحم إحم .. آسف يا عمي .. هي اللي استفزتني
والله

لم يشعر بالحسد الذي تغلغل في قلب أكرم، على الأقل لديه الحق في التعبير عن رأيه
والاعتراض على فراق حبيبته، فيما هو يكتفي بالنظر إليها حتى يُشبع نفسه منها، تناسى
حُرمانية نظرتة، فداحة خطأه، فقط يركز عليها، حركاتها، بسمتها، خصلة شعرها الهاربة من
جانب حجابها، يتأمل أناملها الصغيرة التي تندس بين ثناياه تدفع ما هرب من شعرها إلى
الداخل، قبض على يديه؛ حانقا على الخصلة المتمردة التي سمحت لسواه برؤيتها، يشعر بقلة
حيلته وقصر يديه عن دفس الخصلة بأصابعه هو.

- مرام خلاص قربت تخلص إمتحانات، وكدا كدا دي آخر سنة ليها وتكون فريدة استقرت

واتفقنا وبعدين نساfer .. ولا إيه رأيك يا بنتي؟

همست بابتسامة باهتة: اللي تشوفوه حضرتك

-على خير إن شاء الله

سألت ندى متعجبة: صحيح يا ديدة، إنتي إزاي جيتي على باب البيت؟ .. ماحدث أخذ

الفلوس رجعوكي ليه؟

نكزها آدم بعتاب: إيه الكلام دا يا ندى

اعتدلت في جلستها وأجابت: لا لا سييها، أنا فاهمة قصدها .. مش عارفه أنا لما حاولت

افتكر .. افتكرت إني شوفت هشام

برقت عيون مصطفى بغضب: هشام؟!، وهو إيه اللي عرفه مكانك؟

هزت كتفيها جهلا: كل اللي فكراه إنه جه قالي "هأرجعك لأهلك" وبعدين قالي إنه مش

هيقدر يعملني أكثر من كدا .. بس

رغبت مرام في معرفة ما حدث بالتفصيل فسألت هي الأخرى: طب بعد ما سيبتك إيه اللي

حصل؟ وخذك ليه؟

- بعد ما إنتي مشيتي أنا شلت القناع من على وشه من غير ما ياخذ باله، تقريبا خاف على نفسه إنني أتعرف عليه بعد كدا، ف خدني معاه وأهو يمكن ياخذ من ورايا فلوس ولا حاجه

استفسرت هند: بس إزاي ما حدش سمع حاجه من صريخك إنتي ومرام ؟

أجابها زوجها مبررا: عشان الفرحة كان خالص متأخر وكل الشارع كان فيه .. وكل واحد ما صدق ينام ويرتاح شوية

أنهت صابرين الحديث في هذا الموضوع؛ حتى لا تزيد الضغط على أعصاب فريدة وهي ماتزال راقدة الفراش: المهم إنك قومتي بالسلامة وعدت على خير

صرحت ندى بفخر: وسيف لما قال إنك راجعه وشاف حد شالك وجابك طلع بيعرف الغيب ابن الإيه

آدم: إحم إحم .. الإيه واقف جنبك على فكرة

ضحكت منخرجة لسانها: وأنا ما أقصدكش على فكرة

فريدة: سيف دا زي العسل ربنا يخليهولك

ندى: كان نفسي أجيبه بس انشغلنا بيكي .. كان نايم فسيبته مع الداده

أومات متفهمة: لما اخرج هأشوفه أكيد ما تقلقيش

تمسك مصطفى بكلماتها: أيوه اخرجي بسرعة بقي .. بسرعة ها؟ .. ما أوصكيش

قهقهه ياسين محركا نظراته بين أحمد ومصطفى: أنتوا كللكوا مسروعين ع الجواز كدا ؟

ابتسمت صابرين: ربنا يسعدهم

التفتت إيمان إلى أكرم: عقبالك

دعت فريدة لشقيقتها بلمحة لم يدركها سواهما: عقبالك يا مرام

ضربت ندى كفا بكف مقهقهة: دوقوا الطبول دقوا .. قلبنا المستشفى خاطبة



الفصل الثاني والعشرون

أصر مصطفى على البقية لينالوا قسطا من الراحة، فيما سيبقى هو بجانب خطيبته ويتبادل المناوبة في وقت لاحق مع أحد والديها، رغم تعبته وإرهاقه كان يريد حضور التحقيق في واقعة الإختطاف مع فريدة؛ لكي يعلم ما حدث معها تفصيلا وعلاقة هشام بالموضوع. وقف على يمينها يُصغي لكل حرف تنطقه، وقبضته تشتد إنعقادا، لقد عانت وتألّمت بينما تكتفت يديه ولم يستطع الوصول إليها وإنقاذها، لقد فعل هشام اللص ما سُلت يديه عن فعله، إنها طعنة وأدت رجولته، حاول عدم إظهار أيا من مشاعره أمامها.

أمر الضابط مرافقه أن يختم كلامها كما قالته بالنص، نهضا وسلما على مصطفى وكرروا دعواتهم لها بالنهوض سالمة خاتمين الحديث بطمأنتهم في بذل أقصى جهدهم حتى يصلوا إلى الجاني، صمم مصطفى على إيصالهم إلى المصعد على الأقل كذلك فرصة ليفهم التفاصيل في التحقيق وهل هناك أمل في القبض على المجرم أم لا.

لاحظت فريدة تغيرا فيه، نظرته ليست كالمعتاد، قررت أن تستجوبه وتستخلص سر ملامحه الغامضة حالما يعود، طرقا خافتا أتبعه دخول هشام: حمدالله ع السلامة

ابتسمت بخفة: الله يسلمك .. متشكرة أنك أنقذتني

هز رأسه بابتسامة مشابهة: ما إنتي عملتيها قبل كدا معايا وأهي اتردتلك

عاد مصطفى إلى الحجرة بصحبة أكرم الذي تولى الإجراءات الإدارية في المشفى، لم يتفاجئ من وجود هشام بل كان متوقعا زيارته، قبض على ساعده وابتسامه غيظ لم تصل إلى عينيه قد بدلت ملامحه: اها لا يا باشا .. جيتلي برجلك

هدأه: ما تقلقش أنا جيت أطمئن على فريدة وهأروح أسلم نفسي

صحت به مستهجنة تصرفاته: سيبه يا مصطفى، مش كدا .. ما تنساش إن هو اللي أنقذني

نظر له بحقد واضح: وهينقذك ليه .. إلا لو ف دماغه حاجه

تفهم هشام غيرته فقال: أنا روحت أساعدها من قبل ما أعرف إنها فريدة

صر على نواجذه بغضب: اسمها الآنسة فريدة .. وقريب المدام بتاعتي .. ها؟! واخذ بالك

أنت ؟

أجبر ابتسامه صغيرة على الظهور عبر شفتيه: مبروك ليك وللآنسة فريدة

ضربت جملة سبق هشام أن قالها نواقيس مستفهمة في رأس أكرم؛ فتساءل مقطبا: مادام مش

عارف إنها فريدة .. روحت تساعدها ليه ؟

أخفض رأسه بأسف: اللي خطفها دا يبقى واحد صاحبي

شخر ساخرا: ماهي الطيور على أشكالها تقع

هتفت به تنهره كطفل أساء الكلام: مصطفى .. وبعدين بقى، دي مش طريقة

نفض يده من فوق ذراع هشام متقززا: خلاص خلاص .. إهدي عشان الجرح

حثة أكرم على المتابعة فروى لهم ما يعرفه: بس أنا خوفت عليه بصراحة، كنت توبت عن اللي عملته ورجعلي عقلي، حتى حاجات أستاذ مصطفى وفلوسه كنت هأسلمهاله وبعدين أسلم نفسي للبوليس، لكن كنت مستني لما أطمئن على أمي؛ لأنها محجوزة ف المستشفى .. وسعد كان بطل الحاجات دي من زمان .. لحد ما جات الست دي ولعبت ف دماغه وفضلت

ترن على ودانه عشان يعملها اللي هي عايزاه

ردد مصطفى بتعجب: ست؟ ست مين دي؟

قذف اسمها دفعة واحدة: باريهان

شهق أكرم بصدمة: باريهان! ان؟!

استدار إليه مؤكدا: أبوه، اللي كانت خطيبة حضرتك .. هي أصلا كانت قاصدة تخطف الأنسة مرام مش ف... الأنسة فريدة

تساءلت غير مصدقة أناس بهذا الشر في محيطها: وليه؟

أخفى هشام ابتسامة أوشكت على الظهور رغما عنه لبراءتها وغفلتها عما حولها من شرور في هذا العالم، لا ترى سوى الخير والنفوس الطيبة في من حولها، رد بكلام من تلقى الصفعات تلو الأخرى، عالما بكل ما هو سيئ في العالم وغير معترف إلا بشر النفوس: عشان تضرب عصفورين بحجر واحد

أضف ناظرا إلى أكرم الذي تجمد محدقا في الفراغ، لا يصدق أن بسببه مرام كانت سترقد في محل فريدة الآن لولا الظروف: تحرق قلبك ع البنت اللي فضلتها عليها .. وف نفس الوقت تاخذ منك فدية تسدد بيها ديونها، لكن ظهور الآنسة فريدة ف آخر لحظة وأدخلت عشان تمنعه .. لا وكمان شافت وشه، دا خلاه ياخذها هي .. وكدا كدا هو أهم حاجه عنده الفدية سواء كانت دي أو دي

ختم القصة زافرا في ضيق: أنا ماكنتش أعرف الحكاية ولا إنه رجع لطريق السوو بتاعه تاني .. ولما عرفت حاولت أمنعه بالكلام ما عرفتش .. ووقع ف الكلام قدامي إن في بنت دلوقتي هتجيبه فلوس، فهمت أنه خاطفها، مشيت وراه وعرفت المكان اللي مخبئها فيه، قررت أرجع البت اللي خاطفها لأهلها وأقنعهم إنهم ما يبلغوش عنه .. كفايه عليه السنين اللي اتسجنها قبل كدا

كركر مصطفى بسخرية: لا ضحككتي .. دي فريدة كانت هتموت ف إيده ولا أهتم .. لازم تقولي مكانه ومش هأتنازل عن القضية وهيتسجن

قابل إصراره على تنفيذ الجملة الأخيرة بنظرة حزينة: ما عايش في داعي .. راح لرب عادل ياخذ بحق كل اللي أتظلم على إيده

ترقرق الدمع بين جفونها بينما صدرت عنها شهقة فرع: مآات؟! .. ربنا يرحمه

اتسعت حدقتي هشام: بعد كل اللي عمله فيكي بتدعيه بالرحمة؟ مش بتدعي عليه؟

رددت فريدة حديثا كإجابة على استغراب هشام: الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا" يعني في الآخر راح للي خلقه يحاسبه .. كفايه عليه

همهم هشام بإفتتان دون شعور: بجد ما فيش منك دلوقتي

قبض مصطفى على كتفه بغيرة وغضب واضحين: كيس جوافة واقف أنا ولا إيه؟ .. روح يا عم
أكرم جيب شجرة وإثنين لمون

طمأنه بابتسامة باهتة: ربنا يخليها لك يا عم .. هو أنا قولت حاجه

زفر أكرم غير معجب بتغيير دفة الحديث: طب وباريهان؟ لازم تروح تقول للبوليس ع اللي عملته؛ عشان تاخذ جزاءها

- ماهي خلاص .. حصلت سعد

فغر أكرم فمه: يعني الاتنين ماتوا؟ إزاي؟

أوضح: بعد ما سبت الأنسة فريدة على باب الفيلا بتاعتكوا .. رocht لبيت الست دي، أنا كنت بأمشي وراه م الصبح، خرج من عندي على بيتها غالبا عشان ياخذ فلوس؛ لإني لمحتة بيعد رزمة وهو ماشي بعدين راح لآنسة فريدة .. فروحتلها بعد كذا عشان أقولها تبعد عن صاحبي وأقنعها ترجع عن اللي هي عايزاه .. رocht لاقيت الباب مفتوح، فدخلت .. لاقيت سعد غرقان ف دمه بس لسه فيه النفس .. حاولت أساعده أو اتصل بالإسعاف منعني ..

وقالي "خلاص ما تتعبش نفسك الأمانة هترجع لصاحبها" .. سألته مين عمل فيك كدا، قالي باريهان .. لما حاول يغتصبها، وقالي إنه ماكانش ف واعيّه بسبب الحشيش والبرشام اللي كان مبلعه .. خرج آخر نفس ف صدره ومات، طلعت أدور على باريهان دي لاقيتها ف أوضة نايمه ع السرير وقاطعة شرايينها .. غرقانة ف دمها هي كمان .. كانت سايبه جنبها جواب قريته لاقيت فيه كل الحكاية اللي قولتهالكوا .. ولاقيت ع التريزة اللي جنبها أدوية اكتتاب بصراحة خوفت تتفصح أكثر من إنتحارها .. حرام أشيّل سعد ذنبها وهو ذنبه كفايه عليه .. أخذت الرسالة معايا وسحبت جثته حطتها قدام مستشفى بعيدة عشان ماחדش يربط بين الحدثين، ورجعت البيت رجعت كل حاجه مكانها كأن حالة الاكتتاب هي السبب ف إنتحارها

دمدم أكرم تائها فيما يُقَص عليه: ياااه .. كل دا؟

أكمل: قولت ف المستشفى اللي بيجيلها حالات قد كدا ومش لاقياهم مكان مش هتهتم تشرح جثة واحد عشان تعرف مات إزاي وأهله وليه وإمتى وأكيد هيدفنوه ف مقابر الصدقة ع الأقل وهيلاقي اللي يصلي عليه .. لكن لو سبته كان هيتشرح ويتبهدل ف التحقيق وف الآخر هيترمي من غير ما حد يسأل فيه .. فكدا أحسنله وباريهان كفايه عليها فضايح من ديون لإنتحار بزيادة .. مش ناقصة اغتصاب وقتل وخطف وشروع ف قتل

عقبت: عين العقل يا أستاذ هشام

طوق مصطفى عنق هشام بقوة: تصدق أنا ماكنتش طايقك يالا، بس بعد حركات الرجولة اللي شوفتها منك .. مساعدة فريدة واللي عملته مع سعد وباريهان أنا استجدعتك

- ربنا يخليك

أكرم: أنت شكلك ابن حلال بس ظروفك هي السبب

سقطت رأسه بين كتفيه بحزن: أمي لازمها عملية قلب مفتوح ودي تتكلف 100 ألف جنيه وإلا ممكن تموت ف أي لحظة عشان كدا سرقت وكنت بالباقي هاسافر برا أشتغل حاجه تساعدني

سأله مصطفى: وعملتها العملية؟

هز رأسه سلبا: خوفت لما أطلع الفلوس يقبضوا عليا .. بس دلوقتي والله هأروح اسلم الفلوس واسلم نفسي يمكن أكفر بيها عن ذنبي

جذبه مصطفى إلى الخارج: طب تعالى نتكلم برا شوية .. وإنتي ارتاحي عقبال ما أرجعلك

لحق بهم أكرم فيما تابعتهم فريدة بأعين تحمل مزيجا من الدهشة والقلق معا، لكن خروج أكرم معهم أرسل بعض الطمأنينة إلى نفسها، استرخت في نومتها تحاول دفع الصورة البشعة التي رسمتها كلمات هشام في ذهنها عن نهاية كل من باريهان وخاطفها.

في زاوية بها بعضا من الخصوصية، وقف مصطفى يتحدث إلى هشام: شوف يا بطل .. بما
إنك جدع والظروف هي السبب، أنا هأتنازل عن القضية وكمان هأكلم آدم -جوز أخت
أكرم- عشان عملية القلب المفتوح لمامتك بما إنه دكتور قلب

انشرح وجه هشام بسعادة: بجد يا أستاذ مصطفى؟

استقام مصطفى راسما الجدية على ملامحه: أومال هأهزر معاك؟

- بجد شكرا أوي .. ربنا يخليك ويرزقك من وسع

- طب مش عايز تكفر عن اللي عملته ف المزرعة ؟

تسرب الخوف إلى قلب هشام: إزاي؟

- هتيجي تشتغل فيها تاني .. بس المرة دي تحت عيني ولو حسيتك بتلعب بديلك كدا ولا

كدا .. هاش.....

قاطع هشام مهللا بالصفحة الجديدة التي فتحتها معه: من غير ما تكمل .. لا في كدا ولا في

كدا

خبط على كتفه: طب يلا قدامي ع القسم بقى عشان نفض القضية .. أكرم خليك هنا جنب

فريدة لحد ما أرجع

هز أكرم رأسه موافقا، حث صديقه على الذهاب مطمئنا: ما تقلقش .. مستنيك

بعدها انصرفوا، طرق باب حجرة فريدة، أذنت له بالدخول، أعلمها واقفا في فتحة الباب حتى يشعرها بالأمان: أنا برا، لو احتاجتي حاجه

تعجبت أنه حضر منفردا، قطبت تسأله وقد دب الخوف أوتاده مترسحا في نفسها: أومال فين مصطفى؟

لم يكن يريد إخبارها بما حدث، ترك حرية الحديث في هذا الأمر لمصطفى فهذا شيء لا يعنيه، أكتفى بقول: راح مشوار وراجع

خنتها القلق: هو في إيه يا أكرم؟

تنهد، روى لها ما حدث بين مصطفى وهشام، فخورا بتصرف صديقه الذي يدل على معدنه الأصيل وطيبة قلبه، زاد ذلك من حب مصطفى لديها وترسخه في منحنيات قلبها، ازدادت ثقتهما بأنه الشخص المناسب، فالعفو عند المقدرة هو دليل قوة وليس ضعف، دليل على النضج والرجولة، تنهدت سعيدة بقرب إرتباطها به.

نهضت من فوق مقعد طاولة الزينة مقتربة من فراشها، على الجانب الآخر وقف أحمد يرفع الغطاء ليندس بين طياته، ناما على ظهريهما يحدقان في السقف.

الأفكار تسحبهما بعيدا كلما جذبهما سلطان النوم، لقد مرت الأيام كأنها سنوات، شردت في شقيقتها وما مرت به، كذلك إرتباطها بمصطفى فيما انشغل عقله تفكيراً في العمل الذي تكس فوق مكتبه.

مالت رأسها وراقبته بعينها، سألته دون أن تتحرك: بتفكر في إيه ؟

- ف الشغل .. مشروع جديد عايز أدرسه كويس بس ...

قاطعته وقد انقلبت على جانبه مستندة إلى مرفقها فيما توسدت قبضة يدها: إجابة رومانسية جدا

استدارت رأسه وتقابلت عيونهما، ابتسم: ماكنتش أعرف إنك بتحبي الرومانسية

عادت تنام على ظهرها متنهدة: في فرق بين المُنح والرومانسية .. أنا مش بأحب المُنح وبردو ما عنديش مانع من شوية رومانسية

عقدت ذراعيها مضيضة وقد قطبت حاجبيها بعند: وبعدين إحنا لسه ف شهر العسل

اقترب منها وأسند رأسه على كتفها بينما تسللت ذراعه تحيط خصرها من أسفل الغطاء،

أغمض عينيه وهمهم: حياتي كلها هتبقى معاكي عسل .. مش شهر بس

نظرت إليه بطرف عينها: كلهم بيقلوا كدا ف الأول

سألها ساخرا وقد حافظ على عينيه مغمضتين: والمفروض أنا رقم كام ف لسته الأزواج ف
حياتك يا حبيبي

صفت كفه المبسوطة فوق بطنها: هاهاهاها، خفة

صمتوا لفترة قبل أن تناديه، همهم بلغة لم تفهمها لكنها أدركت من خلالها أنه يصغي إليها
ويستمع إلى ما تقوله: أنت كنت بتقول بس لكن ما كملتش

استغرقتة دقيقة ليتبين مقصدها، تذكر حديثه الأول عن العمل، فتح عينيه محدقا بها مستهزئا:
وهي دي الرومانسية من وجهة نظرك يا قلبي؟

ابتسمت، هزت كتفيها: خيلنا نعرف إن أنا وأنت مالناش ف الرومانسية

بادلها الابتسامة وعاد يغمض عينيهما وقد دس وجهه بين كتفها وعنقها يشتم عبيرها الفواح:
السكرتيرة اللي جات بعدك كانت بطيئة فمشيتها، والجديدة مالحقتش أجربها .. بكره هأروح
وأشوف بس شكلها غبية .. الشغل متعطل والمشروع الجديد مهم، مش فاضي للسكرتيرات
والدلع بتاعهم

- طب ما تخليني أرجع أشتغل معاك

شد ذراعه حولها: إحنا اتكلمنا ف الموضوع دا قبل كدا وانفقنا

تنهدت: بس أنت محتاجني

- أكيد محتاجك، بس هنا ف بيتنا، حياتنا الخاصة مش ف الشغل، هأتصرف وألاقي سكرتيرة مناسبة

أضاف عندما سمع الصوت المنزعج الذي أصدرته: ماتنسيش إن أختك هتتخطب قريب ولسه خارجة م المستشفى .. أكيد محتاجاكي

زمت شفيتها مقتنعة بوجهة نظره المؤقتة: طب خليني أختارك السكرتيرة بدل ما تعطل نفسك تنهد موافقا عندما لاحظ أهمية هذه المهمة البسيطة بالنسبة لها، لم تمر عدة دقائق حتى صاحت به: لاقيته

دمدم بتأفف، فقد انهكت قواه في الأيام الماضية وخسر حيويته: إيه ؟

- مش لازم سكرتيرة بنت، افكرت واحد اشتغلت معاه لفترة ف الشركة اللي كنت فيها قبل ما أتوظف معاك، هو كان كويس جدا وعائز يسبب الشركة لأن أسلوبها مش عاجبه .. لكن مسئولياته منعتة .. هأروح أكلمه بكره إيه رأيك ؟

انتزع نفسه من وضعه المحبب، استند إلى كفه محدقا بها بتعبير لم تفهمه: مين دا ؟

- اسمه خالد

- تعرفيه ؟

- يعني .. كلام عام كدا

- ورشحتيه ليه ؟

نظرت له بغياء: ما أنا قولتلك .. مسئولياته مانعاه يسيب الشركة دي وبيدور على شغل ف
شركة تانية .. أكيد هيفيدك

التقط كفها الأيسر مداعبا خاتم زواجهما، حدق به: ماتنسيش إنك مراتي
رفعت إليه نظرها مقطبة: قصدك إيه ؟

ضربت الصاعقة رأسها، عضت شفيتها تمنعها من الابتسام، شعرت بنظراته الحانقة لا تتزحزح
بعيدا عن وجهها مغتاظا منع محاولتها الفاشلة في إخفاء سعادتها، تمتمت من بين ضحكاتها
التي انفلتت: أصل الراجل اللي أنت غيران منه قرب م الخمسين سنة

ارتفعت زاوية فمه بشبه ابتسامة، طرق جبهته بجبهتها: بتتسلي بيا يا هند

لم تجب، اكتفت بزيادة معدل ضحكها، عاد لوضعية نومه السابقة قبل أن تقلقه بعرضها،
استقرت رأسه بين كتفها وعنقها، همس بنبرة قوية ارتفعت لها دقائق قلبها: عارفه لو أصغر من
كدا ؟ .. كنت قتلته وشريت من دمه .. قدامك، مع إن سنه دا ما يمنعش إني أعملها معاه
بس دي جزاة اللي يبصلك

تعالت قهقهتها، ربت على خده باسمه وقد تسلل النوم إلى جفونها، أغمضت عينيها راضية:
وهي دي قمة الرومانسية يا حبيبي

عادت إلى المنزل بعد طول غياب، رغم عدم مرور أسبوع على تركها المنزل شعرت أن قرنا
يفصلها عن آخر مرة كانت به فيه.

جاء الجيران لتحياتها والترحيب بعودتها؛ حتى صديقة هند (منار) التي وصلت من سفرها
وزارتها لكي تطمئن على حالها؛ فلقد اكتسبت حب الجميع ومودتهم بقلبها الأبيض ونفسها
السمحة.

رحبت هند بصديقة دراستها، لقد فرقتهم الحياة ومشاغلتها: أهلا أهلا بمنار هانم .. بقى اللي
يتجوز يغيب كدا

قبلتها منار وضممتها بشوق ضاحكة: معلىش، ما إنتي عارفه إنه اسكندراني وشغله وأهله هناك ..
ولما أتجوزنا عيشنا ف اسكندرية .. ومش بأجي أصلا غير م السنة للسنة
أجلستها وجلست إلى جوارها: ماشي ياختي هأعديها لك عشان عارفه إنك مرتاحة ومبسوطة
هناك

- ربنا يخليكي ليا يا هنوده .. وحمدالله ع السلامة يا فريدة

ضحكت فريدة: لسه فاكره .. دا إنتي قربتي تمشي يا شيخة

غمزتها باسمه: لا أنا قاعدة على قلبكوا شويه

رحبت بها بطيبة خاطر وكرم عربي: تنوري يا قمر

وصلت ندى برفقة ابنها، ضمت والدة هند قبل أن تنضم لجلسة البنات وتطمئن على فريدة،
جذب سيف يده من كف أمه وركض إلى فريدة يتعلق برقبتة ويقبلها بشوق: وحشتيني أوي يا
ديده

ردت له قبلاته: وأنت أكثر يا روح ديدة

وقفت منار لا تصدق عيونها، هتفت مقتربة من ندى فيما تُردد اسمها غير مصدقة، فقد طال
الفراق ومرت الأيام دون رؤية إحداهما للأخرى: مش معقول
شهقت ندى بغبطة: منار، وحشتيني يا بنت الإيه

احتضنتها ندى بشوق وسعادة بائنة وكذلك بادلتها منار في البادية قبل أن تتردد وتراجع في
ألم وحزن بدا في صوتها وعيونها: إنتي كويسه؟

قهقهت ندى وعلقت بعفوية، فلم تدرك ما حل بصديقتها القديمة: زي الفل وإنتي أخبارك إيه؟
- الحمدلله، زي ما إنتي شايفه

- أنا بأقول نرغي برا ونسيب فريدة ترتاح

فغرت فريدة فمها بحركة مسرحية: أه يا خونه .. يهون عليكوا الرغي من غيري

غمزتها هند: هو إحنا ورانا غيره .. وبعدين الكلام بيتعاد

نادت ابنها: يلا يا سيفو .. سيب فريدة ترتاح

تشبث بعنقها رافضا تركها: لا، أنا عايز أفضل مع ديدة

ضمته أكثر إلى صدها: خلاص سيبيه، دا حبيبي

استسلمت ندى لرغبتها، خرجت بصحبة صديقتها إلى غرفة هند السابقة؛ فقد عج الصالون بالضيوف المهنيين بسلامة فريدة وجلس معهم عبدالرحمن، يتقبل دعواتهم القلبية لابنته ويبادرهم بالسؤال بعد طول سفر، فيما غرفة المعيشة جلست بها مرام وأمها مع السيدات في جلسة تشبه المجاورة في الصالون.

رفع سيف نظراته البريئة إلى وجه فريدة؛ خائف أن يسبب لها الألم دون قصد: إنتي كويسه دلوقتي يا ديدة؟

أجابته باسمه: أه زي الفل

- طب مش هتكمليلي السورة؟

قطبت محاولة التذكر: سورة إيه؟

هتف: سورة عبس

أومأت متذكرة: اااااااا .. أنت عايز تكملها يعني؟

هز رأسه صعودا وهبوطا بعنف: أيوه يا ديدة

أشارت إلى عينيها على التوالي: من عنيا الجوز .. نكمل بقيتها بقى

"كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ
بَرَّةٍ * قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ *
ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يُفْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ *
أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَبْنَا وَقَضَبًّا * وَزَيَّنَّا وَنَحَلَّا *
وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ"

يعني ربنا يقول كل حاجه ف القرآن ويوضح كل حاجه فيه .. ويقول لعباده كل حاجه عن

طريقه، فاللي عايز يعمل بيها يعمل .. واللي مش عايز بردو هو حر، وربنا رفع من قيمة

التذكرة، ومطهره .. يعني بعيد عن إيد الشيطان، عشان ما ياخدوش أو يسرقه وحفظه بإيد

الملايكة، لأن الملايكة هي السفير اللي بين ربنا واللي بيعبدوه .. اللي خيرهم كثير وأعمالهم

حلوة وبالرغم من كل دا في ناس مصرة إنها تكفر، إزاي الإنسان عنيد أوي كدا، عشان ينسى

إن ربنا خلقه من ماء مهين وخلقه ف أحسن مظهر وأحسن صورة .. وأداه أسباب كثير عشان

يؤمن .. وهداه للصح، وكرمه بانه لما يموت يتدفن مش زي الحيوانات .. وبعدين يرجع يحييه

تاني عشان يحاسبه على أعماله ف الدنيا، فيكون مش عامل حاجه م اللي ربنا أمره بيها ..

وأمره ربنا إنه يبص للأكل اللي قدامه ويفكر .. إزاي وصله وإزاي أتعمل

والمطر اللي بينزل دا، وربنا اللي خلى الأرض يبقى فيها حفرة أو فتحة عشان النبات يطلع

منها، حتى النبات دا بيطلع أنواع كثير أوي .. منها اللي بياكله الإنسان ومنها الحبوب والعنب

والزتون والنخل اللي فوايدهم كثير، وفيه الجنين اللي فيها أشجار كبيرة وتلف حوالين بعض،
دا غير الفاكهة اللي أنا وأنت بناكلها؛ التين والرمان والخوخ وكله .. والأكل بتاع الحمار
والحصان والحيوانات والطيور، الحيوانات دي بقى اللي ربنا خلقها عشان نركبها ونتمتع بيها
وهما يتمتعوا بالاكل دا

"فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ
مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ *
تَرَهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ"

ويجي بقى يوم القيامة، يومها هيهرب كل واحد من باباه ومامته وأصحابه وولاده ومراته؛ عشان
كل واحد هيبقى مهتم بنفسه بس وعايز يخلص من النار والعذاب بتاعها .. منهم اللي فرحان
إنه هيدخل الجنة ويتمتع بنعيمها، فتلاقي ناس وشوشها مبسوفة أوي وبتضحك فرحانه بالجنة
.. وناس تانية مضايقه وزعلانه وتحس إن وشها أسود من يأسها لأنها عرفت إنها خلاص
هتتعذب ف النار .. دول بقى هما اللي كفروا برنا وأصروا يعملوا اللي ربنا أمرهم ما يعملوهوش

- يعني أنا لو عملت اللي ربنا بيحبه هأدخل الجنة ؟

ابتسمت بحنان: طبعا .. مش لما أنت بتسمع الكلام ماما وبابا بيفرحوا بيك ويجيبولك هدية ؟

أوماً: أيوه

- ربنا بردو لما تسمع كلامه بيفرح بيك أوي ويحبلك هدية بردو .. بس هدية ربنا كبيرة جدا
اللي هي الجنة

باعد بين ذراعيه قائلا: أيوه، هدية ربنا كبيرة؛ عشان هو كبير أووووووي

قرصت وجنته بحب: صح كدا يا سيفو، أنت عارف بأعمل إيه مع الشطار؟

نظر إليها بترقب: إيه؟

حملته بهدوء: بأشيلهم كدا .. وأنيمهم كدا.. وأزغزغهم كدا وكدا وكدا

ارتفع ضجيج ضحكته: كفايه يا ديدة م... مش ... قادر

- لا، لازم أكلك .. هم هم هم

جلست منار إلى جانب ندى في حجرة هند قبل الزواج، أحضرت مقعدا خشبيا من مقاعد
طاولة السفارة وجلست معهما دقيقتين قبل أن تنهض متجهة إلى المطبخ: أنا هأدخل أعمل
قهوة تشربوا؟

وافقنا على عرضها، خرجت هند وأغلقت الباب خلفها حتى لا يزعجها ضجيج المنزل
وصخب الضيوف، دنت منار من صديقتها أكثر، قالت بهمس: كويس إن هند قامت عشان
كنت عايزه أكلك ف موضوع

استدارت إليها بجسدها كاملا وقد استبد بها القلق، أو مأت مقطبة إشارة إلى سماعها

وإصغائها: إنتي حياتك مع جوزك عادية ؟ طبيعية يعني؟

اتسعت عيونها مندهشة: قصدك إيه ؟ مش فاهمه

تنهدت ونظرت أرضا: فاكهه يا ندى لما كنا بنتمشى سوا بعد ما خالصنا إمتحانات وجاتلك

ضربة شمس على توتر ووقعتي ف الشارع وأغمى عليكي

- أيوه .. بس بتسألني ليه؟

تلاعبت أصابعها بيد حقيبتها الموضوعه فوق فخذيها: أصلي عرفت إن الدكتور اللي ودايتك

عنده يومها أتقبض عليه

استغربت علاقتها بما حدث للطبيب ولكن فضولها جعلها تتساءل: ليه؟

نظرت إليها ترغب في إمساك أي ردة فعل تطمئنها على صديقتها: حسب ما قرئت ف الجرايد

.. كان متعود يعمل علاقات مع المرضى بتوعه وغالبا من غير موافقتها .. وفي بنات منهم

أهلهم صعايده كانوا أول ما يتعرف إنها ... مش ... بنت بنوت، أجوازتهم يقتلوهم من قبل ما

يسألوا عن السبب .. ما عدا واحدة أخوها كان دارس برا وعاقل، فضل ورا الموضوع لحد ما

عرف إن الدكتور دا هو اللي عمل فيها كذا .. ما قالوش عرف إزاي، المهم عمله كمين وأتفق

مع واحدة صاحبة اخته ووعدتها إنه هيحميها راحت للدكتور مغمى عليها وفعلا حاول يعتدي

عليها وهي فاقدة الوعي، لولا الولد دا دخل ومعاه البوليس ومسكوا الدكتور متلبس واتحكم

عليه .. لكن في ناس صعايده، أهالي بنات من اللي اعتدى عليهم والسبب في قتلهم لبناتهم
سلطوا عليه واحد منهم كان ف السجن موته والدافع .. دفاع عن الشرف

أصفر وجه ندى، ترطبت عيونها بدموع حاولت مقاومة تساقطها دون جدوى، أبحرت في
أفكارها غير مصدقة، كيف لطبيب أن يخون اليمين الذي قطعه على نفسه يوم تخرجه، كيف
يخون الأمانة، لقد استأمنته العديد من الفتيات على أرواحهم.

أفاقت على شهقة منار الباكية: والله يا ندى ما كنت أعرف إنه بالشكل دا

مسحت دموعها المتسابقة في حفر الأحاديث على وجنتيها: إنتي عرفتي الكلام دا منين؟
منار: قريته ف الجرايد .. وحاولت أوصلك عشان أقولك وأطمئن عليكي .. قالولي إنك
أتجوزتي وسافرتي مع جوزك ف شهر العسل .. وماكنتش هأفتح الموضوع دا انهارده ولا
هأجيب سيرته، بس لما شوفتك مبسوطه وابنك ما شاء الله عليه .. قولت يبقى إنتي تمام ف
حبيت أعرفك عشان تحمدي ربنا على ستره

شردت أميالا بعيدة بتفكيرها عن حديث منار، ظلت تخبرها بكل ما قرأته وكُتِب في الجرائد
عن أحوال من تم التعرف عليهن من مريضات ارتدن عيادته، تحثها على الشكر والحمد.

ترددت أفكار خاصة بها في رأسها، نعم سترها الله، أجل، تعذبت وبكت؛ لكن رد فعل آدم
بالنسبة لأزواج الفتيات المقتولات ظلما شئى لا يذكر، بلى سترها الله بزواج كآدم .. فحمدا
لك يا الله.

أقبلت عليهما هند تحمل صينية بها ثلاث فناجين من القهوة، وضعتها على مقعد طاولة الزينة
ثم جلست فوق مقعدها ترتشف من فنجانها بتعب، سألتها منار مدركة حالة الشرود التي
أصابت الأخرى: أومال مرام فين؟ ما شوفتهاش

- كانت هنا أول ماجيتي بس ف الأوضة الثانية مع ماما والستات، بس نزلت من شوية ..
راحت الكلية، عندها إمتحان أول مادة إنهارده
دعت لها منار: ربنا يسهلها الصعب

خرجت من الإمتحان لا تصغي إلى تأفف صديقتها من صعوبة الإمتحان وغلاظة الأستاذ
الخاص بها، سارت إلى جانبها جسديا ولكن ذهنيا تبعد العديد من الكيلومترات.
راقبها من بعيد، لا يملك سوى ذلك، استدار مبتعدا في الطريق المعاكس لخروجها، تفرقت
بهم السبل وتشتت الطرقات، فقدت أمل مبادلته لها نفس مشاعرهما والإقدام على الخطوة التي
سبقه إليها مصطفى وأحمد.

تنهدت بشدة وقبضت على حقيبتها تجذبها إلى أحضانها علّها تشعرها بالأمان، يجب أن
تنسأه كما نصحتها أختها، قد يكون زيادة تعلق قلبها به عن الحد هو ما تسبب في الفراق.

تقدم رسميا عقب خروجها من المستشفى بيوم واحد، أوضح ظروفه وأوضاعه لأهلها، قبل به عبدالرحمن فما رآه من حب في عيونه ورجولة في تصرفاته شفعت له، بعد أحاديث طويلة في شتى المواضيع، تركوهم يتحدثان بمفردهما على وعد بإكمال الحديث في التفاصيل بعد الجلسة المنفردة.

بادر بسؤالها: تحبي تبدأي إنتي ولا ابدأ أنا ؟

- اتفضل أنت الأول

- عايز أقولك إنني اعتبر ع الحديده؛ لأن الفلوس اللي معايا كلها هاضطر أدخلها ف المزرعة عشان تقف على رجلها زي الأول، مش هأقدر اخاطر بالفلوس دي دلوقتي .. أه هأجيبك الشبكة التي تختارها بس على قد إمكانياتي .. وإن شاء الله أول ما ربنا يفتحها ف وشي هأجيبك اللي تشاوري عليه

- وأنا مش هأتجوزك عشان هتجيلي شبكة غالية .. أصلا مش بأحب الذهب بس هأجيب حاجه بسيطة عشان أهلي؛ لأن ماما مش هترضى غير بكدا

- تمام، أدي نقطة .. أما الشقة ف أنا كنت عايش ف المزرعة ولما جيت هنا، كان عشان أرجع فلوسي وأقبض ع اللي سرقها ف قعدت عند أكرم .. هتقدري تعيشي معايا ف المزرعة؟

- هأعيش مع جوزي ف المكان اللي هو فيه .. ولو في النار

- وكمان هأنشغل عنك ف المزرعة ف أول فترة، يعني عقبال ما اتأقلم ع الجو وأظبط الدنيا

- وأنا هأقف جنبك وهأساعدك، ولا نسيت إني وبلا فخر دكتورة بيطرية قد الدنيا

قهقهه: بلا فخر وقد الدنيا ف نفس الجملة، أومال لو عم فخر كان حاضر كان حصل إيه

قلصت الضحكة إلى بسمة سعيدة: حاجه تاني ؟

- أيوه .. بصراحه عشان نبقى على نور، أنا عرفت بنات كتير أشكال وألوان .. الشقرا

والسمرا، البيضا والقمحية، الطويلة والقصيرة، تقدري تقولي كل الأصناف مرت عليا .. بكل

الطرق؛ الصديقة والأخت حتى العشيقة بس عمري ما لاقيت نفسي إلا معاكي ولا حسيت إني

عايز واحدة تبقى مراتي وأتجوزها غير لما شوفتك .. تويت من ساعتها وما بقتش شايف غيرك،

كنت بأصلي ساعات وساعات بدأت ألتزم بالصلاة وف المسجد وهأقرب من ربنا على قد ما

أقدر عشان يغفرلي ويسامحني .. بس لازم اتأكد إن كل دا مش هيفرق معاكي

قبضت يديها بقوة من مستهل حديثه، طعنة غيرة أصابتها ولم تستطع التغلب عليها لكن حديثه

الذي تلى أنساها ما سبق، كانت تحلم بحصولها على زوج يعينها على ما تبقى من حياتها

ويقربها إلى الله، فكرت الآن أنها أنانية منها أن تقبل من يرفعها ولا تقبل من يطلب منها رفعه

معها، حدقت به تقرأ ملامحه وبعضه من لغة جسده، عجينة مصطفى طيبة قابلة للتقويم

والتحسين، وقد يكون أفضل مما تمنته ولكن ببعض الجهد ومرور الوقت، تذكرت موقفه من

هشام ووالدته، نعم، تستطيع أن تكون زوجة صالحة له ويصير من تمنته.

أجابته باسمه: ماشي .. وأنا هأنسى كل اللي فات من حياتك مادام نويت تبدأ معايا من جديد

على بياض .. بس لو فكرت ترجع للقديم مرة تانية من غير نقاش هأسيبك وأمشي

وعدها بحماسة وصدق: عمري ما هأرجع للي كان؛ لاني ما أقدرش أعيش من غيرك .. كفايه
اللي عشته لما شكيت بس إنه حصلك حاجة

- خلصت؟

- أه .. بس سؤال أخير

- اتفضل

- هتساعديني أقرب من ربنا وتاخدي بإيدي .. ولا هتسيني وتقربي لوحك وترميني وراكي؟،
أنا عن نفسي مش هأعمل خير إلا وف نيتي إن ثوابه ليا وليكي .. مش هأدعي دعوة غير لما
أدعيلك زبها، إن ما كانش أحسن منها .. قولتي إيه؟

تنهدت براحة وابتسمت بغبطة صادقة: قولت .. موافقة واستعني ع الشقا بالله

- شوفي إنتي بقى عايزه تعرفي إيه؟

- خلاص، أنت قولت كل اللي كنت هاسأله

نهضت تنادي الأهل ليعودوا حتى تتم الأمور وينتهي الإتفاق بالكامل، لقد أنتهى دورها مؤقتا
لكنها التفتت إليه: مصطفى

رفع بصره إليها: يا نعم

بوجه خالٍ من أي تعبير سألته: مش عايز تشوف شعري؟

لم يتمالك نفسه من موجة الضحك التي غمرته: يعني إنتي لو طلعتي كارتة هأرجع ف كلامي؟
ما أنا أدبست خلاص .. أطمني

اغتاظت من كلامه، همت بالمغادرة عندما ناداها ووقف أمامها، حدق في عينيها بعمق قائلاً
بجدية: بعد كل اللي بأحسه معاكي وبعد كلامنا دلوقتي واللي شوفته منك مافيش حاجة
هتبعدني عنك أبدا يا ... ديدة

أحمرت وجنتيها، أسرعرت بالمغادرة، نادتهم ليعودوا إلى الغرفة وجلست في زاوية بعيدة تتابع
الحوار وتتدخل عند اللزوم، ابتسمت داخليا وعيونها تتقافز فوق ملامح عريسها، شعرت
بالفخر يملأها، لقد سألته عن رغبته في رؤية شعرها رغم علمها بعدم شروعية ذلك، حتى وإن
قبل لم تكن لتوافقه، اختبارا أجتازه بنجاح، همست: إمتياز مع مرتبة الشرف
التفتت إليها مرام الجالسة بجوارها: بتقولي حاجة ؟

هزت رأسها، وعادت تُغرق نفسها في خيالاتها، تذكرت كلماته المازحة والتي دخلت قلبها دون
طرق بابه، بساطته وخفة ظله تفرش سجادة حمراء أمامه في الطريق إلى قلبها.

أفاقت على نهاية النقاش، خُتم الإتفاق على أن يكون كتب الكتاب والزفة معا عقب إنتهاء
إمتحانات مرام بيوم، أي بعد حوالي شهر ونصف، تكون خلال هذه المدة قد استعادت
عافيتها وأتمت التجهيزات التي تحتاجها.



الفصل الثالث والعشرون

نزعت فريدة بيدها التي طُليت بالحناء الورقة من النتيجة، أمسكتها بين أصابعها وحدقت بالتاريخ وعيونها تشع بفرح.

ذهبت إلى كليتها تقدم قدما وتؤخر أخرى، لقد اختلطت المشاعر بداخلها، القلق والخوف من الإمتحان والذي يلازمها في كل إمتحان على مدار سنواتها الدراسية جميعها، بالإضافة إلى شعور بالراحة لإنهاء دراستها أخيرا واقتراب تخرجها، وفي النهاية الشعور بالحزن والكرب يغمرها وقد طغى هذا الشعور على ما سبقوه، حزينة لقرب سفرها وتفريق المسافات الطويلة بين جسدها وجسد حبيبها، ستُحرم من رؤيته ولو في المناسبات العائلية.

لم ترى أكرم منذ جاء مع أهله لخطبة أختها، نفضت عنها كل ذلك فقد شرع المراقبون بتوزيع ورقة الأسئلة، وبعد إنتهاء وقت الأمتحان وجمع ورق الإجابة منهم المسئولون عن اللجنة من الخروج، لحق ذلك دخول أكرم فاستفاقت من شرودها وهو يسمح ما كتب على السبورة من بيانات للمادة التي تم إنتهاء إمتحانها وبدأ بالكتابة، ركزت في تهجئة الحروف التي كتبها وعندما انتهى أصابتها الدهشة، لم تستطع النطق فقد كتب "تتجوزيني يا مرام؟" وكتبها بالإنجليزية أيضا.

ارتقى الدرجات الفاصلة بينهما، رأت توجهه إليها فنهضت واقفة، سألتها بابتسامة: ها ؟ قولتي إيه ؟

تسألت كالتائهة: ف إيه؟

سخر: ف خطي .. حلو؟

اغتاظت: لا وحش .. بيشرب م البحر

رد بوداعة: ما إنتي مشرباني على طول م البحر عايزه خطي يبقى شكله إيه ؟

- لا يا شيخ؟

- أنا أصلا مش محتاج رأيك، لإني اتقدمت لبابكي وهو وافق وأنا موافق يبقى خلاص ..

الموضوع انتهى

زمت شفيتها ساخرة: على كدا كنت كتبت بدل تتجوزيني .. أتجوزتيني وخلاص

أدعى التفكير وشرد ببصره بعيدا: تصدقي فكرة .. إزاي غابت عن بالي دي

سحبت حقيبتها الملقاة أرضا بجوار مكان جلوسها، همت بالمغادرة، أسرع أكرم بالوقوف

أمامها بابتسامته الساحرة: تتجوزيني؟

نظرت بعيدا وأجابته بسعادة: ايوه

زفر براحة: أخيرا .. لازم تغلبيني يعني؟

تعالى صوت قرع الكفوف ببعضها من الطلبة والمراقبين واللجنة الممتحنة بأكملها، سمعت صوت صديقتها ريم يصرخ قائلاً: هياااا يا رب أوعدنا زي مرمر كدا .. قولوا آمين صاحت ببقية زملائها بتحذير لمن يرفض، ردد الجميع خلفها: آمين

جلس كل من العريسين بجوار عروسها، فرح ثنائي، أريكتين غُطيتا بقماش من الحرير والتل الأبيض، أحطهم الناس من جميع الأنحاء بين مباركين وأقارب ووصفات العروستين. مصطفى بجانب فريدة، يلقي عليها نظرات الوله بين الفنية والأخرى، وأكرم متشبتا بكف مرام على الأريكة المجاورة، نظرت مرام إلى زوجها عندما اشتدت قبضته حول يدها عندما حاولت جذبها لتعيد ضبط وضعية ثوبها ناصع البياض، بادلته البسمة التي اتسعت حين لمحت التحذير بهما من المحاولة في سحب كفها مرة أخرى.

شردت، في اليوم السابق بعد عودتها وقد لمست الأرض بالكاد من فرط سرورها، دخلت عليها والدتها وأغلقت باب الغرفة خلفها، جلست أمامها على الفراش مصدرة تنهيدة راحة لما رأت فرحتها، أدركت أن الخبر قد وصلها.

- بتحبيه ؟

أخفضت نظرها بخجل فماتزال أمها من تجلس أمامها، عادت تحادثها: لو تعرفي عمل إيه مع أبوكي عشان يوافق

أسرت برفع ساقها وثنتهما أسفلها، التقطت كفي والدتها مهللة، ترجمتها أن تخبرها بالتفاصيل:
بالله عليك يا ماما إحكيلي .. عمل إيه ؟ .. ها ؟؟ .. إيه ؟؟

ضحكت أمها: طيب طيب، حلمك عليا

أضافت وهي تزجرها، ضربتها على كتفها: بقى مفهمة الواد إن سامر لسه متكلم عليك
وهتتخطبوا قريب ؟

تراجعت خجلي من فعلتها: أنا ... أ ...

قرعت مؤخرة رأسها: ليكي حق تأنأي، ما أصلك هتقولي إيه .. إنتي يا بت هتعقلي إمتي
وتبطلي حركات العيال دي ؟

ضربت كفا بكف: والله قولت لأبوكي دي عايزه تكبر الأول .. مش تجوزها بكره

شهقت صائحة: بكره إيه ؟

مصمت شفيتها مستنكرة العجلة التي أتفق عليها زوجها مع عريس ابنتها الصغرى: فرحك
ياختي بكره مع أختك .. إيه رأيك بقى ؟

انزلت قدميها أرضا ووقفت غير مصدقة: رأيي ف إيه ؟ .. ماعزمتش حد ولا حجزنا ف قاعة
ولا اتفقنا على حاجه .. هأعيش فين

أردفت صارخة: والفستــــــــــــان

فتحت فريدة الباب ودخلت حاملة علبة ضخمة، وضعتها على الفراش وفتحتها في صمت،
أخرجت محتواها وبسطته أمام أعينهم: وأدي الفستان .. هدية العريس وذوقه

خطفته ووضعته أمام جسدها، ظلت ترقص وتترنح بينما تشاهد نفسها في مرآة الخزانة،
دندنت بأغنية لا تسعها الأرض: ما تذوقين يا ماما، أوام يا ماما، دا عريسي هياخدني بالسلامة
يا ماما

ضحكت فريدة وعقدت ذراعيها تراقبها، غمزت أمها: ما تذوقها يا ماما
نهضت إيمان مقررة ترك الغرفة، سمعتها ابنتها تطلب العوض فقد جئت كلتاهما، غرقت
الأختين في نوبة من الضحك، ارتمت مرام فوق الفراش تضم الفستان إلى صدرها، لحقت بها
شقيقتها، حدقتا في السقف.

سألته مرام أخيرا: تعرفي إيه اللي حصل ؟

فهمت قصده فأوضحت: كان فاكر إنك لسه ناوية تتخطي لسامر، ويوم ما جُم يطلبوني
لمصطفى أكرم فتح الموضوع مع بابا وحاول يفهم منه وعرف إنك كنتي بتضحكي عليه، وبعد
ما خلصوا كلام عن جوازي أنا ومصطفى .. أكرم خد بابا وقعدوا ف البلكونة واتكلموا

انقلبت مرام على جانبها واسندت وجنتها فوق باطن كفها: وبعدين ؟

- استغل الفرصة وطلب إيدك، بابا وافق بس أصر إنك ما تعرفيش حاجه لحد ما تخلصي
إمتحانات عشان دي آخر سنة ليكي ومش عايز دراستك تتأثر بسبب الخطوبة أو التفكير ف
الجواز، أكرم وافق وكان شرطه إنه يتجوزك معانا، يوم جوازي أنا ومصطفى

جلست صامته لفترة، اسندت مرفقها فوق ركبتيها: إمممم عشان كدا كنتي بتجيبى كميات
كبيرة م الجهاز .. وماما تقول أصلها هتحتاج كثير

اعتدلت فريضة ضاحكة: أيوه يا ناصحة، الحاجات نصها ليا ونصها ليكي .. وعشان كدا كنت
بأخذ رأيك ساعات .. عشان دي حاجتك .. أو مال فاكرة إنني بأثق ف ذوقك للدرجة دي؟؟
ضربتها بالوسادة مغتاظة: بقى كدا!؟

توقفت فجأة وتساءلت بشرود: وأهله؟ .. رأيهم إيه؟

أعادت ترتيب مظهرها، تلكأت في الإجابة لتزيد قلق شقيقتها إنتقاما منها ومداعبة: كانوا
عارفين كل حاجه، يا بنتي أنتوا ما كنتوش شايفين نفسكوا .. بس كل حاجه كانت باينه ..
قعدوا مع بعض واتفقوا ف اليوم كان عند مادة غريبة كدا بعد الضهر

هزت رأسها: إممممم، استغليتوا غيبتى يعني

قفزت فوق قدميها منصرفة: أبقى قيسى الفستان عشان لو محتاج تظييط .. خلىني أرجع
أكمل تظييط الحاجه .. كفايه عطله بقى

استيقظت من استغراقها في الذكريات على اقتراب أكرم منها هامسا: مرام

ابتسمت: نعم

تنحج محرجا: إنتي مضايقه إننا هنعيش مع أهلي ف نفس البيت ؟

امتألت عيونها بالجدية: أنا مقتنعة إن أي زوجين ف بداية حياتهم لازم يعيشوا لوحدهم؛ لأن أول فترة بتبقى صعبة عشان مش متعودين على بعض وكدا .. كمان ماكانش فيه فترة خطوبة تسهل علينا الفترة دي

لاحظت حركة تفاحة آدم بحلقه المتوترة، شدت على يده تهدأه: بس طنط صابرين وأنكل ياسين حاجه تانية .. والفيلا واسعة وهنقدر نحقق الخصوصية اللي إحنا عايزينها

لثم كفها وعيونه تلمع فرحا: ربنا يخليكي ليا .. الحمدلله إنك ما اتعبرتيش الموضوع تديس ضيقت عينيها: على فكرة لو أنت ما عملتش كدا .. كنت أنا اللي هأدبسك

اقترب بعض المهنيين فمنع كلماته التي أرادت التعبير عن سعادته بقبولها الزواج منه، رسم ابتسامة مرغمة في وجه الحضور وفي داخله يتميز غيظا؛ لا يستطيع الحديث معها بحريته لا قبل عقد القران ولا بعده.

جلست بجوار زوجها حول إحدى الطاولات الدائرية بالقرب من حوض السباحة، ظهر الضيق على ملامحها وبنبرة صوتها، طلبت منه بطريقة غير مباشرة التدخل والتعامل مع رئيس والدها صاحب الشركة، شرحت له: كاسر عينه بالشرط الزفت اللي حاظه دا، تخيل بيهدده عشان

نزل مصر من غير إذنه ساعة ما عرفوا اللي حصل لفريدة وعائز يرفع كمان قضية عشان يسدد الشرط الجزائري

ربت على كفها المقبوض فوق الطاولة، طمأنه بثقة: هأتصرف .. ما تشغيلش بالك

نهض من جانبها وقد انضمت إليها ندى تحاورها عن شئ بخصوص العرس، بحث عن عبدالرحمن حتى لمحّه، اقترب منه مزررا سترة بذلته، بعد حديث دام لدقائق ابتعد يضغط أزرار هاتفه ويلقي أوامره للطرف الآخر.

أوشك العرس على الإنتهاء، دنى موعد رحيل العرسان إلى شهر العسل لبدء حياة زوجية بداية سعيدة مبهجة، شرع المدعون في الذهاب.

اقترب أحمد من حميه، كان يتوسط زوجته وابنته، مد يده بورقة بهدوء: اتفضل يا عمي

تناولها منه وابتسم بارتباك: إيه دا يا ابني؟

أجابه بإيجاز: دا تنازل من صاحب الشركة عن حقه ف الشرط الجزائري

حدق بالورقة بين يديه، قرأها مرة ومرات، رفع نظره إلى زوج ابنته الوسطى، تفرق الدمع في عيونه ولُجم لسانه، أدرك أحمد حالته فقال: مايهونش عليا تسيب مصر وبناتك تبعد عنهم من

غير رضاك

تحركت هند ووقفت بجوار زوجها، لم تدر كيف تعبر عن شكرها، طوقت خصره بذراعيها
شاكراً: حبيبي ربنا يخليك ليا

دعت له والدتها: ربنا يحفظك يا حبيبي

قال والد هند أخيراً: كتر خيرك .. أنا مش عارف من غيرك كنت عملت إيه

حاول أحمد رفع الحرج عنه: ما تقولش كدا يا عمي .. إحنا أهل

احاطت ذراع أحمد بخصر زوجته، انخفض يهمس في أذنها: المهم إن الجميل يكون فرحان

ضغط بسبابته بين حاجبيها: وال111 تروح لحالها بعيد عن الوش الحلو دا

ثنت سبابتها عدة مرات حتى يهبط برأسه قليلاً، اقتربت من أذنه وهممت بحب: لما نروح

هاوريك فرحانة قد إيه

ابتسم بنخبث ثم عاود الهمس: أه، ما أنا لاحظت إن الفستان دا من النوع أبو سوسته مش

كدا؟

لكزته في كتفه بنخجل: أنت قليل الأدب

وسع ما بين جفنيه ببراءة: أنا بأسأل سؤال برئ

زمت شفيتها: لا يا شيخ

أخفى ابتسامته خلف مجموعة من التعبيرات الجدية: كلام ف شرك مش بأحب الزراير ..
مقرفة وبتضيع وقت، لكن السوست .. يا سلام ع السوست .. ياريت كل الهدوم بسوست
كتمت ضحكتها: أتمم .. أصلا موضوع السوستة دا مش هيطول كثير
قطب: ليه إن شاء الله ؟

أعلمته بغنج ودلال: عشان السوست اللي عندي مش هتقفل عليا لما بطني تبقى قدامي كدا
بعد سبع شهور ونص

فبض على أعلى ذراعيه: يعني .. يعني إنتي حامل؟

هزت رأسها بنجمل: بالظبط كدا

منع قدميه من القفز عاليا، وأحباله الصوتية من الصراخ بعلو صوته، بعدما تقبل التهاني ورد
بأحر منها من حميه وحماته، أمسك على يد زوجته بشدة وأسرع إلى والديه يبشرهما.

انتشر الخبر بين الحضور وتوجهت المباركات للثلاث شقيقات، تشاركن السعادة والفرحة، كل
منهما تسعد لشقيقتها كسعادتھا لنفسھا.

انتهى العرس والغبطة تعم المكان؛ فقد بدأت حياتان جديدتان بالتأسس وقد جمع بينهما الله
—سبحانه وتعالى— بالحلال، كذلك حياة ثالثة بدأت بالتكون في الرحم، انطلق العرسان في
رحلة شهر العسل بمرسى مطروح كما اختارت فريدة، لأنها أحببتها نتيجة سماعها عن جمالها
وروعتها دون حتى زيارتها، تحمل ياسين تكاليف شهر العسل كهدية بمناسبة زواجهم.

وضعت الصينية فوق الطاولة الصغيرة، التقطت أحد الفنجانين وسلمته لزوجها ثم أخذت الفنجان الخاص بها، شاركته الأريكة متابعة الحديث الذي بدء منذ عادا إلى منزلهما.

- المهم إن شغل أستاذ خالد عجبك

ارتشف من فنجانه: مش بطال

مالت عليه بكتفها: أهو أحسن من واحدة تدلع عليك

رفع أحد حاجبيه: دي غيرة بقى

انسحبت إلى طرف الأريكة غامزة: دي نصاحه ستات يا قلبي ..

أردفت بعدما شربت قليلا من فنجانها: كلها كام شهر وبطني تكبر .. وشكلي يتغير .. ولو

السكرتيرة حلوة وشايفه نفسها شوية ما عودتش تبص ف وشي

أردفت بشهقة: ولا ف مرة تفكر تستحمى ف المكتب وتشوفك زي ما شوفتك .. ولا تفضل

تدور معاك ع النضارة تحت أكوام الورق .. لا لا يا سيدي السكرتير الراجل أرحم .. الواحد

هيفضل على نار كدا

ضحك بسعادة واضعا رأسه فوق ركبتيها وبسط جسده فوق الأريكة: بس مهما راحت ولا
جات مش هتبقى زيك .. لا هتكون أول ولا آخر سكرتيرة .. لكن إنتي اللي دخلتي عقلي
وقلبي

قبل بنها المسطحة عبر القماش الناعم، داعبت خصلات شعره حتى راح في سبات عميق،
استرخت للخلف شاردة والبسمة على ثغرها، تقلبت عيونها في الحجرة حولها؛ تتخيل طفلا
يقفز هنا وآخر يلعب هناك وفتاة تمشط شعر دميتها الصناعي.

وصلوا مرسى مطروح والوقت قد تجاوز منتصف الليل، تفرقوا كل ثنائي في شاليه منفصل،
صحب مصطفى زوجته إلى الشاليه الخاص بهم.
تقدمته فريدة إلى الداخل، بحثت عن مكبس الإضاءة وأنارت المكان، تطلعت حولها بينما
تأكدت من إنغلاق الباب بشكل آمن.

وقف بجوارها يجيل بصره في الأرجاء مرددا: نورتي شاليهك يا شابة

قهقهت لهجته التي تشبه ريا: إيه دور ريا وسكينة دا؟

غمزها بطرف عينه: مش المفروض أدبلك القطة يوم الفرح عشان تخافي؟ .. إنتي أصلا
عايشه ع الدبح والتشفيه والسلخ، فقولت أسلوب ريا وسكينة مافيش غيره

زمت شفيتها مستنكرة: أنت هتدلي إكمني دكتورة بيطرية ؟ .. اللي مش عجبك دي هي اللي

هتمشيلك شغلك وحيوانات مزرعتك

غازلها: هو أنا أقدر أقول عليك كلمة يا جميل

ضربته على كتفه بخفة: أيوه كدا .. أتعدل

اعتدل في وقفته: تصدقي ماخدتش بالي إني معوج

نفخت بحنق: اللهم طولك يا روح

- ما تيجي نصلي

- ماشي، بس قول الدعاء دا الأول

أمسكت يده ووضعتها فوق رأسها، سمعته يردد الدعاء مغمض العينين: اللهم إني أسألك من

خيرها ومن خير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلت عليه

توجهوا إلى الغرفة كي يادوا صلاتهم، صلت خلفه حامدة؛ فلقد حققت أحد أحلامها، كانت

تحلم باليوم الذي تصلي فيه خلف زوجها وشريك دربها وتحقق هذا اليوم أخيرا مع زوجها

الذي تدوب عشقا به.

سلما من صلاتهما، استدار إليها بثغر باسم: أنا وإنتي بقينا ف بيت واحد .. نبدأ حياتنا سوا

ونبنيها م الأول، إيدي ف إيدك هنعدي كل المشاكل بس ف يوم يا فريدة لو زعلتي مني أوعي

ما تقوليليش سبب زعلك أو تقولي مادام ما عرفش لوحده أنا مش هأقوله، لا، نبهيني .. يمكن
أكون غلطت ف حقلك من غير قصد أو تكوني فهمتيني غلط .. كل شئ وارد، مش عايزك
تنامي ف يوم زعلانه مني، ولا أنا هأنام زعلان منك .. نصفي قلوبنا ناحية بعض قبل ما ننام؛
لأنه يا عالم هنصحى نلاقي بعض ولا ... هيكون واحد فينا ف القبر

توقف لما رأى الدموع تتجمع في مآقيها، طغى الحنان على نظراته: ما تقلقيش؛ هنفضل مع
بعض أطول فترة .. ربنا يجعل يومي قبل يومك

فاضت الدموع على وجنتيها وأغرقتهما، مد كفه يمسح شلالات الماء الفياضة، سألها قلقا: في
إيه بس ؟

حاولت كتتم شهقاتها حتى تستطيع الرد، قالت قبل أن تعاود البكاء من جديد: رجلي .. رجلي
نملت

حدق بها في بلاهة: نعم؟

كررت: رجلي نملت ومش قادرة أحركها .. مش حاسه بيها

نفخ بغیظ: بقى عامل أكلمك جد، ويومي قبل يومك ورومانسيه وشويه شويه هأجيبك لبن

العصفور وجنابك تقولي رجلي نملت، وأنا اللي فاكر إنك قشعرتي من كلامي

على صوتها بحددة وغضب: رجلي يا بني آدم .. فك التتميل بعدين أرغي، أنا بأتعذب ودا نازل

لوك لوك لوك .. إيه ما فيش دم ؟

نهض واقفا على قدميه وصرح أمامها: تصدقي حلال فيكي اللي إنتي فيه

أضاف: بس قلبي الصغير لا يتحمل .. أعمل خير وأرميه البحر، هأساعدك، أمري لله

نجح في حملها بهدوء وروية دون أن يزيد ألمها، لقد تيسرت قدميها وأمتنع الدم عن السريان في شرايينها إلى ساقها نتيجة جلوسها في وضع التسليم من الصلاة لفترة طويلة، فقد استغرقها الإصغاء لحديثه بينما جلس أمامها مشبكا قدميه أسفل جسده في وضع أكثر راحة.

وضعها على الفراش متمهلا كأنها قطعة من الزجاج يخشى عليه من الخدش، مد يده محاولا رفع ثوبها الصيفي الطويل عن ساقها، دفعت الثوب ليكسو ساقها من جديد وضربت يده تبعتها.

شهقت بقلق: بتعمل إيه ؟

تنهد بفروغ صبر وقد دفع يدها بعيدا مكملا ما يفعله: بأرفع الفستان

أمسكت يده بغيظ وعناد: أيوه .. ليه يعني؟

فهم سبب قلقها: عشان أفكلك التتميل، ولا ناويه تقضي ليلتك دي منمله .. كانت واقعة إيه

المقندله دي، أسيب كل بنات الدنيا وأتجوز المنملة

رغم غيظها من كلماته إلا أنها لم تستطع مقاومة رغبتها العارمة في الضحك: تكفير ذنوب بقي

بعيد عنك

- بقى بزمتك إنتي .. ف العروق دي أي دم ؟

أومأت وقد ألجمته بردها: أه، دمك .. ولا نسيت لما أتبرعتلي بيه ؟

رفع يديه إلى السماء: يا رب كان داسني تروماي قبل ما أعملها

استفزته: مافيش تروماي ف القاهرة يا حبيبي

حدق في وجهها بهيام: يا إيه ؟ .. قولها تاني كدا

أخرجت لسانها: يا مسهوك

- لا لا مش دي، قولي يلا؛ عشان أفكلك التتميل .. بســــرعة

كررت بخجل: يا .. حبيبي

- يا قوة الله .. أخيرا سمعتها من بؤك يا سكر

ذكرته: رجلي

- طيب أهو .. حاضر يا بااي

ارتاحت قدميها فتركها، وقف إلى جوارها يحل ربطة عنقه، لقد بدلت ملابسها قبل السفر على

عكسه لأن فستان العرس كان يعيق حركاتها، كذلك خشيت عليه من التلف نتيجة السفر

الطويل والجلسة المقيدة في السيارة.

سألته بريية: مالك ؟ خلعت الكرافته ليه ؟

حدق بها كأنها جُنّت: لاهو إنتي عايزاني أفضل مخنوق بيها كمان؟!، إنتي مفتريه كدا إزاي ؟
.. أشوف فيكي يوم يا بعيدة

هتفت بغضب: بتدعي عليا يا مصطفى

رفع حاجبيه براءة: لا بأدعي ع البعيدة .. إنما إنتي قريبة، قريبة أوي

وضع يده فوق حجابها يريد حلّه، أوقفته مقطبة: بتشيلها ليه ؟

أراد إغاضتها فقال: عشان أشوف الليفة اللي تحت .. من شوية منملة ودلوقتي ليفة .. وأسجد
ركعتين شكر لله، وأموت مشلول بقي

قهقهت: طب شيلها .. شيلها

تنهد ومد يده من جديد، نزع الدبابيس التي ثبتت الحجاب فوق رأسها ثم نزع القماش ليتحرر
شعرها النبي الحرير وانساب كغدير بديع.

صاح بصدمة: يا قــــــــــــوي .. دا شعرك ولا سلفاه

عقدت ذراعيها مستهزئة: لا سلفاه

مثل الجدلية: أنا قولت كدا بردو .. من بكره يرجع يا هانم

ضحكت: جرا إيه يا مصطفى، طبعاً شعري

وضع الحجاب فوق الطاولة المجاورة للسرير، جلس إلى جوارها وأصابه تنخلل شعرها في حركة رتيبة حنونة، استرخت على ملمس يديه السحري، سمعته يقول بالقرب من أذنها وعينيه معلقة بعيونها: تعرفي إنك حلوة أوي

أردف بعدما لمح الخجل في احمرار خديها: ما كنتش أعرف إن دمك هيكون خفيف وبتحبي الهزار، أه كلهم قالوا كدا .. لكن بردو فضلت شايفك فريدة اللي بتشخط وتتكلم جد وبس .. اللي ما عندهاش غير الوش الخشب، ومع ذلك حبيتك وأتمنيتك .. بس طلعتي أحلى بكتير أخبرته بحياء: وأنا كمان حبيتك

لمعت عيونه بصدمة: أومال ما بينتيش ليه ؟ صديتيني ليه ؟

تنهدت: لأنه ماكانش ينفع أعمل غير كدا .. فكرت إنك لو عاوزني هتعمل زي أحمد وتدخل البيت من بابه على طول

أسرع يبرر موقفه: كنت هأعمل كدا، بس لو حسيت بحبك، لكن إنتي كنتي بتصديني ف افتكرت إني مش فارق معاكي، وفضلت أحاول أخليكي تحبيني

- وإيه اللي غير رأيك؟

- لما أتخطفتي كنت هأتجنن، عايز أجيبك وخلاص .. قولت لما هألاقيها .. هأتجوزها يعني هأتجوزها .. حتى لو رفضتني

ضحكت بغبطة: هو بالغصب ؟

اقترب منها ناظرا في عيونها بخليط من القوة والشغف: لا مش غصب .. دا حب يا ديده

دنى بوجهه أكثر مغمضا عينيه استعدادا لتقبيلها لكنها دفعته بعيدا على حين غرة: لا

عاد إلى الواقع مضروبا على رأسه، قطب سائلا: في إيه؟

كررت: لا

هتف: نعم ياختي؟! .. دا إنتي مراتي حلالي بلالي

– أيوه بس لازم تقول دعاء الأول

تنهد ملتقطا أنفاسه، ردد الدعاء: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا

قبلها على شفيتها متمتعا باستسلامها وقد رفعت رايتها البيضاء أخيرا، مد يده يُطفئ ضوء

الأباجورة المجاورة للفراش فغمر الغرفة الظلام التام.



الفصل الثالث والعشرون

دائماً ما كان الظلام مخبأها والليل أنيسها، تقلب كل أمور حياتها بين ثنايا الظلمة، العتمة تعطيها الهدوء الداخلي والإتزان النفسي حتى تستطيع التفكير في مشكلاتها وحل أعوص القضايا في حياتها.

ألصقت ظهر ابنها في صدرها، تستمد منه القوة للتفكير والمقاومة، لولاه لما تحملت السنوات الماضية وبدونه لن تصبر على ما هو آتٍ، مسدت شعره الناعم وقبلت جانبه جبينه، الأسئلة تحوم داخل رأسها دون القدرة على نطقها.

معضلتها الليلة هي ما عرفته من صديقتها منار، أتسى الموضوع وتغلق صفحته كما فعلت مع زوجها وتصب تركيزها على البداية الجديدة لهما معا أم تخبره فتثبت براءتها وتؤكد سوء ظنه بها دون داع.

ترقرقت نقاط الماء فيما بين جفنيها، لقد سلبها الطبيب أغلى ما تملكه فتاة، ليس فقط عذريتها ولكن حرية اختيار من يهدم حصونها ويخترق دفاعاتها بإرادتها، لم يُخبرها إنما دمر حياتها فحسب، فوضت أمرها إلى الله، دعت عليه وعلى كل من يماثلونه.

لقد مرت فترة طويلة والموضوع مازال يدور برأسها، لم تحسم أمرها بعد عندما فتح آدم الباب وأشعل أحد الأضواء الخافتة بقرب الباب، ناداها متسائلا: مش هتيجي تنامي ولا إيه ؟

دلكت عيونها وقامت تضبط الغطاء فوق ابنها: جايه أهو

قبلت جبهة ابنها النائم بعمق ثم اتجهت برفقة زوجها إلى غرفتهما، حسمت أمرها حالما خطت داخل الحجرة، استدارت إليه مرتبكة لا تعلم من أين تبدأ روايتها: آدم، في موضوع عايزه أكلمك فيه

غمر القلق قلب زوجها من لهجتها الغريبة لكنها أشار لها بالمتابعة فيما يصغي إليها، جلست على طرف السرير؛ ركبتيها تحولتا إلى هلام ولم تعودا تحتملان ثقلها من فرط التوتر، إزدردت ريقها ثم شرعت في سرد ما سبق وسُرد على آذانها.

كانت تصب في أذنيه الرواية كاملة ونظرها لا يقوى على الإرتفاع إليه، رغم عدم تحملها أي ملامة إلا أن الحياء كان ملازمها، نفخت بقوة حالما انتهت من قول ما في جعبتها كأن حملا ثقيلًا إنزاح عن كاهلها لتضعه على أكتاف زوجها، رفعت قصاصات الجرائد التي سبق وجمعتها من الإنترنت وحفظتها على هاتفها، حدق بهم بدون تعليق.

دام صمته طويلا حتى شكت أنه سمع شيئا مما قالت، رفعت إليه بصرها بتردد، تقدم منها وركع أمامها، ضغط على كفيها وقد تملكه الخجل مما فعله بها سابقا دون ذنبٍ منها، بدأ الحديث بعد فترة بصوت أجش: أنا آسف يا ندى على كل اللي قولته .. وكل اللي عملته فيكي .. إنتي من حقت عملي فيا اللي إنتي عايزه، وأنا ما أقدرش أتكلم لأنني استاهل

أصدرت شهقة مكتومة عندما شعرت بدموعه تتقطر فوق كفيها، أحاطت وجهه بكفيها ورفعت رأسه إليها فيما تحاول منع دموعها: أنت مالكش ذنب بالعكس .. أنت رد فعلك كان هادي وعاقل جدا بالنسبة لأزواج تانيين

هنز رأسه بعنف: ما تدافعيش عني يا ندى .. أنا ما استاهلش

وضعت أصبعها فوق شفثيه تمنعه عن الحديث: شششش .. ما تتهمش نفسك أنا قولتلك

الموضوع لإني ما أعودتش أخبي عليك حاجه، يعني مش عشان أعاتبك أو حاجه

- يعني مسمحاني على اللي عملته فيكي ف الخمس سنين دول ؟

تبسمت: كفايه إنك كنت جنبي .. ما سبتنيش ولا اتخليت عني

لثم أصابعها بنهم: أنا بحبك أوي يا ندى حياتي

دلف أكرم مع زوجته إلى الشاليه المجاور للآخر الخاص بصديقه، رفع أكياس الكهرباء فأضاء

المكان، دارت مرام حول نفسها مدننة بلحن ناعم يعبر عن فرحتها.

- عجبك الشاليه ؟

ابتسمت بسعادة: أه .. حلو أوي

- تحبي تاكلي؟

وضعت كفها على معدتها المسطحة: ياريت .. لأحسن هأموت م الجوع

قهقهه لحركاتها الطفولية: ماشي يا ستي، تعالي ناكل، بس الأكل هيطلع م التلاجة ع السفرة

سقط نظرها إلى ثوبها الأبيض الذي تشبثت به ولم ترغب في نزعه قبل السفر من شدة فرحتها وتعلقها به، لقد اختاره أكرم لها بنفسه، صممت على إرتدائه أطول فترة ممكنة: كنت عايزه أغير الفستان عشان ما يتوسخش

- خلاص اللي يريحك

اتجهت إلى غرفة النوم لكن قبل إقفالها الباب عقب دلوفها إليها، صاح أكرم باسمها بصوت يحمل الكثير من الخبث: ياريت تلبسي حاجه مريحه، ها؟!، يعني ماتتكسفيش مني .. المهم راحتك

هزت رأسها باسمه فلم يصلها مقصده: ماشي

استدار في اتجاه المطبخ وبدأ بإخراج الطعام ووضعه فوق طاولة الطعام، ظل يحدث نفسه بكلمات تشجيعية: الليلة ليلتك يا بطل .. يا رب ما تكسفناش الليلة دي

استقام بعد عشر دقائق يلقي نظرة أخيرة على ما أعدته يداها، غمز لنفسه في المرآة بفخر، سمع صوت الباب خلفه يفتح ثم يقفل، عرف أنها خرجت، وقف يرسم ابتسامة ماكرة وهو يعد نفسها لرؤية صورة رسمها في خياله، دار إليها ببطء، انمحت البسمة وصرخ بصدمة مستنكرا ما رأى: إيه دا؟!!

سألته ببراءة متفاجئة: إيه؟

لوى شفتيه بخيبة: هو دا اللبس المريح بتاعك؟

هزت كتفيها تنظر إلى أصناف الطعام الموزعة على الطاولة: أيوه .. أنا مش بارتاح غير ف
البيجامه

تركته يتحدث وسحبت مقعدا وقد شمريت عن ساعديه استعدادا لتناول الطعام: بيجامه و..
كمان عليها إسبونج بوب .. شكلنا هنقضيهها كرتون وننام بدري عشان نلحق المدرسة

سألته بفم مكتظ بالطعام: بتقول حاجه يا أكرم؟

رسم ابتسامه سمجة: لا لا يا حبيبي .. سلامتك

أشارت إلى الطعام تحثه على اللحاق بها: طب مش هتاكل؟

زفر وجلس أمامها على المائدة، بالكاد نقل بعض الطعام إلى صحنه ثم توقف يتابعها تأكل
دون الاهتمام به، فقط مكتفية بإشباع جوعها، بعد دقيقة رفعت إليه نظرة متسائلة لما لاحظت

تحديقه بها: مش بتاكل ليه؟ .. وبتبصلي كدا ليه؟

ملس يديه فوق شعرها: أول مرة أعرف إن شعرك مجعد

أجابته بعدم اكتراث: أه، هو طبيعته كدا .. حاولت كتير إنني أخليه ناعم زي أخواتي، بس ما

عرفتش .. الوراثة بقى

- طب ما فردتيهوش ليه؟

تركت ملعقتها جانبا ثم أجابته بجدية: عشان أبقى من أول يوم قدامك بشعري الحقيقي، مش
هأضحك عليك إنه مفرد وناعم وجميل وأول ما تلمسه المايه يرجع زي الأول تتخض وتقول
.. غشوني ونصبوا عليا

انفجر ضاحكا: ما أنا خلاص أتجوزتك .. يعني لو هأقول، هأقول من دلوقتي

– أدينا لسه ع البر .. قول وأنا هأقوم أمشي من دلوقتي

ابتسم: بس أنا عاجبني شعرك كدا .. لايق على وشك أكثر ومبين عرق الجنان اللي ف دمك

دفعت الطعام داخل فمه: كدا ؟ .. طب كل

مدت كفها بحبة الدواء وبالأخرى كوب الماء، تناولهما منها، ألقى الحبة في فمه وبلعها بشربة

ماء أنهت على نصف الكوب، استلمت منه الكوب بعدما أنهى بيسمة: بالشفأ يا حبيبي

جلست بجانبه بعدما أحضرت أنبوبة مرهم، أخرجت بعضه فوق أصابعها بينما تمدد زوجها

على بطنه رافعا قميصه، وضعت المرهم فوق ظهره وبدأت تدلكه.

تنهدت: مين كان يصدق إنه يجي اليوم اللي أكرم يتجوز فيه

أجابها مصدرا أصوات الراحة من تدليكها المهدئ: نصيبه جه

– الحمدلله، ماكنتش مرتاحة لخطوبته من باريهان .. الحمدلله ما تمتش، ربنا يرحمها

- آمين، يانهارده نكون جوزنا ولادنا كلهم

ربت على كتفه إشارة لإنتهاها، أنزل قميصه واعتدل جالسا، دعت متجهة إلى الحمام كي

تغسل يديها: عقبال ما تجوز ولاد ولادك

قهقهه: ربنا يديكي الصحة إنتي وتشوفيهم عرسان، أنا يادوب ألحق أدخلهم المدارس .. دا لو

عشت لوقتها يعني

عادت وملامحها تحمل الغضب الشديد: ما تقولش كدا يا ياسين، ربنا يديك الصحة والعمر،

دا قدر .. ما حدش عارف مين هيموت قبل مين

أوماً: ونعم بالله

وضعت بعض الكريم الخاص بالعناية الليلية بالبشرة على كفها وبدأت توزعها بهدوء: صحيح،

أكرم ومرام هيعيشوا معانا هنا وأهلها مش هيسافروا

- أيوه، والناحية الغربية من الدور الثاني أتقفلت كويس عشان تبقى زي شقة ما عدا المطبخ

بس اللي ناقصها، لكن عاملهم زي بار كدا عشان لو حابوا يعملوا كوباية شاي أو مج نسكافيه

- طب وأهلها هيفضلوا عايشين لوحدهم كدا ؟

- مش فاهم بتلمحي لإيه

- انضمت إلى جواره في الفراش وشرعت في توضيح مقصدها: يعني أكرم ومرام هيجوا معنا هنا يونسونا، ومصطفى هياخذ فريدة ويرجعوا مزرعته .. وأكيد عارف ابنك أحمد عاشق الخصوصية ومش هيقبل لا يعيش ف بيت أهل مراته ولا يجبهم يعيشوا معاه رفع أحد حاجبيه: مش فاهم بردو .. إيه مشكلتك .. هما كانوا اشتكولك ؟ زفرت: الخوف يجوا بعد كدا ويقولوا أخذتوا بناتنا مننا وخليتهم يبعدوا عننا - الله، هو إحنا خطفناهم ؟ .. دول أتجوزوا ودي سنة الحياة - أنا بأقولك يعني اللي ممكن يجي ف بالهم - يعني عايزاني أعمل إيه ؟ - بأفكر تبقى تخلي أكرم يطلب منهم يجوا يقعدوا معنا هنا .. الفيلا واسعة وبتتك رجعت مع جوزها ومصرين يعيشوا لوحدهم ف الشقة اللي كان مجهزها أيام الخطوبة وما لحقوش يتهنوا بالسكن فيها - أنا ما عنديش مانع، بس فكرك هيقبلوا ؟ - مش عارفه، أهى مجرد محاولة - إمامم، خلاص، ابنك ومراته يرجعوا بالسلامة وبعدين نشوف الحكاية دي

انتهوا من تناول الطعام، نهضت العروس متجهة إلى التلفاز الموضوع فوق طاولة صغيرة بأحد الأركان، فتحتته ثم تراجعت تجلس على أقرب مقعد فيما تقلب قنواته.

تابعها أكرم مستغربا: إنتي بتعملي إيه ؟

أولته ظهرها بلا مبالاة: زي ما أنت شايف .. هأتفرج ع التلفزيون

كظم غيظه: طب مش هتشيلي الأكل ؟

أشاحت بجهاز التحكم عن بعد: بكره بكره

- بس كدا ممكن يتلم عليه الدبان

- خلاص شيله أنت

أخفى غيظه وحمل الطعام إلى الثلاجة، فما ذنب الطعام بزواجه من فتاة مدللة لم تكن تمد يدها في شئ، لقد أراح نفسه وأراحها بقرار العيش في منزل والديه؛ حيث تطهو أمه بمساعدة الخدم.

عاد إليها بعدما أنتهى، وجدها تشاهد إحدى المسرحيات وتنفجر من الضحك بين اللحظة والتي تليها، جلس بجوارها فلم تنتبه، استمر الحال ما يقرب من الساعتين حتى نهض فجأة وأطفئ التلفاز بعدما طفح به الكيل.

صاحت مستنكرة: طفيته له ؟

- أبدا، وراكي مدرسة الصبح ويادوب تلحقي تنامي

نظرت إليه كأنه هرب لتوه من مشفى المجانين: مدرسة إيه ؟ .. أنت أتجننت يا أكرم؟

عقد ذراعيه أمام صدره: ماهو لما مراتي ليلة دخلتها تبقى قاعدة معايا ببيجامه بنطلونها واصل للأرض وبنص كُم وعليها رسمة إسبونج بوب .. وكمان تسبني أحضر السفارة وأشيلاها .. أقعد جنبها ساعتين من غير ما تحس بيا وتتفرج ع التلفزيون .. كنت أتجوزت بنت خالتي اللي عندها تسع سنين أحسن بقي

سألته ببرود: وما أتجوزتهاش ليه ؟

أشار إلى موضع قلبه: عشان دا اللي حبك وهو اللي اختارك .. عرفتني ليه؟

ابتسمت بخفر: طب وأنت عايز إيه دلوقتي ؟

اقترب منها ينهضها ويسحبها خلفه إلى غرفة النوم: أنا هأقولك عاوز إيه

دلفا إلى الداخل، ترك يدها وأتجه إلى خزانة الملابس، فتحها وظل يتمعن بها طويلا حتى ظفر

بما أراد، أغلقها ممسكا بأحد قمصان النوم ومأزره، سلمها إياهم مطالبا: خدي .. ألبسي دا

سألته بخجل بعدما قلبتهم بين يديها: لازم يعني ؟

صمت هنية ثم عاد يلتقطهم من بين أصابعها، ألقاهم خلفه دون اكتراث ثم جذبها من ذراعها
لتختفي بصغر حجم داخل أحضانه، سمعته يردد فيما غابت في عالم تحيطها فيه رائحته
الرجولية الجذابة: لا مش لازم

سبق آذان الفجر بدقائق، فتح عيونه فوقعت على خصلات شعر زوجته المتناثرة فوق صدره،
تنام بين ذراعيه في رحلة بعالم النوم العميق، ابتسم عندما لمح انشاء ثغرها ببسمة؛ سعيدة
بموضعها، استمر في تأملها قليلا والبسمة تعلو شفثيه، استدرك نفسه بعد هنية وبدأ في
إيقاظها، داعب أرنبه أنفها بخفة: حبيبي مش كفايه كسل ونصحصح بقى
دفعت خصلة بعيدا عن وجهها فيما تقاوم تتأوب تصاعد إلى فوهة فمها: هي الساعة كام
دلوقتي ؟

قوس شفثيه للأعلى: مش عارف .. استني هأشوف

التقط الساعة الرقمية المجاورة للفراش، أخبرها بالوقت مضيفا: يعني خلاص شوية والأذن يأذن
جذبت الغطاء فوق رأسها: طيب سيبي أنام وصحيني لما يأذن
استند إلى كفه وبدأ يهزها بروية: دا إنتي كسلانه بشكل
دفعت يده بعيدا عن كتفها: كسلانه كسلانه .. المهم سيبي أنام دلوقت

نفض الغطاء عنها: لا لا، قومي كدا .. ادخلي خدي دش، وفوقي؛ عشان نلحق نصلي ركعتين
شكر لله ع إنا بقينا سوا وهنبداً حياتنا من جديد قبل ما الفجر يأذن

فتحت عينيها، حدجته بنظرة مشبعة بالعاطفة، قابلها بالمثل للحظة من ثم قال بصوت
متحشرج: بأقولك عايزين نصلي قبل الفجر ركعتين تقومي تبصلي كدا .. هتضيعي علينا
الفجر يا شيخه

نهضت ضاحكة وتوجهت إلى الحمام: طيب يا سيدي .. أديني رايحه أهو
صاح من خلف الباب الفاصل بينهما: بس ف الإنجاز .. ها؟! .. عايز استحمي بردو
أتموا صلاة الركعتين وما إن قاما بالتسليم منها حتى سمعا صدى آذان الفجر من أحد
المساجد البعيدة نسبياً يتردد في الأرجاء.

رحل ببصره بعيداً عن وجهها: كنت متعود أصلي الفجر ف المسجد آخر فترة بس بما إنك
معايا هنصليه سوا ماشي؟

ربت على كتفه بهدوء: لا، روح صليه ف المسجد عشان ثوابك يبقى أكبر
همهم بحزن: بس كدا هأخذ ثواب صلاة الجماعة وإنتي لا

شعرت بإحساس جديد يجتاح خلجاتها، تسابقت دقائق قلبها، السعادة التي تغمرها في هذه
اللحظة أشد قوة وأكثر اكتساحاً من تلك التي انتابتها قبل ساعات عندما عُقد كتابها عليه: لا
.. إحنا هنصلي السنة سوا .. وبعدين تكلم أكرم عشان تروحوا تصلوا ف المسجد وبعدين

ترجع هنا نسبح مع بعض .. هو أنا أفديك الساعة لما جوزي حبيبي ياخذ ثواب أكبر مني ..
ما هو ذا اللي هيسيب الحور العين ويقول .. زوجتي زوجتي

ضمها: ربنا مايحرمني منك، لا حور عين ولا بنات الدنيا كلها يهموني ولا واحدة هتعمل فيا
زي ما إنتي بتعملي بكلامك دا

أزاحته: طب روح كلم أكرم عشان يجهز عقبال ما نصلي السنة

تناول هاتفه من جيب بنطاله: أمرك يا باشا، دا أنت تشاور وأنا أنفذ من غير ما أنطق

انصت للرين المتقطع على الطرف الآخر بصبر، أجابه صوت يشوبه النعاس مخلوطا بالضيق
مع اقتراب نهاية الرنين: السلام عليكم

- وعليكم السلام يا كابتن كسلان

تعرف على صوت المتصل فهتف حانقا: في إيه يا مصطفى الساعة دي!؟

- في صلاة فجر ياخويا

نهض مفزوعا: هو آذن؟

- أيوه، يلا قوم اتوضى وفوق كدا وصلي السنة .. أنزل، هاستناك ع باب شاليهك

- طيب طيب .. سلام

أيقظ أكرم زوجته حتى تؤدي فرضها كذلك، نهضت متكاسلة فتركها وأسرع يغادر كي يلحق بصديقه.

أتجه مصطفى إلى زوجته لأداء صلاة السنة متجاورين ثم خرج ليقابل أكرم متجهين إلى مسجد قريب لتأدية الفرض المهجور.

عاد كلٌ منهما إلى عروسه، وجد أكرم زوجته نائمة، ألقى جسده إلى جوارها ثم ذهب في سبات عميق.

فتح مصطفى باب الشاليه بالمفتاح الذي أخذه معه، تقدم إلى الداخل على مهل حتى لا يوقظ زوجته إن غلبها النوم لكنه وجدها جالسة في انتظاره تقرأ بعض آيات الله في صمت، بالكاد لمح تحرك شفيتها.

طوح سلسلة مفاتيحه فوق الطاولة ذات السطح الزجاجي وصاح بقوة افزعتها: هلاا هلاا ع الناس اللي عماله تاخذ ثواب لوحدها .. وأنا اللي ماكتتش عايز أسبيك وأصلي ف المسجد عشان ماخذش ثواب أكبر

زفرت براحة ثم أغلقت مصحفها، لامته بدلال: أنت اللي نيتك وحشة على فكرة .. لإني كنت باقرأ بنية الثواب يكون ليا وليك

انضم إلى جوارها ولثم وجنتها: ربنا يخليكي ليا يا ديدة يا رب

- ويخليك ليا يا طفطف يا رب

قطب بغضب طفولي: إيه طفطف دي؟

- دلع

حك رأسه: مافيش دلع غير دا؟

- أه، دا اللي عندي .. عاجبك ولا مش عاجبك؟

طلب رضاها: عاجبني يا ستي .. أي حاجه منك حلوة

- أيوه كدا اتعدل

رسم الجدية فوق وجهه: ممكن اسألك سؤال يا فريدة؟

أومات فتابع: هو واحد زائد واحدة بيساوي كام؟

استغربت: إيه السؤال الغريب دا .. أنا طول عمري باسمعها واحد زائد واحد

قهقهه متفاخرا: لا دا مش عندي .. وبعدين هو إحنا ف مدرسة؟

هتفت مغتاظة: بردو حضرتك بتتريق عليا

-طيب خلاص، بلاش دي .. خيلنا ف واحد زائد واحد بتاعت الرياضة هتساوي كام؟

أجابته بثقة: هتساوي إثنين طبعا

- وإيه الثقة دي كلها ؟ غلط على فكرة..

- إزاي يعني واحد زائد واحد على طول بتساوي إثنين

- في حاجه عايزك تعرفيها كويس .. واحد زائد واحد مش على طول بتساوي إثنين

ضحكت منه ساخرة: لا يا شيخ .. أومال هتساوي كام ؟

- ماهو دا سؤال يا أم الذكاوه..

أضاف عندما لمح حنقها المتزايد: طب هأساعدك؛ عشان صعبتني عليا .. أنا زائد إنتي يساوي كام ؟

لوت شفيتها غضبا: كام؟

- أنا زائد إنتي هيساوي أنا وإنتي

ضربت الأرض بقدميها صائحة: ودا إزاي إن شاء الله؟

- يوه دا إنتي تلميذة بليدة أوي، إزاي إنتي دكتورة .. ها ؟ .. شكلك هتتعبيني معاكي

سخرت: معلىش يا حضرة الناظر .. منكم نتعلم بردو

أدعى التواضع: خلاص خلاص، هأفيدك بعلمي؛ ما إنتي ف الأول والآخر مراتي وماينفعش

أسيبك جاهلة كدا

امسكت بالوسادة المجاورة لساعدها، رفعتها مهددة: أخلص بدل ما أكتم نفسك وارتاح من
زنك

رفع يديه أمامه بحركة تمثيلية: حاضر حاضر .. دا إنتي ولية مفترية

عاد لجديته الوهمية من جديد: أنا دي اللي هو أنا

- لا يا شيخ تصدق ماكنتش أعرف؟ أفادكم الله

- يا ستي اصبري .. واحدة واحدة

- اتفضل يا سيدي .. أما نشوف آخرتها

- إنتي دي اللي هي .. إنتي

هتفت به مغتاظة: أنت دماغك لسعت .. صح؟

نهرها بهدوء: اصبري بقي وما تقاطعنيش

- اتفضل جنني معاك

- وزائد دي .. هي بتاعت الحساب "+" .. دي الحاجز اللي كان واقف بيني وبينك ..

الدين والخوف من ربنا .. أما الـ يساوي "=" ف هي كل اللي هيجمعنا زي المأذون والجواز،

ف النتيجة هتكون .. أنا وإنتي .. فهمتي؟

صمتت قليلا تنظر إليه دون أن تراه، أفافها : إيه يا حاجة .. روحتي فين؟

ردت ببساطة: حسبتك غلط

فكر فيما قاله قبل أن يسألها متعجبا: إزاي؟

تقاطع كفيها سويا: لأن كدا بردو لسه في حاجز بينا .. "الواو"

فكر: ملاحظتش بصراحة .. بس لو شلنا الواو هتبقى "أنا إنتي"

- لا، تشيل أنا وإنتي كلها على بعضها

لوى شفته محتارا: وهتبقى النتيجة إيه ؟

ابتسمت بحب: إحنا .. إحنا معناها كبير أوي، عارف لما مجموعة يتفقوا سوا ويقولوا (إحنا هنبني مسجد) .. بتلاقيهم كلهم بيشتغلوا وكلهم بيبنوا، بينهم قوة واتحاد، بيشاركوا بعض ف المصاريف .. ف الأكل .. ف الشرب .. ف الشغل، حتى العرق بيشاركوا بعض فيه .. شوف ع الرغم من اختلاف أحجامهم وأشكالهم .. وإن لكل واحد فيهم شخصية مستقلة وجسد ثاني مختلف؛ لكن ف عقلهم نفس النية "بناء المسجد"، وف قلبهم نفس الحب "حب الله"، وف جسمهم نفس الروح "روح التعاون" .. وف الآخر بيطلع من تحت أيديهم مسجد ف قمة الإتيقان والجمال

أضافت تقبض على أحد كفيه بقبضتيها: أما بالنسبة لمعنى "إحنا" ليا أنا وأنت، ف هي

بتلخص ف جملة واحدة "إحنا .. يعني روح واحدة بس ف جسدين"

شد على يدها وتنهد بعد دقائق مشبعة بالعاطفة ومشحونة بالحب: أنا قولتها كلمة ومش
هأرجع فيها .. إنتي مافيش منك إثنين

ابتسمت بخفر: يلا نسبح عشان مانساش

بسط كفها: هاتي إيدك أسبح عليها؛ عشان أنا وإنتي نتقاسم الثواب

مدت كفه الآخر: وأنت كمان .. هات إيدك؛ عشان أسبح عليها

لمس جبهته بجبهتها: إيدي ورجلي .. كلي ملكك أصلا يا ديدة

ابتسمت بسعادة: ماشي يا طفطف

استمرا يسبحان الرحمن ويذكرا الرضوان حتى طلوع الشمس، زحفا إلى الفراش ينالان قسطا
من الراحة قبل الخروج والتمتع بالماء المالح والطبيعة البهية.



الفصل الرابع والعشرون

قبل الظهرية بفترة لا بأس بها، اجتمعوا العرسان أمام البحر، الشاطئ خاص فلا يخشون وجود المتطفلين، هذا الموقع كان أحمد قد قام بشرائه؛ لكي ينشئ فوقه عدة شاليهات والخدمات الأساسية كمكان خاص بالشركة وموظفيها حيث الترويح عن النفس والتخفيف من أعباء الحياة اليومية وضغوط العمل، لم يكن قد تم الإنتهاء سوى من نصف المخطط له، فكان أربعتهم أول من خطى إلى هذه الأرض بعد إعمارها.

استمتعوا باستنشاق النسيم الرطب الممزوج برائحة الملح، خصوصية الشاطئ أمنت لهم الحرية المطلقة في التصرف، حتى القلة التي تمر على مسافات بعيدة عنهم لم تستمر طويلا مما سهل على العروستين بلامسة المياه واللعب قليلا، وعقب ساعات من المرح توقف مصطفى مملسا على بطنه متذمرا: أنا هاموت م الجوع

شاركه أكرم نفس الإحساس ضاحكا: تصدق وأنا كمان

هتفت مرام: خلاص حد يروح يشتري أكل

تطوع مصطفى: أنا هأروح؛ عشان أنقنق ف الطريق

تشبثت فريدة بزوجها: وأنا هأجي معاك ... عشان أنقنق

التقط كفها: يلا يا ديدة

صاح أكرم من خلفهما: المهم تعملوا حسابنا معاكوا

ثم التفت إلى زوجته الشاردة في عالم آخر: مالك يا مرام؟

نفت بهدوء: مافيش

أمسك كتفيها باحكام وأدارها ناحيته: لا في، إنتي م الصبح مش على بعضك، مستني تتكلمي
لوحذك بس يظهر لازم اسألك

تنهدت استسلاما: اصل في حاجه عايزه أقولك عليها .. بس خايفه

داعب خدها باسمها: قولي وماتخافيش .. ولا شايفاني بعبع؟

- خايفه من ردت فعلك

- خلاص قولي ونشوف

نظرت إلى البحر: الفتاة المجهولة تبقى .. أنا

- إيه؟

انتحبت: والله ما كان قصدي حاجه .. بس أنا حبيتك من أول يوم شوفتك فيه، لكن أنت
عمرك ما أدتني وش خالص؛ فبدأت ابعت الرسائل يمكن تعرف أنا مين لوحذك .. بس بعد
كدا عرفت إني غبية؛ إزاي هتعرفها وأنت بتشوفها أكنها مش موجودة .. فضلت ابعت عشان
مادام مش عارفه أكلمك مباشر أكلمك عن طريق الورق، وبعدين عرفت إن كل دا غلط
وماينفعش أعمله .. فبطلت، بس والله ما كان قصدي لا ألعب بيك ولا أي حاجه

تركها فترة دون تعليق، انحصر نشيجها وتقطرت دموعها بعدما كانت سيولا، رفعت وجهها إليه على مهل تتلمس ردود فعله على ما قالت، اتسعت عيونها بعدم تصديق؛ فالابتسامة وصلت إلى أذنيه، سألته كالتائهة: أنت بتضحك على إيه؟

- على غباءك يا حبيبي

اغتاظت: تشكر يا ذوق

قهقهه: مش قصدي حاجه وحشه، بس لو كنتي قولتيلي م الأول كان زمانا مع بعض من مدة

- قصدك إيه؟

- فضلت فترة محتار، بأحب مرام ولا البنت المجهولة أكثر؟!، يا ترى مين فيهم .. ف لو

حضرتك قولتي من بدري كنتي وفرتي عليا وعليكي كتير

أحمر وجهها خجلا: ما أنا خوفت تبعد عني وتفتكر إني بأضحك عليك

- بالعكس كنت عايز أشوفها وأعرفها لأنني بدأت أحبها .. بس إزاي اتأكد من مشاعري من

غير ما أشوفها؟

- والرسايل فين دلوقتي؟

تأسف: حرقتهم اليوم اللي قبل كتب كتاب أحمد وف اليوم نفسه كنت سببت باريهان ..
ولسه هأطلبك للجواز لاقيت سي سامر طلبك .. وجنابك وافقتي، قوتل بيقي ما حبتنيش
وأتمنتك السعادة حتى لو معاه

تعلقت برقبته: بحبك أوي، ما قدرتش أفكر إني ممكن أتجوز غيرك .. حتى مش عارفه قوتل
لسامر موافقه إزاي .. يمكن بسبب كلام باريهان معايا اللي عصيني
قطب وأبعدها محدقا في وجهها: ليه؟ قاتلك إيه؟

- إنك هتتجوزها وأبص أنا إيه وهي إيه عشان أعرف هو هيفضل مين فينا ع الثانية
- طبعاً، إنتي حاجه وهي حاجه .. بس حرام دي ميتة دلوقتي .. انسيها وانسي كل كلمة
قاتها لك

أومأت مؤيدة ثم انخرطوا سويًا في الحديث المرح والمداعبات اللطيفة حتى عاد الزوجان
الأخران ومعهم غداء إيطالي، أسرع أكرم في فتح إحدى العلب من شدت جوعها، لكن أذهله
وجودها فارغة: إيه دا؟

أجابه بلا مبالاة: بيتزا

- وهي فين البيتزا أصلاً؟

أشار إلى معدته: هنا

تمتم بحق: أما هي هنا .. جايب العلبة ليه ؟

برود: ذكرى

اقترب من مصطفى بخطوات متمهلة مدروسة: ذكرى ؟ .. دا أنا اللي هاخليك ذكرى

نهض مسرعا بينما يلحق به أكرم حتى احكم قبضته على تلابيه: مش هأرحمك يا مصطفى

ردد الآخر: بريء يا بيه .. بريء يا بيه

قهقه: دا منظر واحد بريء ؟ .. دا منظر مسجل خطر

تدخلت فريدة تدافع عن زوجها: وهو في مسجل خطر شعره ناعم كدا؟ ولا عينيه عسلي كدا؟

حدق في عيونها بوله: وهو في مرات مسجل خطر قمر كدا ولا خدودها بتحمر كدا

تنحنت مرام: نحن هنا يا سي مصطفى

أضاف مصطفى مجاملا: وهو في أخت مرات مسجل خطر دمها خفيف كدا

جذب أكرم أذن الآخر معاقبا: لالا، مراتك وقولنا حقك، أنتوا أحرار ف بعض .. لكن مراتي

واستوب

حالما تحرر وقف يهندم ملابسه: استويين تلاته

جذب مصطفى زوجته بين أحضانه وهمس في أذنها بصوت لم يصل إلى آذان الآخرين:

حاسس إن رجلك نملت

رفعت حاجبيها: لا مافيهاش حاجه

هنز رأسه: لا لا، أنا جوزك وأنا أدري .. هي منمله

سحبها مضيفا بصوت عالٍ: إحنا هنروح نفك التتميل يلا سلام

تسائلت مرام متعجبة: تنميل إيه ؟

- لا دي حاجه بيني وبين ديداه كدا

ترددت خلفهم ضحكات أكرم الخبيثة، كرسالة أنه أدرك مقصد صديقه الحقيقي، التفت إلى

زوجته وغمزها بمكر: أنا بأقول نروح زيهم ولا إيه رأيك ؟

- اللي تشوفه

- يبقى على بركة الله

تشبت بكفها جيدا، وتعلقت به كطفل خائف من الضياع بعيدا عن مصدر أمانه، غرد قلبها

طوال الأسبوع، كل يوم في مكان جديد ابتداء من سوق ليبيا إلى شارع الاسكندرية مرورا

بشاطئ عجبية وصولا إلى شاطئ الغرام وصخرة ليلي مراد.

إثر عودتهم من أجازة ما بعد الزواج حاول أكرم اقناع أهل زوجته للانضمام إليهم في منزل والديه لكن دون جدوى، تمسك عبدالرحمن ببيته وعشه في المنطقة الشعبية حيث الأوس والأصدقاء القدامى، لم تعترض إيمان على قرار زوجها؛ فأينما كان ستكون. استسلم الجميع للأمر وتركوا لهم حرية المسكن بشرط اطلاعهم على مستجدات الأمور وإن احتاجوا إلى شيء.

انطلقت فريدة مع زوجها في الطريق إلى مزرعته بعد قضاء عدة أيام في كنف أهلها؛ حتى تملئ جعبتها منهم قبل السفر، وصلوا إلى المزرعة وبعد المساعدة في تحضير الطعام اجتمعت مع زوجها لوضع خطة سير الأمور منذ ذلك الحين إلى ما شاء الله، ناقشها في الجزء الزراعي قبل الحيواني وشجعه على ذلك تفتح ذهنها وعقلها الراجح فأصبح يستشيرها في كل صغيرة وكبيرة متيقنا من صحة تفكيرها.

بدأوا العمل في الصباح التالي بكل همة ونشاط، هجرهم الكلال ولو لفترة من الزمان فيما حثهم الأمل والرغبة في النجاح على الإكمال.

توقفت فريدة أمام باب الحظيرة تعوض رثيها عما تحملته من رائحة الروث وأنفاس البقر بلفحات من الهواء النقي الذي يحمل في جعبته عطر الزهرات ورحيق الورد، لمحت زوجها يحمل أحد الأكياس الضخمة الخاصة بالأسمدة فوق أكتافه وقد تحمم في عرقه من فرط المجهود، ابتسمت فلأول مرة اقترب من عماله وعاملهم بكل تبسط عوضا عن إصدار الأوامر

كما هو معتاد، ذهلوا كثيرا وكادوا يشهقون من الصدمة أما الآن فقد اعتادوا الوضع بل وصاروا يمازحونه دون خشية فقد العمل أو رزق اليوم.

حث خطاها تجاه المنزل، أتمت عملها في الحظيرة لليوم والباقي ستتركه للعمال، ستقوم بتحضير وجبة شهية تعوض مصطفى عما بذله من جهد وتؤكد له أنها لن تهمله يوما.

اتفق أكرم مع زوجته على تأجيل الإنجاب لمدة غير معلومة الأجل؛ حتى يعطيها فرصة لتكبر هي في البداية قبل أن تفكر في إنشاء الآخرين، وقد اقتنعت برأيه عندما رأت ما تعانيه شقيقتها الكبرى هند مع وليدها الصغير جاسر، كانت تساعد في الاعتناء به ومع كل يوم يمر يزيد تشبها بتأخير الإنجاب. لكن الحال لم يدم طويلا، فرغم الإحتياطات وطمأنة الطبيب لهما شاء الرب أن تحمل في السنة الثالثة وصار ما باليد حيلة سوى الإنصياع لأمر الله.

بدأت تنبه لتصرفاتها، تتحدث مع مصطفى في حدود المسموح فقط، وقد ساعدها على ذلك تنبيهات فريدة لزوجها بحجة غير آدم القاتلة مخفية حقيقة غيرتها هي الأخرى لكنه استشف ذلك بذكائه وسرعة بديهته.

استقرت الأمور بين آدم ومصطفى منذ ذلك لتكون أفضل ما يكون، فالعائق بينهما قد انهدم بلا رجعة.

هللت فريدة عندما أعلمها زوجها أنه استطاع إقناع والديها بالقدوم والعيش معهما، فقد اتخذ حفيدهما مبررا كافيا، فيوسف الصغير يحتاج إلى رعاية دائمة مما يشكل ضغطا على فريدة؛ لا تريد إهمال ولدها وبذات الوقت لا تستطيع ترك أمور المزرعة.

انضم إليهم الجدين، فتسلم عبدالرحمن منصبا في الإدارة المالية بالمزرعة، بعدما أقنعه مصطفى أن هذا المنصب يحتاج إلى شخص محل ثقة أكثر من مهارات حسابية، فالمؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين وقد حلت الأولى بالفعل.

شعر عبدالرحمن بالإنعاش بعدما غمره شعور بالكدر وعدم الأهمية، فجلسته مع أصدقائه القدامى لم تلبث طويلا قبل أن تتحول إلى جلسات مملة لا تطاق، فلم يعتد في حياته على الجلوس دون عمل أما ما فعله صهره أعاد إلى نفسه روحها وغبطتها.

استغلت فريدة انشغال الجدين مع حفيدهما والتفتت إلى زوجها تطبع قبلة صغيرة فوق خده، نظر إليها بطرف عينه محاولا إخفاء ابتسامته لكن ذراعه لم تستطع مقاومة إحاطة كتفيها، يكفيه لمعة الفرحة التي رآها في عيون زوجها حالما شاهدت ترحل والديها من السيارة أمام منزل المزرعة.

مرت ثلاث سنوات على الزواج الثنائي، مرت بحلوها ومرها، فلا شيء دائم سوى العلاقات الإنسانية وصلة الرحم، شعر البعض بالفتور ثم عادوا إلى سابق عهدهم، ضيق ثم يسر، وهكذا تتوالى الأيام.

قدم الجميع إلى المزرعة بعدما صارت جنة الرحمن في الأرض، الهواء النقي الذي يلفح الأوجه فيعيد إليها انبساط أساربرها، الخضرة التي تشع من كل مكان عبر الأشجار وثمارها المدلاة.

شارك الكل في تعليق الزينات وتجهيز الجو المحيط بالمنزل للاحتفال بعيد ميلاد يوسف ابن مصطفى وفريدة فقد أتم عامه الثاني، كذلك الاحتفال بما وصلت إليه المزرعة من نجاح وخروجها من أزمتها بعد عناء.

وقف أكرم أعلى السلم المتنقل يتناول الأضواء الملونة من كف والده ليعلقها، وعلى الجهة الأخرى وقف أحمد نفس وقفته يأخذ شرائط الزينة الملونة من والد زوجته.

حمل مصطفى الطاولة الضخمة بمعاونة ياسين وبعض العاملين بالمزرعة من ضمنهم هشام، أعطاه مصطفى لإصلاح ما فعله وما تسببه من كارثة للمكان، لكنه قرر بعد ذلك أن يبقى عليه معهم دون أن يرفع عينيه عن مراقبته، لقد أثبت أمانته وتغيره عما كان.

انصرفت الزوجات والأمهات إلى المطبخ، يضيفون اللمسات الأخيرة على قالب الحلوى منزلي الصنع والأطعمة الأخرى، حتى والدة هشام مدت يد العون لهم؛ فقد استقرت معهم في

المزرعة خوفا من تركها بمفردها في سننها وحالتها المرضية وقد اتخذتها فترة نقاهة بعد نجاح العملية بقلبها.

أعد كل شيء وتحلق الجميع حول الطاولة بعدما أطفئوا الشموع وقدمت الهدايا، جمع العمال سويا مبلغا من المال واشتروا ليوسف سيارة صغيرة يلعب بها في الأرجاء، دار بها الصغير حولهم فرحا مهللا ثم بدأ يتبادل ركوبها مع أولاد عمه وخالاته وكذلك أبناء العاملين دون تفرقة، فقد تربي معهم جميعا بلا محاباة.

تركت عيون مصطفى جسد طفله الراكض من جانب إلى آخر وحطت فوق وجه زوجته الباسمة بعيونه البراقة، زاد حبه لها مع مرور الأيام، تحملته كما لم يفعل غيرها، وجدها إلى جواره تشد على ساعده في الضراء كما في السراء، لم تنفر منه في غضبه وأعانته على تحمل ضغط العمل، وأرشدته إلى الحلول والراحة الداخلية.

مسحت هند فم ابنها جاسر بالمنديل قبل أن تتركه يعود إلى لعبه مع بقية الأطفال، هدهدت مرام صغيرها ياسين حديث الولادة حتى يستقر في نومه، مد آدم كفه وبسطها فوق بطن زوجته المنتفخة التي تنبئ بحمل عمره ستة أشهر، حمد ربه أنه استقر مع زوجته أخيرا في بلده، لقد قدم استقالته من المشفى الأمريكي حتى يعمل في مصر بمشفى آخر قريب من منزلهم.

أقنعتة ندى برجاحة عقلها، فيجب على طفلها أن يدخل مدارس وطنها ويتعلم بها؛ على الرغم من ارتفاع مستوى التعليم في أمريكا لكن يبقى ابنها عربيا مسلما ولن تقبل يوما أن يستهين بدينه أو أخلاقه التي تجاهد في زرعها داخله. لا تريده أن يعتاد على رؤية الفتيات بملابس

عارية تظهر أكثر مما تستر، وغيرها من الأمور التي اقتنع بها آدم ووافق على الاستقرار في القاهرة.

مدت إيمان كفها بصحن صغير إلى حفيدها صاحب الحفل يوسف بعدما صمم على تناولها بمفرده دون مساعدة أحد، أخذ نصيبه وركض بعيدا، لكنه عاد بعد دقائق وقد رسم فوق شفثيه خطا يشبه الشارب ملتف الأطراف، انتاب الجميع موجة من الضحك على مظهره، إنه يوسف مصطفى بهيج الذي ورث عن والديه خفة الظل وأجمل ما فيهم من صفات وكذلك أسوأها، ومنها غيرته المفرطة على والدته.

أنتبه والدته فيما تمسح وجهه بالمنديل: الشيكولاته للأكل مش اللعب

انتبه الجميع للحظة إلى الألعاب النارية التي أنارت السماء وفرقت في الهواء، نظرت فريدة إلى زوجها مستفسرة، لكنها طمأنها، لقد اتفق مع أكرم كي يحضر بعضهم لإضفاء لمسة جميلة إلى حفل ابنه.

انتهز مصطفى انشغال الضيوف في مشاهدة المفرقات والتفت إلى زوجته وقبض على كفها: كل سنة وإحنا مع بعض .. ويوسف بخير

آمنت باسمه: اللهم آمين

استجاب للحب الملتع في أعينها بشغف: حاسس إن رجلي منملة .. ما تيجي تفكيهالي

لم تتمالك ضحكتها في حين سقط بصرها إلى بطنها المنتفخة دلالة اقتراب موعد الولادة:
مافيش نفس أقوم من ع الكرسي أصلا

زفر بضيق: يظهر إن الست مريم هتطلع عينينا من دلوقتي

قهقهت: يعني هي حلوة على يوسف وعليها لا ؟

نظر في أعماق عينيه بوله: ومين قال إني ساعة يوسف كنت مبسوط يعني ؟

ربتت على يده: خلاص .. كلها شهرين بس

كظم غيظه: هما الشهرين دول شوية .. ربنا يستر عليا وما أموتش قبلها م الحسرة

اخبرسته بسبابتها تمنعه من تكرار هذه الكلمات مرة أخرى: إخص عليك يا مصطفى، أوعى

اسمعك تقول كدا تاني .. بعد الشر عنك

هام في نظرات قلقها عليه: خايفه عليا؟

همت بالإجابة عندما سقط ظل فوقهما، آتى هشام فزفر مصطفى بضيق شديد على المقاطعة

غير المستحبة بالمرّة: أهلا يا هشام .. في حاجه ولا إيه؟

غمر الخجل وجهه من استقبال رئيسه الجاف: لا أبدا يا أستاذ مصطفى .. جيت أهني يوسف

وأديله هديته

نظرت فريدة إلى زوجها لائمة على طريقته الباردة، حاولت تلطيف الأجواء بابتسامة صافية:
كل سنة وأنت طيب يا أستاذ هشام .. ماكانش في داعي تتعب نفسك .. كفايه الهدية اللي
اشتركتوا فيها كلكوا عشانه

- لا تعب ولا حاجة، يوسف دا حبيب الكل .. ربنا يحميه

آمنت وحل الصمت لشوانٍ فاستأذن هشام منهما: طب عن إذنكوا بقي .. هأدي يوسف هديته
واستأذن

فريدة: ما أنت قاعد معانا شوية

اعتذر بلباقة: لا معلش عندي شغل الصبح بدري

- ربنا يعينك

هتف بها مصطفى بعدما غاب الآخر عن الأعين: ما كنتي امسكي فيه شوية كمان .. ولا
أقولك .. كنتي قومتي جبتيه كرسي بالمرّة وفرشتيله الأرض ورد

أطبقت شفيتها بعتاب: دا بدل ما تعتذرله ع الكلام بتاعك، كسفت الرجل وهو ما عملش
حاجه

سخر: أكثر م اللي إنتي عملتيه ؟

تأفت: مش أنت اللي مشغله هنا .. بتغير ليه بقي ؟

شعر بالغضب يكتفم أنفاسه: دي أكبر غلظه عملتها ف حياتي ومش قادر أعمل حاجه معاه
عشان وعدته

بسطة كفها على أحد جوانب وجهه: أنا مش بأحب غيرك، ولو خيروني بينك وبين رجالة
الدنيا كلها .. مش هأختار غيرك .. فهمت!؟

ثم أضافت: وبعدين مامته بتفكر تخطبه واحدة قريبتهم .. يعني مش بعيد كمان كام يوم
وتحضر خطوبته

استرخى بشدة وعادت الابتسامة تنير وجهه، أفاق من سعادته على صياح أكرم: بتتكلموا ف
إيه يا خلابيص

صاح مصطفى في وجهه مفجرا غيظه: يا عم روح أنت الثاني، ماهو قرك دا اللي جانبي ورا ..
أشوف فيك يوم يا بعيد

استدار إلى مرام وتابع انشغالها بهدهدة الصغير حتى يغط في النوم من جديد، لوى شفثيه
ببؤس: شوف ياخويا براحتك .. أكثر من كدا إيه

قهقهه: أحسن، ماهو من أعمالكم سلط عليكم

قال متحسرا: الواحد قعد يدعي إنها تجيب واد؛ عشان نبقي قوة ساحقه عليها

شاركهم أحمد ضاحكا: وحصل إيه؟

شهق بخيبة: أنا اللي بقيت مسحوق يا عم

داعبه مصطفى: مسحوق غسيل ولا مواعين

تدخل آدم ضاحكا: مش فارقه كتير.. أهو كله بيغسل ف الآخر

أكرم بضيق: اتريقوا اتريقوا .. ما أنتوا مش حاسين بيا

أشفقت عليه هند فحاولت بث الطمأنينة إلى نفسه: فترة وهتعدي يا أكرم .. ما تكبرهاش كدا،

يدوب أول 3 شهور بس

أحمد: أنت عارف سبب اللي أنت فيه إيه ؟

شهق بلهفة: إيه ؟؛ يمكن ألاقي الحل

انفجر شقيقه ضاحكا: نيتك السودا يا كرومه

أضاف مصطفى: أيووه .. فضل يتريق على كل واحد فينا لما مراته حملت وولدت وكان

شمتان فينا، كل دا لأنه كان مأجل الخلفة لحد ما يخلص الدراسات العليا بتاعته عشان ما

يتعطلش .. وأهو بقى حاله من حالنا

أكرم بندم: ياريتني ما كنت أجلت أهو كانت تعدي الفترة دي وأنا مشغول .. لكن كدا،

هاموت بدري م الحسرة

صفعه آدم على فخذة: عشان تصفوا النية بقي

التفت إلى زوجته تصيح باسمه: أكرم .. هاتلي الشوخشيخة بتاعت ياسين م الشنطة جوا

غرق أصدقاءه في نوبة من الضحك على ما آلت إليه أموره، صاح آدم: بقي أخرتك

شوخيخة يا كرومه .. صحيح، الدنيا يوم لك ويوم عليك

تناولوه بينهم كالكرة، فعلق مصطفى: قصدك يوم لك وياسين عليك

أيده أحمد: تصدق أه

تأفف أكرم ونهض بغضب: —وووه .. مش هأخلص منكوا .. أنا داخل

استمر مصطفى يلاحقه بالكلمات الساخرة دون أن يتوقف عن الضحك: طب أنا بأقول تجيب

الشنطة كلها؛ بدل ما تفضل طول الليل رايح جاي .. أصلها هتبتدي بشوخشيخة وتخلص بـ

(مممكن تغير له البامبرز يا حبيبي)

دلف إلى المنزل والغيظ يكاد يقتله، لكنه عمل بنصيحة صديقه؛ فعاد يحمل الحقيبة الخاصة

بابنه والتي تحتوي على جميع أغراضه، عندما لمحوه مقبلا عليهم من جديد قهقهوا على


تعبيرات وجهه البائسة؛ فقد مروا بنفس ظروفه لكنه لم يشعر بأحد منهم حتى وضع في محله.



تمت بحمد الله

ليس هناك نهاية .. فستستمر الحكاية





.. أبطالى
هم أبطال حكايتهم فقط .. فلا تحسب أن الأبطال
.. هم فريدة ومصطفى أو أكرم ومرام
لقد أخطأت وبشدة!؛ لإن باريهان أيضاً بطلة لكن
في حياتها هي، سعد .. هشام .. حتى إيمان
.. وعبدالرحمن .. ياسين وصابرين
فكل منا بطل ولكن في حياته
ستأخذ روايتك بيمينك أو .. شمالك
فاسعى جاهداً كي تنال النهاية السعيدة الحقيقية

...
"الجنة"

سارة